آنا الجميلة

هذه الترجمة الكاملة لكتاب

DEZSÖ KOSZTOLÁNTI

ANNA ÉDES

ديجو كوستلاني

آنـا الجميلة

ترجمة / إيمان طاهر
اشراف ترجمة / خالد طوبار

الغـلاف / هنيبال- هيبو

سلسلة من كل بلد كتاب - كتاب من المجر
الطبعة الأولى / القاهرة ٢٠١٤

ISBN: 978 - 977 - 6299 - 67 - 5

وكالة سفنكس
٧ شارع معروف الدور السابع
وسط البلد – القاهرة
ت/ف: ٠٠٢ ٠٢ ٢٥٧٩٢٨٦٥
www.sphinxagency.com
info@sphinxagency.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر، ويحظر نشر أو اقتباس هذا العمل أو أي جزء منه بأي وسيلة تصويرية أو إليكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات دون إذن كتابي من الناشر، ومن يخالف ذلك يتعرض للمساءلة القانونية
Sphinx Agency © 2014

(١)

رحلة بيلا كون

كان بيلا كون يهرب من البلد على متن طائرة.

بعد الظهر- في حوالي الساعة الخامسة- كانت هناك طائرة تُحلق فوق المقر السوفيتي في فندق هنغاريا، تعبر الدانوب مارة بالقصر أعلى الفرهيجي وكانت تنعطف بشكل حاد في إتجاه حدائق فيرميوز.

لم يكن قائد الطائرة أكثر من مجرد كونه رئيساً للولاية، كان يطير منخفضاً، بالكاد ستين قدم فوق سطح الأرض حيث تستطيع رؤية وجهه بوضوح.

كان شاحب الوجه طويل الذقن كعادته، يضحك على هؤلاء الناس بالأسفل وهو يودعهم بطريقة رثة أحياناً وتهكمية أحياناً أخرى.

كانت جيوبه مُمتلئة بالمُعجنات الحلوة، ويحمل معه مجوهرات، أثار منالكنيسة وأحجار قيمة تنتمي لنساء كريمة أرستقراطية عطوفة، وأيضاً بعض الأشياء الثمنية. كان يُعلق في يديه سلاسل ذهبية كبيرة.

عندما بدأت الطائرة في الإرتفاع والإختفاء عن الرؤية، سقطت واحدة من السلاسل الذهبية في منتصف فيرميوز تماماً حيث وجدها عجوز رئيس منطقة كريستينا، وهو موظف يعمل

في الغابة، أوفار، في سيزنثرومسج تار، وهى ساحة مخصصة للثالوث المقدس والتي أسماها كارولي جوسيف اتز بهذا الإسم. وكانت تلك هى الشائعات التي تردد في منطقة كريستينا.

(٢)
صاحب السعادة، الرفيق وسيدته

في اليوم الذي إنتشر فيه خبر العُقد، في ٣١ يوليو ١٩١٩، في السادسة بعد الظهر، نادى كوميل فيزي على خادمته.

صرخ "كاتيكا!"

كانت تقف في المطبخ فتاة بدينة تُشبه الحمامة تبدو وكأنها تستعد للخروج، كانت ترتدي بلوزة بمبي وجيب بيضاء وحزام من القماش الأسود وحذاء جديد لامع. كانت تتفحص نفسها في مرآة يدها وترش مسحوق أبيض قليلاً على غطاء رأسها وهي تربطه حول وجهها الممتلئ. كانت تسمع صراخه ولكنها لم تهتم وظلت كما هي.

لم يعد للجرس أي إستخدام منذ الإدارة السياسية السابقة لذا أصبح من الضروري الصراخ على الخدم، أو الدق على الحائط الرقيق بينه وبين المطبخ إذا كان يُذاكر.

بدأ صوته غضباً، ولكن الفتاة لم تهتم فعندما كانت تمر بالقاعة الضيقة الطويلة توقفت قليلاً عند مسند القبعات ذو المرآة لتضبط شعرها، بعدها دخلت غرفة الطعام وهي تتهادى في مشيتها.

على الأريكة كان يمتد في حالة من اللامبالاة رجل في الأربعينات من عمره وكأنه مُتشرد، كان قميصه مكرمش وبنطلونه الشتوي مرفوع إلى ركبتيه، وحذائه بالي إلى أبعد حد ولا يرتدي ربطة عنق. من خلال أنفه المعقوق وشواربه يمكنك الأعتقاد أنه ربما يكون شخص ذو مكانة إجتماعية.

كان يُمسك بأخر مقالة لـ *فوروس وجزاج* (وهى الجريدة الشيوعية الرسمية) كان يحملها بعيداً تقريباً على طول ذراعيه لأنه يعاني من طول النظر، وكان مُستغرق في القراءة لدرجة أنه لم يُلاحظ الخادمة، فلقد كانت المقالة تتحدث عن إنهيار وشيك في الدولة بعنوان رئيسي "*البروليتاريا في خطر!*"

إقتربت كاتيكا من الأريكة.

" أنتِ هنا أخيراً، أليس كذلك؟" ذمذم فيزي. "كم مرة يجب علي أن أصرخ لكي تأتي؟؟" هز كتفيه بكآبه وكأنه يقلل من قسوته.

كانت الفتاة تُحدق إلى الأرض بلامبالاة.

"حسناً" قالها فيزي وقد أصبح أكثر هدوءاً ولكنه مازال عابساً وتكلم وكأنه يحدث نفسه "أغلقي جميع النوافذ".

إنطلقت كاتيكا لتُغلق النوافذ حينما نادى قائلاً " إنتظري المصاريع أيضاً وأنزلي الستائر أيضاً. أفهمتِ؟ فهناك صراخ بالخارج"

ألقى الجريد على الأرض فأصدرت صوت خشخشة، كان لون القش الرخيص البني يُوحي وكأن الأرض تفحمت في حريق هائل، قام من على الأريكة ويديه في جيبه مُتجهاً بشموخ ناحية نافذة غرفة الطعام.

كان يقف باللأسفل جندي شيوعي والذي كان يهتف من دقائق معدودة ولكن بدا أنه وحيد ويائس من الكراهية التي

يُعاني منها من الأشخاص الآخرين، فهو شخص ضعيف واهن من طبقة البولتاريا والتي تعتبر كائن أولي بالنسبة للكائن البشري، كان يحمل بندقيته بحربتها الثابتة وكأن شخص ما هو من علقها كذلك.

كان غروب الشمس يفيض كما هيا العادة عبر أرض فيرميوز المسطحة الغير مُرتوية، تُخفي تيجان تلال بودا حتى ترى صليب الكنيسة البعيدة.

في الجزء العلوي من الدرج الجرانيتي المقابل إحتشدت مجموعات صغيرة من الرجال مع بعضها يتهامسون بالطريقة التي كانت مُعتادة في ذلك الوقت وهى قراءة الشفاة وقد بدوا وكأنهم مجموعة من الخراف أهملهم راعيهم، وكانت هذه هى علامة التغيير الوحيدة.

كان الأفق خالي من السحاب ويكمن النعاس الثقيل على كل شئ كالذي يسبق مجيئ الصيف، عندما تبدأ الرياح في التوقف وتبدو الطبيعة وكأنها غرفة ضخمة والشجر كأنه ألعاب والناس كأنها عرائس شمعية.

كان كل شئ خامداً، لا حركة ولا صوت الشئ الوحيد الذي أعطى إحساس بالحركة كان مجرد ملصق مكتوب عليه *إلى الجيش إلى الجيش*، ويقف قبطان هائج يلوح بعلم بعنف جبار ليبدو وكأنه أصبح جزء منه، كان يتحدث بصراخ بدأ في الإزدياد لتشعر أنه سيبتلع العالم بأكمله.

مر فيزي على هذا الملصق ولم ينتبه له كثيراً لأنه لا يملك الجرأة ليتفحصه، في الحقيقة كانت هذه المرة الأولى التي ينظر إليه بإتزان دون أن يشعر بإنبهار، يمكن للرجل أن يُحدق إلى الشمس دون أن تدمر عينيه.

على الجانب الآخر، هناك في جادة كريستينا كانت تمر شاحنة تحمل أطفال بزي مُبهرج تدوي في المدينة كأنها سيارة إطفاء في حالة طوارئ، كانت عائدة من رحلة قصيرة في غابة رجليجت وكان الأطفال يلوحون بعُصي للمارة.

كانت أصواتهم الطفولية الرقيقة الأتية من على التل تغني في إنسجام وتوافق:

إنهض، إنهض، يا مظلوم كل أمـة
إنهض، إنهض، أنتم جماهير الجياع

وكان بعض الموظفين الشباب والمتدربين يُغنون الكلمات التي تعلموها حديثاً: تلك التي من الإنترناسيونال، وعلى الرغم من جهلهم فلقد كانوا سعداء.

بعد أن أغلقت كاتيكا النوافذ في جميع الغرف الأخرى، ذهبت لتغلق نوافذ غرفة الطعام. عندما أصبحت جميع النوافذ مُحكمة الغلق مشى فيزي بخفة وهو يبتسم في عصبية إبتسامة بائسة هامساً: "لقد خسروا".

لم تكن تلك الأخبار تُثير أي إهتمام لدى الخادمة، حتى لو إهتمت فهي لم تظهر ذلك. ولكن سيدها وقف أمامها، لم تكن زوجته موجودة بالبيت وكان يحتاج إلى أن يُفضفض عما بداخله إلى شخص ما.

"كاتيكا" ردد فيزي " لقد خسروا. الحُمر خسِروا." حدقت الخادمة إليه وهى تتسائل ما الذي فعلته لتستحق ثقة سيدها.

" الأوغاد" أكمل وأنفه يتسع وكأنه سكران من رائحة الآنتقام الحلوة. لم يلبث أن قال هذا إلا وسمع طرق عالي على باب الشقة. عندها أصبح وجهه شاحب قليلاً ونظر إلى الهواء من حوله وكأنه يبحث عن الكلمة التي قالها للتو لكي يتمكن

من محو أي أثر لها. لوح بيده بغموض وكأنه يُزيل بعض السُحُب غير المرئية من الدخان.

"سأرد أنا" خطا بخطواتٍ واسعة نحو القاعة وقد إتخذ قرار مفاجئ وهو يستعد للأسوء. يمكن أن يكونوا قد أتوا ليبحثوا عن رهائن، يمكن أن يكون هذا بحث في المنزل أو حالة طوارئ. جهز فيزي ما سيقوله للدفاع عن نفسه: فلقد قضى عشرون عاماً في الخدمة العامة، لديه أخلاق إجتماعية وتعاطف عام مع الماركسية على الرغم من أنه يستنكر تجاوزاتهم.

لقد تغير وصار رجل جديد، ليس إلا شهيد للشيوعية ولكنه ضحية للنظام القديم (الذي له العديد من المناسبات التي لا تعد ولا تحصي) الذي تجاهله بنكران الجميل، بحث في جيبه عن بطاقته النقابية والتي كان يريد أن يمزقها من قبل. ولحسن الحظ أنه لم يفعل ذلك.

فتح الباب ليجد أمامه رجل صغير الحجم في الرواق، يرتدي جاكت قرمزي مثل ساعي البريد ولكن ياقته لم تكن مُهندمة.

"يوم سعيد، سعادتك" تحدث بصوت عالي كافي ليسمعه كل من بالبيت. "هل تسمح لي بكلمة؟"

"ها إنه أنت، رفيقي" أجابه فيزي

"خادمك المتواضع، سيدي"

"تفضل بالدخول، رفيقي فيكسور"

كانت المحادثة بطريقة مهذبة رائعة في هذه الظروف التاريخية. كلا الرجلين لم يكن متأكداً من موقفه، كلاهما قلق أن يعطي الآخر منفعة.

لقد كان كورنل فيزي مستشار وزاري وكانت هذه هي المرة الأولى منذ أربعة أشهر التي يُنادى بكلمة سعادتك. شعر ببعضٍ السعادة لسماعه هذا اللقب مرة أخرى، ولكنه أيضاً محبط قليلاً

بدون أي داعي. أما بالنسبة لفيسكور، الذي كان حارساً لـ٢٣٨ أتيلا أتكا، فقد أصبح محبطاً من أنه لازال ينادى بلقب رفيق من قبل مالك العقار.

دخل الحارس الشقة وهو يمُد يديه إلى سيده، سلم عليه فيزي، كان فيزي هو من إبتكر عادة السلام بالأيدي خلال دكتاتورية البلوتاريا، ومنذ ذلك الحين فإن فيكسور يبدأ بمد يديه أولاً من باب المجاملة.

"لقد رحلوا!" تحمس فيسكور وأكمل بنبرة صوته العالية "الأوغاد إنتهوا إنهم يحزمون حقائبهم ويرحلون."

"حقاً" همهم فيزي وكأنه متفاجئ من هذا الخبر.

"نعم، سعادتك. لقد إرتفع العلم الوطني على الفار، رفعه صهري بيديه."

أوضح له فيزي مُتجاهلاً الموضوع "الأهم أن يكون هناك أمن وسلام."

"العلم الغالي القديم الأحمر، الأبيض والأخضر" أكمل فيسكور وكأنه في نوبة من الحماس الوطني وهو يراقب وجه فيزي الجامد "لقد أصبح لدينا الآن العديد من النقاط للإستقرار، نعم الآن عليهم البحث عن مكان أخر"

لاحظ فيزي وهو يحاول الحفاظ على غموضه أن فيسكور مُحبط ويائس، وكان فيسكور يناضل ليقول الكلمات المناسبة.

"في الواقع لقد أتيت من أجل الجرس" تمتم فيسكور "الجرس سيدي أعتقد رغم ضيق الوقت أنني أستطيع إصلاحه الآن."

"البطاريات هناك" أشار فيزي ناحية المطبخ.

"أعلم سيدي" إبتسم فيسكور وهو مجروح من أن سيده يعتقد أنه لا يعرف مكانها. "هل يمكنني إستعارة السلم المتنقل؟"

أحضرت كاتيكا (وهى في كامل أناقتها) السلم المُتسخ، ووجدوا صعوبة في وضعه في المكان الصحيح لضيق المطبخ وعدم إستيعابه، وكان المطبخ مُضاء بإضاءة خفيفة ولكنها جيدة لذا ففي الصباح يكون مُظلماً. أراد فيسكور أن يُشعل النور ولكنه لم يجد المصباح، لذا طلب شمعة.

حمل الشمعة وهو يصعد السلم ليبحث عن البطاريات. وهو في الأعلى بدأ يشرح لهم سبب الخطأ وبدأ يشرح بالتفصيل مُوكداً على صعوبة وأهمية تصليحه ولكن بطريقة عالية الجودة والإتقان وكان يراقب سيده من أعلى من حين لأخر.

وبينما كانت كاتيكا تُمسك له بالسلم كان هو متحمس للتعويض عن إهماله المتعمد في الأوقات الأخيرة. كان يتحسس البطاريات وهو يضع كل واحدة على حدة على طاولة المطبخ ثم قام بإستخدم مطواته في مسح التراب من عليهم ووضع ملح الطعام عليهم وغمرهم بالماء.

في هذا الوقت طرق الباب شخصٌ أخر، كانت إمرأة طويلة نحيلة بدون قبعة ترتدي فستان مميز إرجواني اللون.

"خادِمك، سيدتي" إنحنى فيسكور وهو يخرج من المطبخ، لم تجيبه فكرر "خادِمك، سيدتي". لم تهتم به السيدة ومشت إلى غرفة الطعام، تبعها فيزي وعانقها لم يستطع أن يُخفي السعادة الغامرة التي بدت على وجهه المُبتسم.

"هل سمعتِ ما حدث؟"

"كل شئ. يقولون أنه بحلول الليل سيحتلنا الجيش الروماني"

"هراء، لن تسمح القوى العظمى بذلك، بل سنصبح جيش مُتحالِف من الإيطاليين، الفرنسيين و الآنجليز. جابور تاتار أخبرني بذلك".

سوت المرأة شعرها الرمادي الأشقر الجميل وجلست على الكرسي الهزاز، وحدقت بطريقتها المعتادة في الفراغ من حولها تنظر على كل شئ وعلى الناس كأنهم ليسوا موجودين كأن شئ ما من حولها يجذب إنتباهها.

"أين كنتِ؟ لقد قلقت عليكي"

"كنت أبحث عن شئ ما، عن هذا." ردت زوجته وهي تهز الكرسي بلطف وتفتح قفازها الأبيض ليظهر منه جزء صغير ملفوف بورق الجرائد، ألقت به إلى الطاولة.

"ما هذا؟"

"زبدة" أجابت بإبتسامة ساخرة "لقد كلفتني ثلاث وشائح".

كان فيسكور يخشخش في المطبخ وهو يصعد السلم مرة أخري ليعيد البطاريات مكانها، سمعته السيدة فيزي وتجاهلته قائلة: "ماذا يفعل هذا الرجل هنا؟"

"إنه يصلح الجرس".

"وما الذي جعله يُكلف نفسه ويأتي الآن، ألم نطلب منه هذا منذ شهور!؟"

"لقد عرض إصلاحه من نفسه دون أن أطلب منه".

"ولماذا لم تطرده خارج المنزل؟"

"أتمزحي؟!"

"بالطبع لا، يجب أن تطرد هذا النوع من البشر خارجاً، هذا الشيوعي"

"أخفضي صوتك قليلاً، يمكن أن يسمعك"

"وماذا في ذلك؟ هل تعتقد أن ليس شيوعياً؟ هذا الخنزير الحقير، إنه شيوعي بالتأكيد، سأريه....."

فكر فيزي أن هذا ليس الوقت المناسب لمثل هذه الأشياء، ولكن بقسوة لم يكن يتوقعها قفزت السيدة من على كرسيها ومشت بخطوات سريعة في إتجاة الصالة وهى تنوي طرد الحارس خارج المنزل.

في هذه اللحظة سمعت صوت جرس وهو يرن يأتي من الشقة الكبيرة المهملة، يرن في إنتصار وإحتفال. لقد كان رنينه جديد مرح وكأنه زغرودة جددت روح الشقة من جديد، صوت جعل الجدران تهتز بإدراك ووعي جديدين.

كان فيزي في غرفة الطعام يتعجب من هذا الصوت، بينما زوجته تبحث عن كاتيكا ولم تجدها وإكتشفت أنها خرجت خلسة كعادتها دون إذن.

"لقد أصلحته" قالها فيسكور وهو ينحني ويمسك بيد السيدة فيزي يُقبلها بإحترام قبل أن تسحب يديها. أعاد السلم مكانه مرة أخري وهو يعلم أن لا تلك القبلة ولا إصلاح الجرس كافيين. فجمع شجاعته وبثقة يائسة همس في أذنيها وكأنه يُفشي بسر خطير.

"سيدتي" قال بعينين سابلتين "لدي فتاة لكي"

"ماذا؟"

"خادمة"

بالكاد صدقت السيدة فيزي أُذنيها، إعتقدت أن أُذنيها تُصفر أو أنها أساءت الفهم، نظرت إلى الحارس بعمق غير

مصدقة وعينيها تُطلق شرراً، كأنها غير سعيدة أن شخص ما عرض عليها ماسة.

"ليست فتاة مزعجة، أليس كذلك؟"

"على الإطلاق، إنها قريبة لي، فلاحة من البالتون".

تحمست السيدة بطريقة إيجابية، فلقد كانت تحلم منذ زمن بأن تجد خادمة بشكل خاص، ولكن فلاحة! ولكنها الوحيدة التي نالت إعجابها حتى الآن، لذا بالتأكيد لن تُهمل هذا الموضوع، لذا فلقد نست أمر زوجها تماماً ودعت الحارس إلى المطبخ وأشارت إليه ليجلس وعلى ضوء الشمعة المتقطع شرح لها مواصفات الخادمة بالتفصيل.

وعندما أنهوا كلامهم قامت شخصياً وودعت فيسكور إلى الباب ثم عادت إلى المطبخ، وإلتقطت وشاح كاتيكا الذي تركته في المطبخ وحملته بين إصباعيها وشمته ثم رمته على الأرض بإشمئزاز. ووضعت مرأة كاتيكا جانباً وأغلقت نافذة الفناء وبدأت في إعداد عشاء من الشاي والخبز المحمص.

(٣)
العشاء الحامض

ذهبت السيدة فيزي لتتأكد أنه لا يوجد أحد عند الباب الخارجي، ثم إتجهت إلى غرفة الطعام.

"ماذا تفعل؟"

"فقط أُجربه" أجاب فيزي "إنه يعمل".

"لاحظت ذلك".

"هل تعتقدي أنه قام بعمل جيد؟"

"يمكنك السمع بنفسك".

"أتمني أنك لم تقولي له شيئاً".

"لا لم أقل، إتركه الآن" صرخت فيه وهو يجرب الجرس مرة أخرى "لماذا تلعب به؟ إنك تُشبه الأطفال"

"أنا جائع، أريد بعض العشاء".

"ولكن لما تستخدم الجرس؟"

"أُنادي على كاتيكا".

"سموَّها خرجت منذ ساعات".

"أين؟"

"أين؟! وأين تذهب عادةً، تتمشى".

" الآن؟"

"نعم، الآن".

"ولكنه ليس مسموحاً لأحد أن يخرج إلى الشارع".
"ومنذ متى وهى تهتم بذلك، لقد عاد لاجوس".
"لاجوس هناك؟"
"نعم هو، وصل في زورق".
"ومتى ستعود؟"
"ليس لدي أي فكرة" ردت السيدة فيزي وقد فاض بها الكيل "عند منتصف الليل، على أي حال فأنا أعلم أن الفجر سيحل وهى لم تأتي بعد" قالت السيدة فيزي وكأنها تتناقش مع نفسها.
"هل معها مفتاح؟"
"أعتقد ذلك".
"جيد جداً" تمتم فيزي " إنه لشئ جميل بالنسبة لها ولكن علينا أن ننام بعيون فاتحة فقد تُحضر معها شخص ما".
"لا تتفاجأ فلا يمكننا التظاهر بأنها لم تفعل ذلك من قبل، لقد أضحكتني بالفعل" إلتفتت بسخط وضربت الباب خلفها بقوة كما تفعل كاتيكا دائماً.
وبينما هي في المطبخ أحدثت ضجة كبيرة من إصطدام الأطباق وأدوات المائدة، فهى تحتاج الآن إلى أي منفذ لتُنفس عن مشاعرها، وعندما تعبت من التفكير في كيف ستكون النهاية وكيف ستتخلص من هموم الحياة الكثيرة مع سيدها، تحول غضبها إلى فوضى ولعدة دقائق إعتقدت-على الأقل بالنسبة إليها- أن كل هذا بسبب خطئه هو.
أحضرت العشاء على صينية خشبية وكان عبارة عن كوب من شاي وقطعتين من الخبز والزبدة التي أحضرتها هذا الصباح.

نظر فيزي إلى الطعام، وهو الذي لم يأكل على الغذاء سوى القليل من الكبدة وبعض الخضراوات، ولمح شاي العشب الأخضر وقطع من خبز الذرة الأصفر والأسود والتي لم تبدو شهية على الرغم من أنها مُحمصة، تسأل فيزي عما إذا كان هناك شئ أخر.

"وماذا كنت تتوقع؟"

"أنتي حتى لم تضعي الطاولة؟"

"لكننا لم نعتاد على وضعها في المساء".

"لا بأس" تنهد فيزي "هذا يفي بالغرض".

وضع فيزي رأسه بين يديه مثلما يفعل عندما يحدث خطأ في أمر من أمور المنزل، وظل هكذا لبعض الوقت فلقد كان يحلم بمفرش المائدة الأبيض والأطباق البورسلين المنقوشة باللون الوردي والخمر في الزجاجة البلورية التي إعتاد على لمعانها على الطاولة عندما كان يتعشى مع أصدقاءه من الوزارة.

"ألن تأكلي؟" قالها ليعكر صفوها.

كانت السيدة فيزي نادراً ماتتعشى لأنها تُعاني من عسر هضم عصبي منذ سنوات، وبعد الأحداث الأخيرة من النظام الشيوعي زادت حالتها سوءاً، وعندما أحست بالمادة الحامضة في معدتها أخرجت صندوق كرتوني ومدت لسانها الذابل وابتلعت ثلاث حبوب خضراء داكنة عندها أحست بقشعريرة.

كان زوجها يتمتع بصحة جيدة لذا فلقدكان يلتهم الأكل بكل سهولة ويسر، وكان يمضغ بشراهة ويطحن الشرائح الجافة من خبز الذرة اللاذع الحلو وقد وضع عليها آخر ما تبقي من الزبدة، التي إنتهت بالكامل ولكنه مازال يتضور جوعاً لذا أضاف بعض السكرين إلى الشاي وقلبه، على الأقل حلى الشاي قليلاً.

وبينما كان يشرب الشاي، بدأ في رواية قصة إجتماعه في يوري أوتكا مع جابور تاتار الذي أخبره أن كل شئ قد إنتهى. فلقد إتفقوا على أساليب إجتماعية للأنتاج، وأن يجب عليهم أن ينسوا الوعي الذاتي الثوري ويوقفوا شن الهجمات على المواطنين الكادحين الشرفاء.

كانت السيدة فيزي نادراً ماتتعشى لأنها تُعاني من عسر هضم عصبي منذ سنوات، وبعد الأحداث الأخيرة من النظام الشيوعي زادت حالتها سوءاً، وعندما أحست بالمادة الحامضة في معدتها أخرجت صندوق كرتوني ومدت لسانها الذابل وابتلعت ثلاث حبوب خضراء داكنة عندها أحست بقشعريرة.

كان زوجها يتمتع بصحة جيدة لذا فلقدكان يلتهم الأكل بكل سهولة ويسر، وكان يمضغ بشراهة ويطحن الشرائح الجافة من خبز الذرة اللاذع الحلو وقد وضع عليها آخر ما تبقى من الزبدة، التي إنتهت بالكامل ولكنه مازال يتضور جوعاً لذا أضاف بعض السكرين إلى الشاي وقلبه، على الأقل حلى الشاي قليلاً.

وبينما كان يشرب الشاي، بدأ في رواية قصة إجتماعه في يوري أوتكا مع جابور تاتار الذي أخبره أن كل شئ قد إنتهى. فلقد إتفقوا على أساليب إجتماعية للإنتاج، وأن يجب عليهم أن ينسوا الوعي الذاتي الثوري ويوقفوا شن الهجمات على المواطنين الكادحين الشرفاء.

كان لفيزي سببه المقنع لكرهه اللا نهائي للأحمر، فلقد قام الشيوعيين بتجوعيه فعندما تولّت البلدية السلطة قامت بتقليل كادره الوظيفي وإنقاص مُرتبه للنصف، وقد كانوا مُشوشيين ومُضطربين من أن يُعطوه كما كان يأخذ سابقاً ولكن ما الذي يمكن أن يشتريه بهذا المبلغ؟ دمرت هذه الحرب فيزي

تماماً، فعندما إندلعت تلك الحرب إنخفضت قيمة جميع أمواله (والتي كانت تبلُغ مائتين وخمسون ألف كرونة ذهبية) وصارت سندات حرب وأوراق مالية، ولقد كان لديه ثقة تامة في الجيش الألماني. فقط بقى لديه هذا البيت ذو الثلاث طوابق والذي لم يكن يدر عليه أي دخل أو مكسب، وكانوا يقيمون في أربعة غرف في الطابق الأول والطابق الثاني مُقسم إلى شقتين يقطن إحداهما ممارس عام يُدعى ميكلوس موفيستر والأخرى يقطنها محامي شاب يُدعى سيلارد دراما، وكان المنزل يقع بالقرب من موزدوني أتكا حيث يمكنك إلقاء نظرة سريعة على شباب الليننون، وكانوا قد إحتجزوا دراما كرهينة وظل مسجون لمدة شهرين وكانوا يضايقون الطبيب رجل الدين بإستمرار، وفي زيارتهم الأولى لفيزي ألقوا القبض على زوجته حينما كانت تلوح بمفرش المائدة من النافذة وإتهموها بإنها كانت ترسل إشارات سرية لقوات الثورة المُضادة، ونقلوها إلى البرلمان وفي المساء أطلقوا سراحها لتعود إلى المنزل وهى مُحطمة الروح والجسد. وفي صباح اليوم التالي جاء موظف شاب يتباهى في مشيته وهو يتابع وبكل وقاحة مُصادرة غرفتين من غرف المنزل: غرفة الطعام التي كانوا يقضوا فيها معظم أوقاتهم وغرفة الرسم المجاورة، ومن حسن الحظ أن النظام إنهار قبل أن يُفرض عليهم أي نُزلاء.

ولكن كان الأسوء من كل ذلك أن فيزي أصبح مُداناً لعالم النسيان السياسي، فلقد كان طموحه بلا نهاية وبلا أي إحتمال لأن يجد فرصة ليتجدد ويتقدم إلى الأمام تماماً كالطاحونة التي بلا حبوب والتي تدور وتطحن سدى بلا أي أهمية، كانت تلك الشهور هى شهور من اليأس والإحباط بالنسبة إلى فيزي.

تعود فيزي على أن يكون مُتحفظاً فقد كان رجل مُتجهم كئيب لا يتاقش مع زوجته في أي أمور ولكنه الآن تغير وإعتاد على الكلام والمناقشة. لمسافات طويلة في تلال بودا أو خلال الجلوس في المنزل إنتظارا للزيارة اللعينة، ألقى عليها محاضرة عن عقيدته السياسية الشخصية وعن أولئك الشباب المُشاغبين الذين كانوا سبب تعطيل الوزارة.

أصبح من الصعب عليه الآن إستئناف حياته الروتينية القديمة، وبينما هو يشرب الشاي ويتجول في المنزل بشموخ ويتناقش عن فعاليات الثورة المضادة والتي يعتبرها فترة تاريخية مريحة لذهنه.

"هل تتذكرين؟" ظل يسألها "هل تتذكرين؟"

وبدأ في ذِكر معارفه الذين شُنقوا، وزميل دراسته الذي أُعدم أما مبنى البرلمان لأنه كان يوزع منشورات في الكنائس، واللودفيكانس هؤلاء الأولاد من الأكاديمية الحربية الذين كانوا يُعرفون بصعاليك الثورة المضادة.

"ثم كانت هناك القوارب والمراقبين، هل تذكرين عندما إقتحموا الدانوب أثناء تلك السحب الدخانية؟ لقد كنت أحلق وقتها وأعتقدت أن الشيوعيين هم من يطلقون الرصاص، وقد أسرعنا إلى التاتار لنشاهده من العلية، وإحتشد الناس مثل النمل على الجسر، ذلك عندما قتلوا بيريد المسكين، طبيب الأطفال المشهور".

تردد فيزي قبل أن يُكمل.

"ثم، بالطبع، في موكب عيد القربان وهو نوع مختلف تماماً من القضية، حيث يدور شخص مفوض على دراجته وهو يُقسم عند المذبح المُقدس، لم يتركوه هو أيضاً حسب بعض الشهود، فلقد طرحوه أرضاً حتى لا يستطيع الحركة وحملوه إلى

البوابة وأشبعوه ضرباً حتى الموت. وكما يبدو أنها كانت الضربة القاضية".

لكن الشئ الأكثر إثارة ذلك الشئ الذي كان بدايةً كل ذلك هو ظهور كريستينا، كانوا يتابعون تقدمها من أماكن قريبة.

"وبمرور الوقت، ظهر مجموعة من الإرهابيين الملثمين بالسواد على شاحنة وبدأوا في إطلاق النيران على الكنيسة، وجرت الحشود الخائفة إلى المدرسة التي كان يُجند فيها الرجال لدخول الجيش، ولكنكِ لم تكون موجودة من البداية بينما كنت أنا هناك، فلقد بدأت بالحشود وهى تلوح بإغطية رأسها، وقد بدت كأنها كتلة بيضاء فلقد توقف الترام وأزال الناس قبعاتهم وغنى الجميع السلام الوطني، لن أنسى هذا المشهد طول العمر، ثم قاموا بتنكيس العلم الأحمر وإحراقه والتي أشعلت الشعلة فتاة شقراء أمام الكيميائيين، ولكن عندما إبتدأ وابل الرصاص هرع كل منا إلى منزله. لقد كان يوم عاصف وكانت هناك فتاة صغيرة تجري أمامنا وهى تحمل الكتاب المقدس المغطى بالعاج والشئ المُحزن إنهار أمام منزلنا وكان هناك الكثير من الإثارة بالنسبة إليها فقد وقعت على الرصيف هناك مثل قطعة من الخشب ولم تخبرنا أي شئ عن نفسها، ألا تتذكريها لقد أحضرتِ لها كوب من الماء؟"

هذه أيضاً تعتبر معجزة فقد أصبحوا يتكلمون عنها الآن بكل إنفتاح وبصوت عالي دون الخوف من أي أحد، لم تبد السيدة فيزي أي رد فعل وكانت عينيها الرمادية مُتسعة تُحدق في مكان ما بعيد، وبعد صمت طويل قالت: "غداً ستكون نائمة مرة أخرى".

"من؟"

"كاتيكا، ستكون ماتت قبل التاسعة كالعادة".

"ماذا هي". كان فيزي كالتائه في الزحمة بينما التاريخ يُسجل نفسه والقدر يتحكم بلا رحمة في أوراق حياتها. "لماذا سمحتِ لها بالخروج؟ يجب أن تكوني أكثر حزماً معها".

"أنوي بالفعل أن أكون كذلك، سأعطيها إنذار بذلك" قفزت فجأة قائلة "يجب عليك أن ترى النظرة السوداء التي تنظر إلي بها عندما أقترح عليها أحياناً أن تجلس بالبيت في المساء" ثم قلدت كاتيكا وهى تنوح وتندب "لن أعود إلى المنزل مطلقاً إذا كنتِ تريدين ذلك" يالوقاحتها! وإستمرت في شرح وتقليد مشي الخادمة.

كان زوجها يشاهدها بذهول بينما ظلت زوجته تمثل تلك التمثيلية الصاخبة وكأنها ممثلة تؤدي دورها أمام الجمهور المدعوُ، شعر بأن عليه أن يقول شئ ما، فسألها "وماذا فعلتي؟"

"فعلت؟ الذي أفعله دائماً، كم أتمنى أن أركل ذلك الجزء الكبير من ....".

"أنتي تعلمين ماذا يشبه أولئك الناس".

"كل ما يُهمهم هو الأكل بنهم" قالت وهي تندب "يأكلون ما يكفي لشخصين ليس ما يكفيهم فقط، والتسلية مع الجنود، هذا هو كل ما يشغل بالهم، ولكن هذا الرجل" إنحنت لتهمس في أُذنيه "فوق ذلك كله، هذه المرة ليست هي أفضل الأحوال".

"لماذا، ماذا بها؟"

"إنه مجرد حالتها" أكملت بإهتمام وهي تنظر إلى زوجها بنظرة مُرعبة.

"لكنها لم تُظهر ذلك".

"لقد رأيت ذلك على ملابسها".

"بعد كل ذلك فهي لاتزال بدينة".

"لذا هذا هو سبب أنها مُنتفخة، إنهم مثيرين للأشمئزاز وأخيها ذلك سائق الشاحنة أيضاً جاء هنا (ذلك الفوضوي المخرب)، لقد أصبح منزلنا كأنه بار عام، أصبح الواحد يشعر بالخوف وهو في بيته، إننا نحتضن أفعى سامة وندفع لها كذلك، يالها من سعادة ألا أرى ذلك الوجه العجيني القبيح!".

"تريدين خادمة أخرى؟" سأل فيزي بذهول "إنسي ذلك فكلهم يُشبهون بعض".

تنفست السيدة فيزي بعمق وكانت على وشك أن تحتج ولكنها قررت أن تكتم سخطها وتخفيه في الوقت الحالي، فهي لم تُقابل في حياتها أحد يشبه تلك المخلوقة الهمجية، كانت كاتيكا كسولة ووقحة وكانت شخصية سوقية غير أخلاقية، قبل كل شئ سوقية، لقد كانت تتعامل في المنزل وكأنها صاحبته كـأنه لا يوجد شئ تفعله لأولئك الناس الذين تعيش معهم، فمثلاً عندما كانوا يسألونها في الصباح ماذا تنوي أن تفعل على الغذاء كانت تعبس وتُجيب بأنها لا تهتم، هل تصدق ذلك! وكانت ترفض أن تُنظم حاجيات المنزل وتترك ذلك لمُديرها فكان هو من يذهب إلى البقال كالخدم القذرة وكان كل ما كانت تفعله هو التجول في الشوارع حتى وصلت إلى نقطة الآنهيار، في أثناء ذلك كانت كاتيكا بالخارج تتسلى مع فتاها ذو وشم البحار المُقزز لاجوس هاك الذي أنفق عليها ثروة السماء فقط هي التي تعلم من أين جاء بها.

ليس ذلك كل شئ، بل لم تكن تتكلم معها بطريقة مُهذبة فقد كانت تُجادلها، تأمرها وتُحاضرها، كل ذلك كان هباء كان يدخل من أذن ويخرج من الثانية، الشئ الذي كانت تهتم به هو أن سيدتها ضعيفة وأنها فقدت الكثير من وزنها خلال عملها حيث أصبحت نحيفة؟ لم يكن يهمها أن تترك كل المهام لسيدتها

جميع المهام حتى تنظيف وتلميع الأرض كانت تقف وتتركها تقوم بذلك، تلك الوقحة.

كانت السيدة فيزي تقف مكتوفة الأيدي وهي مُكتئبة من معاناتها الطويلة، كانت تفكر كيف هم باقي الخدم؟ وهل خادماتها القدامي كانوا أفضل من كاتيكا؟

بالطبع لا، مقارنة بالخدم الذين كانوا قبل كاتيكا، كانت لوجزا هيرينج أسوء من الغراب لقد كانت تسرق كل شئ وخاصة أغطية الرأس وقد طردتها على الفور وظلت بلا خادمة لمدة شهرين، ففتيات الطبقة العاملة لصوص سيئي السمعة فواحدة منهم سلبت ساعتها الذهبية التي ورثتها من والدتها والأخرى سرقت الريش من لحافها. والفتيات الريفية مثل أورزي قارجا كانوا يعملون بجد ولكنهم كانوا يأخذون بعض الأشياء إلى منازلهم مثل المربى والأعشاب ومثل ذلك، وكانوا يأكلون! ياربي كيف يأكلون كل ذلك! كانوا يأكلون كل شئ في البيت والمنزل حتى عندما كانوا ينظفون كانوا يمضغون الخبز بصوتٍ عال، وكي أكون عادلة كانت هناك بعض الأسباب لذلك فلقدً كانت أمهاتهم تمنعهم من العيش كخدم فيمكن أن يغريهم الناس. الألمان نُظاف ولكن غير موثوق فيهم، الشيوعيين يعملون بإجتهاد ولكن لا أخلاق لهم. كما كانت كارولين التي كانت تواعد شخصين في نفس الوقت، أحدهما عريف في سلاح المشاة والثاني كان كاتب مشهور حيث وجدوهم في المنزل عندما عادوا من رحلتهم الصيفية.

من يعلم من هي حقيقتهم؟ فعلى سبيل المثال كانت ليدي تلك المربية ذات الضفيرة المضحكة في أعلى رأسها، ومن يصدق! لقد كانت قبيحة مثل الخطيئة ولكن في صباح يوم ما عثروا عليها في المطبخ نائمة وفراشها مُلطخ بالدماء وقد فقدت

وعيها من كثرة فقدانها للدم وكان وجهها شاحب وتحتاج للتنفس وجاءت الإسعاف في الوقت المناسب تماماً لتنقلها إلى المشفى فقد كانت تحاول إجهاض نفسها بطريقة غير شرعية، حيث كانت تخرج مع أي شخص حتى لو أرسلوها لشراء خمر أو بيرة كانت تعثر بسرعة على رجل لها، فقد كانت إشارة لجميع المحلات والمتاجر المحلية.

وكان أولئك أصحاب الأخلاق ليسوا أقل صعوبة، حيث كانوا يكسرون الأشياء، يحرقون الملابس عند كيها ويمؤون كالقطط طوال اليوم من الصباح حتى المساء يذهبون إلى حدائق هورفاز، يقرأون المجلات المسرحية.

كانت واحدة ثرثارة والأخرى كثيرة الأكل، فقد كانت تترك الخضراوات وتريد أن تأكل الحلويات واللحوم الجيدة كما يأكل أسيادها وكانت دائمة التذمر وتقارن بين الآن وحياتها السابقة وكيف كانت تأكل لحم الخنزير المُقدد على الفطار، وحتى مارجيت السابقة التي كانت تلمس الأشياء بأطراف أصابعها كي لا تتسخ وهي المُتسخة أصلاً فلقد كانت تتمرغ في القذارة، كان التراب مُتكوم بطبقة كثيفة على الأثاث والأكواب لزجة وكانت تُلقي بأدوات المطبخ-السكاكين، الشوك وباقي الأدوات- في الدرج كما هي مُشحمة وغير نظيفة، لحسن الحظ أنها لم تبقى كثيراً.

المشكلة الوحيدة أن الآخرين كانوا يرحلون، كانوا بالكاد يأتون ولكن لا أحد ظل لأكثر من ستة أشهر، وكانت مدام أوكروس هنا منذ ساعتين تعيد المُقدم الذي أخذته وفوقه واحد من المئة فائدة.

لم تكن السيدة فيزي تخاف من التجربة، لذا فقد جربت كل فتاة تأتي إليها حتى أنها جاءت بفتاة من الميتم وحاولت أن

تُربيها ولكنها كانت الأكثر وقاحة على الأطلاق، كان يكفي ثلاثة شهور لتطردها بعد الفضيحة التي قامت بها، وقد شكرت ربها على أنها تخلصت منها. بعد ذلك كانت هناك ماري وفيكتور وإلونا وإيما زكاريس وبوسكا، بوسكا رزساس؟ أكان هذا هو إسمها؟ أي واحدة كانت تلك؟ لقد أتاها فوج كبير من النساء من كل شكل ولون منهم الشقراء، السمراء، الرفيعة والبدينة كل هؤلاء النساء مروا عليها في منزلها خلال سنوات زواجها العشرين، وقد أصبحت لا تتذكرهم بشكل كامل فمنهن من تقدم بها العمر وهناك من فقدت حياتها بالكامل وأخري من أصبحت مجرد جسد بلا رأس، إستمرت لفترة من الوقت في البحث في تلك الغرفة الخشبية الغريبة ثم ألقت بكل ذلك الخليط البشع من الخادمات ورائها فقد كان هذا البحث غير مثمر على الإطلاق فلم تجد منهن من أراحها فهى لم تستعدي أحداً لمساعدتها، لقد خدعها الجميع وإستغلوا الثقة التي أعطتهم وظيفتهم إياها، وكل مرة تُعاني من المهمة المُرهقة ألا وهي العثور على خادمة جديدة كأنك تعيش تحت لعنة ما، وقد إعترفت أن زوجها كان على حق: إنها واحدة فقط جيدة من كل ستة أفراد أي نصف دستة فقط.

وقد إستقرت في النهاية على كاتيكا وقد كانت أكثر من كرهتهم على الإطلاق وكانت تكره وجودها في المنزل فقد كانت هي من زادت من بؤسها، في ذلك الوقت كان زوجها لايزال يتحرك في الغرفة يحمل عقد إجتماع اليوم التالي للمندوبين الذين يستغرقون وقت مناسب وجهً لوجه مع الموقف السياسي الحالي.

جلست السيدة فيزي على كرسيها وقد سرحت بعيداً بعيداً كعادتها وقد صار وجهها عابس ومُظلم.

وإذ فجأةً إختفى العبوس من على وجهها وصار أكثر إشراقاً كما لو أنه أُضيئ بمصباح يدوي كذلك الذي يستخدمه الطبيب للكشف على الحلق "هناك فتاة يمكن أن تكون جيدة".

"ممتاز" تمتم فيزي.

"ممتاز" قلدت زوجها بسخرية "أنت حتى لم تكن تسمعني".

"بالطبع أسمعك، من رشحها لكي؟"

"فيسكور".

"ومتي ستبدأ العمل؟"

"لقد عينتها من هذه اللحظة".

"ومن أين هي؟"

"ليس بعيداً من هنا، من أروك أوتكا".

"أين هذا المكان؟"

"بعض الناس يسمون باتروس"

"ماذا يمكن أن يكونوا؟" كان فيزي يفكر ملياً

"باتروس....باتروس...دعيني أتذكر، لا" هتف فيزي وهو مرتبك وحيران "أنا لا أعرفهم".

"ومن أين لك أن تعرفهم" أجابته السيدة فيزي وهي لم تعد تحتمل تردد زوجها "كيف تتوقع أن تعرف كل شخص هنا، إنك لتقول أشياء غريبة".

"وماذا يفعل هذا الزميل بارتيك؟"

"لعلمك بدايةً إسمه هو باتروس" أصلحت له الإسم "إنه مفتش إيرادات، ماذا ممكن أن يفعل مفتش الإيرادات هذا؟ ليس لدي أدنى فكرة".

"إنها وظيفة مالية، هو يتعامل مع الربح ولديه القسم الخاص به ويقوم بالتفتيش في البلد كلها".

"جيد هذا مُلائم فيبدو أنه سيبقي بعيداً مدة طويلة وهو أرمل ولديه طفلان".

"وماذا عن الفتاة، أهي مُلائمة، كفوء وتعمل يجد؟"

"وكيف يمكن لي أن أعرف ذلك؟ أنا أعرف ماتعرفه أنت أيضاً، ولكن يرى فيسكور أنها جيدة".

"في هذا الوقت ستطردين كاتيكا".

"ماذا؟!، ونظل مرة أخرى بدون خادمة؟، لا لا يمكن ذلك".

"حسناً، لا تطرديها".

"كل ما أخبرني به فيسكور" وقد أصبح صوتها أكثر صلابة " أنها يمكن أن تكون موجودة قريباً، ممكن!"

"إذا يجب علينا أن نقوم بشئ ما يجذبها لتعمل معنا، وهذا ليس بالشئ الهين، على كل حال أعلم أنه يمكن أن تكون صفقة سيئة".

كان فيزي يكره هذه المناقشات التي تدور في دوائر لا نهائية، ولكن لا مفر منها.

"لماذا لم تقبلي بشخص آخر بدلاً منها؟ فهناك الكثير الذين عرضوا عليكي خادمات؟"

"من هم على سبيل المثال؟"

"السيدة موفيستر"

"السيدة موفيستر يجب أن تخرس، فأنا لا أريد تعازيها، "آه عزيزتي المسكينة، آسفة جدا لكِ على ذلك السيل المتواصل من الفتيات المروعة ولكن لو أنك تنتظري فسوف أجد لكي واحدة تناسبك" وهي تخبرني بذلك منذ سنتين فكل ما تفكر فيه هو المسرح، الليالي الأولى وقراءة الشعر".

" وماذا عن السيدة دراما؟"

"كما تعلم فإنها غيورة، ويُسعدها أن تراني وأنا أُعاني، فقط تأتي إلى هنا لتتعجب من كاتيكا، طبعاً فذلك سهل جداً بالنسبة إليها، لأن ستيفي تفعل كل شئ فهي تُمرض الأطفال وكذلك بالنسبة إلى موفيستر فإن إيتال تعمل معهم منذ عشرين عاماً وهي تساعد ذلك الطبيب ويمكن كذلك أن تُساعده في جراحاته، وسيدتها لا توجد بالمنزل أبداً ويدفعون لها نصف ما نُعطي لكاتيكا وأيضاً لا يُقدمون لها أي طعام جيد كما نفعل نحن ومع ذلك فلم تتركهم وظلت معهم، الرب فقط يعلم لماذا، أظن أنه الحظ فكل ما نريده هو بعض الحظ، بعض الناس محظوظون أما نحن فلا، لا أعلم ماذا فعلنا لنستحق ذلك، حسناً" تنهدت وهي تخلع ببطئ دبابيس شعرها "الواحد يُعاقب ويدفع ثمن هذا العقاب ويظل يدفع، هذه الحياة لا تستحق أن نحياها".

أصبح فيزي أكثر كآبة وعرض عليها أن يذهبا لينام فالساعة قاربت على العاشرة، حيث يمكن رؤية الضوء من خلال النوافذ ويجب عليهم أن يُطفئوه حتى لا يراهم جندي الدورية، كما فعل في يوليو وأطلق النار على النافذة.

"لماذا لا تأتي لتنامي" طلب منها فيزي وقد أستعد بالفعل لينام ولكنها ظلت واقفة بالباب كأن الغرفة مُجمدة.

"تعالي" قالها وهو يضغط عليها "ماذا بك؟" كان مُندهش من سلوكها، "إنك مثل الأطفال، دائمة القلق بشأن الخدم، لا شئ سوى الخدم، حقاً إنه لشئ سخيف وتافه! أخبريني أيستحقون كل ذلك؟ كل ذلك بسبب الخدم؟ ألا تخجلي من نفسك؟"

صعدت السيدة فيزي إلى السرير وهي تنظم الغطاء ولاحظ فيزي أنها تبكي.

"أنجيلا" توسل إليها وقد جلس على الكرسي يراها وهي تُمهد الوسائد بينما الدموع تتلألأ وتتدحرج على وجنتيها، مثلما تفعل أستا نيلسين في أفلامها، "قلقك مثل أي شخص آخر مر بمثل تلك الفترة المخيفة ولكنها إنتهت الآن، وهناك عهد جديد على وشك البدء، نعم عهد جديد وسعيد بالكامل ويجب علينا أن نبدأ حياتنا الجديدة، فاليوم ٣١ يوليو ١٩١٩ ليس بيوم عادي، بلى إنه يوم تاريخي".

جذبت السيدة فيزي الشال الذي على شعرها.

نام الأثنين معاً على سرير واسع حيث مضى وقت طويل وهما لا يفعلان شيئاً سوى النوم، أطفئ فيزي النور وحل الظلام على كل شئ، وكان الظل يجري على الأرض مثل الأمواج، وفقد الأثاث معالمه وإمتزج مع الحائط.

فجأة جلس فيزي مُستقيما وهمس قائلاً " يمكنني سماع صوت إنفجار القذائف".

"لا" أجابته السيدة فيزي والتي إستيقظت وجلست مثله أيضاً.

"إنها قذيفة بالفعل، بالقرب من فيرميوز".

ولكن الآن كان هناك صمت وهدوء سوى صوت الهواء يرتعد والسيارات تمر سريعاً إلى الفار والتي في مثل تلك الأوقات من التغيير السياسي تعمل بثبات كتسجيل للدولة، في الحقيقة كضغط دم البلاد بأسرها، وأيضاً صوت نباح بعض الكلاب.

"ربما يكون فقط إنفجار إطار سيارة" إقترحت السيدة فيزي. "أخلدي إلى النوم" كانوا في خلال الأشهر القليلة الماضية إعتادوا على النوم على صوت القصف بالقذائف والصواريخ ببساطة مثلهم مثل الجنود في الخندق.

بعد عدة دقائق قالت السيدة فيزي "أعتقد أنه يمكن أن نُجرب هذه الفتاة".

"إذا جربيها" تثاءب فيزي "إفعلي ما تشائين، جربيها، ليلة سعيدة، إخلدي إلى النوم".

ولفترة من الوقت ناما بجانب بعضهما وفوقهما الغطاء الصيفي الرفيع، ثم إشتعل ضوء غريب بجانبهما، فجأء وقفا هما الإثنين وتركا بعضهما ومشوا خلال الحوائط بمرور سنوات طويلة مضى كل منهم في طريقه وعبروا مناظر طبيعية غير مألوفة، وكانوا يرتدون بالكامل أزياء مسرحية غريبة، وكأنهم في قبضة المعجزات الأكثر عادية: لقد كانوا يحلمون.

÷

(٤)
القـلـــق

إستيقظ كورنل فيزي بحذرو كان يلف نفسه ككرة مثل القنفذ ليشغل أقل مساحة ممكنة، ومن أسفل المأوى الذي صنعه من الوسائد البيضاء كان يقول بعض الجمل الغامضة ويضحك في وجه خصومه الشيوعيين، حتى في منامه فهو يظل سياسي.

عندما استيقظ في الصباح كان يشعر وكأن حياته البائسة أخذت منحدر درامي أفضل، ولأنه ظل يفكر ملياً في بعض الأمور طوال الليل فقد إستيقظ وقد نسى تماماً أحداث اليوم الماضي، بمجرد أن إستيقظ صفى الواقع ذهنه من جديد وأعاد إليه روحه الفكاهية السابقة التي أصارت أكثر يقيناً، أكثر رواية وأكثر جاذبية في هذه الفترة.

تمدد مرة واحدة ونزل من السرير، كان هناك كوباً من الماء يتلألأ كالفضة على الطاولة بجانب السرير، قرر فيزي ألا يفطر وأن يذهب ليتمشى، كان كل من يراه يعاود النظر إليه مرة ثانية فقد كان متألقاً كأنه من عصر ماضي وقد عاد إلى الحياة مرة أخرى، حيث كان يرتدي بدلة رمادية اللون مثل لون الحمام، وقميص أبيض مغسول حديثاً وربطة عنق أنيقة، كان معارفه وكذلك الغرباء في الطريق يلقون عليه التحية كلما مر بجانبهم،

كان حذائه يلمع مثل الضوء وكأن قنبلة إنفجرت في قدميه وإنهمرت شرارتها الذهبية عليه.

كانت زوجته لاتزال نائمة تتنفس برفق وكان وجهها شاحب، كان إستيقاظها يختلف عن زوجها بشكل ملحوظ وكأن هناك صدمة مروعة في إنتظارها.

على الرغم من أنها تنبأت أن كاتيكا لن تعود قبل الفجر إلا أنها لم تصدق نفسها وكانت تعتقد أنها ستعود باكراً، لكن عندما إستيقظت في التاسعة وجدت الطاولة كما هي غير نظيفة، وإبريق الشاي لازال ممتلئ والأطباق لاتزال مُتسخة، إندفعت السيدة فيزي إلى المطبخ الفوضوي الغير نظيف وذهبت لتتفقد غرفة تلو الأخرى وهي تائهة تماماً وكأن هناك غصة في حلقها، هناك في غرفة المعيشة كان البيانو مُندفع إلى ركن الحجرة والمرايا موضوعة على قمته وكل شئ مُغطى بالجرائد وكأنه شخص مُتوفى، وأسفل تلك الجرائد وجدت سلة مليئة بالملابس وفي غرفة الطعام عثرت على سلة الغسيل وذلك البوفية القديم المُتهالك واقف قريب جاهز للإستخدام في حالة إذا ما حاول الغوغاء والرعاع شق طريقهم إلى هناك، كان كل شئ مقلوب رأساً على عقب وكأن ضوء النهار أتى وأتى معه كل مخاوف ووَيلات الحصار.

كانت الستائر واللوحات قد إختفت، وظلت الجدران عارية إلا من ذلك الصليب الذي رفضت كاتيكا أن تزيله على الرغم من توسلات زوجها، وهناك على تلك الخازنة كانت توجد صورة لبيروسكا (طفلتها الوحيدة ذات السنوات الست) مُحاطة بالورود والشموع وكأنها راقدة في النعش، كانت بيروسكا في عامها الأول في المدرسة عندما عادت إلى البيت من المدرسة في صباح الأول من إبريل وهي تشتكي من صداع

ودخلت إلى السرير لترتاح وبحلول المساء كانت قد ماتت، فقد خطفها وباء الحُمى القرمزية في ست ساعات فقط.

كان زوجها بالخارج كأنه يتجول حول العالم مُنغمس في التفكير في شئوونه ومغامراته، كانت تعلم أنه يضحك عليها فبعد وفاة إبنتها ذهبت السيدة فيزي إلى المصحة لسنوات ومنذ ذلك الوقت بدأ في الإبتعاد عنها وكان لا يُظهر لها ذلك ويبتعد بأدب ورقة ومنذ ذلك الوقت هو يخدعها ويضحك عليها.

ثم جاءت تلك الوقحة التي لا تعود إلى المنزل في ميعادها مُطلقاً، كانت كاتيكا تجسيد لكل معاني البؤس في حياة السيدة فيزي، وفي محاولة منها للتخلص من إحباطها أخذت السيدة فيزي المنفضة الريش وبدأت بشراسة في إزالة التراب عن كل شئ، وفي ذلك الوقت كانت تفكر في كيفية طرد تلك الخادمة.

عندما قاربت الساعة على العاشرة صباحا عادت كاتيكا إلى المنزل بعد أن أمضت الليل مع صديقها البحار يحتفلون بعودته، كانت نعسانة وملابسها غير مُنظمة وأحمر شفاهها مُلطخ وتنبعث منها رائحة خفيفة من الخمر.

وبينما كانت السيدة فيزي تحاول السيطرة على نفسها كانت صوتها يرتعش ببعض الإثارة وهي تُخبر الفتاة أنه يجب عليها أن ترحل في الخامس عشر من الشهر.

بعض الناس يتجاوبون مع أمر الطرد بصمتٍ وقح، لم ترد الفتاة بل أخذت المنفضة من أيدي السيدة فيزي وذهبت لتُنظف كانت تُحاول إخفاء مشاعرها المجروحة.

شعرت السيدة الآن بالخوف من أن تطرد خادمتها بدون أي إحتمال مُؤكد بأن تعثر على غيرها، شعرت بأن العالم كله ينهار من حولها فأسرعت إلى فيسكور.

كان فيسكور في ذلك الوقت يقوم بإنزال العلم الأحمر من القوس المرتفع ويحاول أن يلف بعض القماش الورقي حوله عندما جذبت السيدة فيزي يديه وأشارت إليه ليذهب إلى السلم.

ورغم أنه بصحبة سيدة المنزل النبيلة إلا أنه لم ينسى أن يطرق الباب وفي حيوية ونشاط مسح حذاءه على ممسحة الأحذية قبل أن يدخل. كان فيسكور مُؤخراً قد تعود على أن يأكل في ذلك المطعم الموجود في قاعة الجمعية الوطنية لكنه الآن في منزل فيزي.

كان يعلم أن هناك الكثير من الأسئلة التي يجب أن يُجيب عليها، لقد كان واحد من أولئك الذين يسمون بـ"الماركسيون القدامى" ولأنه كان عضو مدفوع له بالكامل في الحزب منذ عشرين عاماً فلقد كان يعتبر نفسه واحد من الأرستقراطية الحمراء وكان كبريائه لا يقل عن أي أرستقراطي حقيقي في عائلته، بالطبع كان يتعامل وكأنه المندوب الرسمي للأسرة، كان يجمع الإيجارات، ينفذ أوامر الحكومة الشيوعية، يُحذر البرجوازيين من التأمر، هزم مشاعره ولفت الآنتباه إلى رجليه المُرتعشة التي تحطمت منذ سنوات من صعود السلم.

كان فيسكور قد إستولى على زوجان من الأحذية سمراء اللون ومؤن الدرجة الأولى لنفسه بينما خصص مؤن الدرجة الثانية لمالك المنزل والذي يحمل أدنى تصنيف من العامل الفكري، كان يعتقد أن جريمته الكبيرة كانت في ذلك اليوم الذي أُخذت فيه السيدة فيزي إلى البرلمان فقد إختفى عمداً وعاد متأخراً في المساء بينما كان فيزي ينتظر مساعدته في مثل هذا الموقف حيث كان ينتظره بائساً في المطبخ، لذلك لم تُخفي عائلة فيزي سراً عن نيتهم في كسر عنقه في أقرب فرصة ممكنة.

كان يشعر بأن رأسه المسكين والتي نمت مؤخراً لتُشبه التفاحة العطبة من ذلك النوع الرخيص الوافر الذي يتساقط من السلال في المحلات، لكن السيدة فيزي دعته بمودة ليجلس ووضعت يدها على كتفه

"إنظر إلي فيسكور، ربما تكون قادراً على مساعدتي، أحضر تلك الفتاة على الفور فلقد طردت الأخرى بالفعل، أحضرها ولن أنسى لك ذلك المعروف أبداً".

حدق فيسكور إلى الباب حيث المفر إلى حريته ولكنها إستوقفته.

"ألم تقل أنها أمضت ثلاث سنوات تخدم في بيست، فكيف لم أرها عندك مطلقاً؟"

"ليباركك الرب سيدتي، إنها من ذلك النوع من البشر الذي لايذهب إلى أي مكان لا يمكن أن تريها أو حتى تسمعيها، إنها هادئة جداً".

"على ذلك أتمنى أن تكون قوية، هل تستطيع أن تتولى أمر تلك الغرف الأربعة؟"

"هي؟ بل تستطيع تولي ثمانية، إنها فتاة قروية".

"وهل هي جديرة بالثقة؟"

"سترين ذلك بنفسك سيدتي، فلن أُلقي الخطب عنها، كل ما سأقوله هو ....." تردد فيسكور.

"ماذا؟"

"أنكِ سيدتي المحترمة ستكوني راضية عنها".

عاد الحارس في المساء وهو مُبتهج فلقد تحدث مع الفتاة التي وافقت على العمل وستأتي غداً لتناقش الترتيبات.

ولكنها لم تُحافظ على المجئ في موعدها لأن أحداث ذلك اليوم أزعجت وأقلقت كل شئ، فقد كانت بودابست مُزدحمة

-ليس من قبل الحلفاء مثل جابور تاتار وقد توقع فيزي- لكن من قبل الرومانيين الذين عبروا نهر تيزا ،وعلى عكس ما تمنت القوى العظمى، وإستولوا على المدينة وجابوا شوارعها الغير منتظمة يتباهون وهم يرتدون بدل جديدة موحدة مثل ضيوف الشرف في مناسبة تاريخية، وقد رفعوا الأبواق إلى عنان السماء وهي تعزف بإستمرار بصوت عالي يصم الأذان، يبدو أنهم لا يستطيعون أن يتخذوا خطوة جديدة بدون تلك الموسيقى المُصاحبة لهم والتي يُفترض أنها تستحضر ذكريات الإمبراطور تراخان التي قهرت الجحافل الرومانية: فقد فزعت البلدة المروعة المُهانة مع ذلك الصوت.

لقد كان الشئ الذي لا يمكن للهنجاريين ولا الرومانيين أنفسهم تخيله على الإطلاق ولا حتى في أعنف أحلامهم، كانوا يحملقون بدهشة إلى بعضهم البعض عن معجزة تغير الأحداث تلك، لقد كانت حرفياً لا تُصدق. كان الهنغاريين في النوافذ يشاهدون المركبات الرومانية تجوب الشوارع وهم غير مُصدقيين، ولا حتى الرومانيين كانوا يصدقون ذلك على الفور. شق كبير الجرسونات طريقه بصعوبة وإنحنى أمامهم، ورفعه الفتيان إلى أعلى في مركبات أنيقة وقد جاءوا ودخلوا وهم مسرورون، كان شئ لا يقاوم كان مثل الحلم، كان النعيم أمامهم لا شئ يمنع طريقهم، بداية كانوا لا يعلمون ماذا عليهم أن يفعلوا وبجشعهم الطفولي أمسكوا في الأشياء التافهة بدلاً من القيمة الحقيقية للأشياء.

بدأوا بالإستيلاء على تليفونات الشقق الخاصة، كانت هناك شاحنتين مكدستين تتدحرجان في طرقات كرستينا كوروت تقطع الأسلاك الزائدة، وبدأوا في الظهور في المحلات، المصانع وفي المستشفيات. وفي إحدى المستشفيات إستقبلهم مدير عجوز

يرتدي معطف قديم، والذي كان على وشك البكاء يتمتم بإحتجاج رسمي بلغته الفرنسية المكسرة مُشيراً إلى الحظر الذي فرضته عليهم القوى العظمى للوفاق، لوح الموظف لهم: الأبواب مفتوحة، والمواد والأجهزة التي تشمل ملابس المرضى والمفارش تم نقلها بعيداً على سبيل التعويض أو الإصلاح.

ومن أجل حماية الأمن المدني قاموا بإستخدام طريقة مختلفة وقاموا بفرض العقوبات بشدة وصرامة على أي محاولة للنهب أو الإختلال والإرتباك.

تنقلوا من منزل إلى منزل لإعتقال الإرهابيين وأخذهم بعيداً، وبوجه شاحب ويدين مُكبلتين كان الإرهابيين يخفون وجوههم وهم يرحلون، كانوا قد بدأوا الرقص على وتيرة جديدة فقط كما توقع فيسكور.

كان منزل فيزي يطِن مثل خلية النحل خلال تلك الأيام التاريخية العصيبة. أولاً، كان المحامي أنيق المظهر دراما يندفع على السلالم وهو يلوح بحقيبة أوراقه ليعلن أن المحافظون قد إستولوا على الحكومة وطردوا الحكام الديمقراطيين الإشتراكيين. ثم بعد ذلك، كانت السيدة دراما تجري في المنزل وهي تحمل طفلها على ذراعيها خائفة بسبب بعض الشجار في الشارع، ثم إيتل التي أعلنت عن أن شيوعي آخر قد سُمح له بالإحتفاظ بمنصبه. ترك المرضى جراحة دكتور موفيستر للقلب والرئة وتجمعوا أمام باب فيزي يناقشون الأحداث السياسية. في اليوم التالي جاءت ستيفي (خادمة دراما والتي كان يستخدمها في حضور المسيرات بعد أن تُنهي الغسل) إلى المنزل وهي متوردة ولديها الكثير من النقاشات وتحمل في يدها عقد عن المعرض الموجود في الطابق الثاني وتطالب بقيد كل يساري.

كانت السيدة فيزي في مناسبات نادرة تتجرأ وتطوق فيسكور في مكانه في البدروم.

"إنظر هنا، ما هي ديانة هذه الفتاة؟"

"كاثوليك، سيدتي".

واقفت السيدة فيزي فهي تعلم أن فتيات الكاثوليك لطفاء، أكثر تواضعاً، أقل عنداً وأقل طلباً من البروتيستانتس، صحيح أنهم يميلون لأن يكونوا مهملين يغنون بإستمرار ويطردون بسهولة من وظيفتهم، بمجرد أن يطردوا يصبحون أقل قيمة ولا يمكن إعادتهم مرة أخرى: فهم يسقطون من النعيم إلى الجحيم مباشرة.

بمجرد أن أقتربت منه سألته "وأين ولدت؟"

"في كاخار، إنها إبنة أخت زوجتي، لقد أخبرتك أنها من البالتون".

كانت تلك أخبار جيدة، ذات صيف عندما كانت إبنتها لاتزال حية قضوا أجازتهم في بالاتونفورد، وتحمل تلك الإجازة ذكريات جميلة لها مليئة بهدير الأمواج، ضحكات الأطفال والفرق الغجرية.

يبدو وأنها تذكرت سماع أحد الأشخاص وهو يمدح فتيات البالتون.

وهي في السوق إصطدمت بزوجة فيسكور.

"في الحقيقة ما هو إسمها؟"

"حسناً" تعجبت السيدة الضخمة "هل تقصدين سيادتك أن تقولي أنها لا تعلم؟ إنها أنّـــــا".

"أنّـــــا". رددت السيدة فيزي الإسم وقد إنجذبت على الفور إلى هذا الإسم الناعم الآنثوي، فهى لم تمتلك خادمة من قبل تُسمى أنّـــــا، ولا حتى له علاقة بأولئك الذين يمكن أن

يُربكوا الجمعية. "أنّـــا" كررت الإسم مرة أخرى ووجدت أنه صوت مُطمئن: شعرت به ناعم طاهر مثل المنّ.

فعل فيسكور كل ما يلزم لجذب قريبه فهو لم يضيع أي وقت في حملته تلك فقد كان هو وزوجته يتسارعان ليأخذا دورهما في مكالمة أروكا أوتكا. فلقد كان يعلم ما على المحك حيث كان كل صباح يرى الشيوعيين وهم يُطردون من وظائفهم، كان شاب يخرج خلسة من البوابة يُنظف وشاح رقيق ممتلئ بالدم المُتدفق من صدغه، مثل تلك الأشياء جعلته يُضاعف جهوده ولكن لم يكن لديه سوى القليل ليريهم إياه، حتى الآن كان قد نجح فقط في التحدث إلى السيدة سيفكا، أخت زوجة السيدة باتروس والتي تعتبر جزء من تفتيش إيرادات المنزل، وسيترك المفتش الفتاة في حال إذا وجد فيسكور إستبدال مُرضي لتلك الفتاة بينما لم يكن قد أقنع أنّـــا بعد. كانت تهمهم وتتلعثم وفشلت في فهم الموقف بوضوح; فقد كبُرت وترعرت وهي مولعة بالأطفال وتشعر بالأسف من أجلهم، وقد وعدت أنها ستحاول ولكنها فشلت في ذلك،بينما قالت فيما بعد أنها كانت تفكر "في ما هو أفضل من ذلك".

إستمرت السيدة فيزي في مضايقته وإزعاجه "لماذا لم تُحضر الفتاة بعد؟ فأنا أريد أن أراها على الأقل".

"أنه يوم الغسيل، سيدتي".

"أتعني أنها تغسل بطريقة جيدة؟"

"بالطبع فهى تغسل وتكوي، إنها جوهرة حقيقية".

في المرة القادمة سيجد عذر آخر "إنها تأخذ الأطفال للمشي".

"أتقصد باندي الصغيرة؟" سألته وقد أصبحت على دراية وثيقة بظروف العائلة.

"نعم، ذات الأربع سنوات".

" الآن إنظر إلى ولا تخدعني، كن أمين معي فيجب أن أعرف هل بإمكاني الإعتماد عليها أما لا؟"

"بالطبع سيدتي، يمكنك الإعتماد عليها، أنا أعني ذلك بكل أمانة".

إختفى الحارس لوهلة، فهو يعمل عمل إضافي في مكتب بريد ويقضي بضع دقائق خلسة في المنزل وكانت حجة السيدة فيسكور أنه ذهب لمنزل الفتاة. كانت نهاية الشهر تقترب بسرعة مُقلقة وكانت السيدة فيزي قد فكرت في الإبقاء على كاتيكا والتي منذ أن أخبرتها أنها إستغنت عنها(ربما بسبب أن العلاقات بينهم قد تراخت وقلت) وقد أصبحت أقل إزعاجاً، كانت كاتيكا قد وجدت عمل في الصيدليات ومن المُقرر أن تبدأ في الخامس عشر من الشهر، أصبح من الواضح الآن أنه فقط وقبل مجئ الشتاء وفي خضم هذه الفوضى العامة ستبقى بلا خادمة وسيصبح زوجها أكثر كأبة من ذي قبل وسيصبحون في وضع لا يستطيعون فيه إستقبال أي زائرين ولا حتى الخروج المنزل، سيصبح مثل ذلك الشهرين المريرين بعد رحيل لوزا هيرينج، حيث ذاكراتها التي لاتزال تستحضر تلك الكوابيس وتعاني منها.

أصبح من الواضح أنها ستتخلى عن أنّـــــا ولكنها قررت أنها لن تستسلم بضعف وخنوع فقد كان والدها الراحل عقيد في فرقة الفرسان وكلاً من جدودها كانا رجلان عسكريان وقد ورثت من أجدادها ما يكفي من الروح القتالية، وعلى الرغم من مرور العديد من القرون إلا أنهم أضفوا عليها روح الإستمرارية فقد تحدت البلدة بأكملها حيث كانت تقضي الأيام ذهاباً وإياباً تلتمس العون من أقاربها الذي هجرتهم منذ

زمن لتسأل وتستفسر عما إذا كان لديهم أي شخص متاح للعمل كخادمة وكانوا دائماً يجيبون بإبتسامة مُتعاطفة، كان ذلك هو تفكيرها: أنها كانت عطوفة وحميمة مع جميع المحطات التي عبرت من خلالها.

ولأول مرة في حياتها تلجأ إلي الشرطة، ولكن الشرطة كذلك لها متاعبها فعربات الشرطة المُزدحمة دائماً ببضائع الناس الأثرياء، وكانت المقاعد غير المدهونة التي توجد في الساحة مُمتلئة بالمشتبه فيهم-الشيوعيين القصر والمتقدمين في السن، الأطفال، كبار السن، والنساء سواء كانوا أثرياء أو فقراء وكانت أعينهم حمراء اللون من البكاء، كان كلاً منهم ينتظر قدره. تركت السيدة فيزي كارت به أرقامها للظابط المُكلف بالتعامل مع الخدم.

كان يعلم ماذا تريد وإعترف لها دون تحديد موعد فعندما نظر إليها ببعض اللامبالاة كأنه طبيب أمراض عصبية يفحص مريض غير قابل للشفاء، ظل يُصبرها بأفضل ما يمكنه فعله ونصحها أن تتوجه إلى وكالة محلية.

بعد ذلك، وبدون الكثير من الأمل وضعت قدميها على الطريق مرة أخرى فمن الممكن أن تحصل على بعض المعلومات، كانت هناك بعض اللوحات الحمراء والخضراء والزرقاء التي تُعلن عن توافر طهاة، خادمات، مُرضعات وعن كل درجة ونوع من الخدم المحليين، كانت قد عفى عليها الزمن تماماً مثل تلك المطاعم المكتوب على نوافذها بالكتابة الذهبية (يوجد مأكولات طازجة - صباحاً ومساءاً)، أو مثل بائعوا التبغ أؤلئك الذين من المفترض أن يبيعوا التبغ الأجنبي والمحلي ولكنهم يبيعوا فقط السجائر وأحجار الولاعات.

لم تكن هناك أي خادمة تصلُح للعمل في بودا بأكملها، فقط جربت البحث في حي بعد حي حتى وصلت إلى البست في فيرينكفاروس حيث وجدت واحدة أو إثنتين، إنحنى الوكيل أمامها بإحترام فقد كانت تعرفه جيداً كما كانت تعرف الآخرين جيداً، كان شاحب اللون، وغد ماكر المظهر تتدلى من صدريته سلسلة ساعة فضية، كان يتودد ويتملق كل زبون ولمصلحته التجارية كان ينادي الخدم بلقب "سيدتي" وكان عندما يعرض بضائعه ينخفض صوته ليصبح وكأنه يهمس.

كانت فتيات القوى العاملة العاطلين عن العمل يصطفون بجانب الحائط على كراسي من السلال مثل بائعات بقدونس في زيهم المزخرف المثير للشفقة، كانوا قد كفوا عن الكلام عندما دخلت حيث كانوا يحاولون النظر إليها مباشرة وهم يحاولون أن يُظهروا عدم إهتمامهم فقط كانوا يركزون على حقيقة أن العقد يحتوي على موافقة من الطرفين، ولكنهم لم يستطيعوا أن يُبعدوا نظرهم عن تلك السيدة الغريبة والتي من الممكن أن يعتمد قدرهم عليها، كانوا يحدقون إليها في مزيج من الإعجاب وكذلك الإحتقار.

كانت قد لمحتهم فقط لتعرف إن كانوا من ذلك النوع الذي يظل بعد التصفيات يرفض أي شخص أن يشتريه. بعد كل شئ، من هذا الذي يرسل بناته للخدمة في مثل ذلك الوقت عندما أصبح المال لا قيمة له، عندما أصبح الفلاحين المزارعين يسبحون في شحم الخنزير المُنتج منزلياً ويستطيعون تحمل نفقات إرسال أولادهم إلى دروس البيانو؟ ومع ذلك فقد قررت أن تسأل بعضاً منهم، لم تقم الأولى من على كرسيها بل وضعت ساقيها فوق بعضهما، بينما قامت الثانية ولكن كانت هناك نبرة سخرية في كلامها فقد سألتها في المقابل عن دفتر

عمالتها، بينما البقية حثوا بعضهم البعض فكانوا يبتسمون بوقاحة وهم غير معجبين بالسيدة فيزي.

فقط واحدة فقط هي من كانت حريصة على العمل كانت إمرأة كبيرة في الستين من عمرها عينيها مثل السم والتي كما قال الوكيل أنها كانت تعمل في أفضل نُزل البلدة حيث كانت تنظف الأرضيات ولكن لم يبدو عليها مطلقاً الوهن أو الإرهاق فقد كانت تبذل كل طاقتها في خدمة النُزل في سيجلد أو كيسكميت.

ماذا تفعل لهؤلاء الناس؟ كانت تحدق وهي مُكتئبة إلى الطاولة الموزياك حيث أوراق الورود القذرة التي تحاول أن تزدهر وكان الهواء ممتلئ برائحة الخدم الآنثوية.

بحلول المساء كانت تُعاني من صداع -صداع نصفي في جنب واحد من صدغها- وكان قد مر وقت طويل منذ أن جاءها آخر مرة، كانت تربط رأسها بمنشفة وتجلس في مكان مُظلم وتتسائل لماذا تركت نفسها لتصبح مُنزعجة إلى هذا الحد، فلم يكن فقط الفشل هو الذي أزعجها هكذا فلقد أعدت نفسها لهذا الفشل ولكنه كان الإحساس بالذنب لأنها خانت أنّـــا لأنها تبحث عن خادمة أخرى وتنوي البحث عن طريقة للحصول على خدماتها فقط.

(٥)
الوزارة واللغز

ناضلت السيدة فيزي في معركتها البطولية بمفردها فهي لم تكن قد أخبرت زوجها بأنها طردت كاتيكا، وفي سرية بحثت عن دراما والذي بسبب سمعته كشخص من الثورة المضادة كان مكتبه قد حُصر من قبل الشيوعيين الذين يريدون أن يفوضوه للدفاع عنهم.

كان وجه المحامي الشاب المتورد عادةُ قد أصبح كشعلة من حُمّى التاريخ، كان يتمنى وبكل سرور أن يرسل فيسكور إلى السجن لخمس سنوات علىٍ الأقل ولكنه شعر أن موضوع الخدم ربما يكون غامض قليلاً من وجهة النظر السياسية. على كل حال فقد كان لديه خطاب مكتوب ومُرسل إلى أسرة باتروس ينصحهم طبقاً للقانون أن يطلقوا سراح الفتاة حسب العقد الذي بينهم.

كان فيزي نادراً ما يجلس بالمنزل كان يأتي فقط ليلتهم طعام الغذاء والعشاء، كان مُكتئب وعصبي وكتوم ولم تتجرأ زوجته على إزعاجه بمثل تلك الأمور التافهة، وكانت كلما سألته إلى أين يذهب أو من أين أتى، كان فقط يتمتم ببعض الكلمات قائلاً: الوزارة بنغمة صوت منخفضة سرية ليبدو وكأنه يقول: اللغز. في الواقع كان كون السياسة والشئون العامة الواسع

بالنسبة إليه نوع من الصوفية بينما أي شئ خارج هذا النطاق هو بالضرورة هراء أو عبث لا يستحق حتى التفكير فيه.

كان المبني القديم الأصفر الذي يضم الوزارة عبارة عن ثرثرة من الأصوات والهمهمات السرية، كلما دخل فيزي من البوابات تتجاوب حواسه مع الجو السياسي وبينما يصعد الدرج ترتسم على وجهه إبتسامة من إحترام الذات بينما كل شئ خاص للحياة العامة ومع ذلك بدا وكأنه نطاقه الخاص فقد كان يشعر بالراحة هناك أكثر من منزله. بعد أن إستقبله البواب قابل سكرتيره المُهندم في البهو ومعه العديد من مواعيد اليوم وقد كانوا مُصنفيين ومشروحين فتصفحهم سريعاً قبل أن يقرر ما الذي سوف يحضره، واعتذر فيزي لأولئك الذين ينتظرون منذ وقت وعرض عليهم الجلوس، شكى لهم من ضغط العمل ومزح بأنه مشغول لدرجة أنه لا يجد الوقت لملاك الموت في جدوله. كان يلهو بذلك المفتاح في ميداليته برقة عازف البيانو في حفلته، كان يتحدث بنغمة رسمية مع الضيوف الإقليميين والذي يسمى في مراجع بعضهم فحص ملفات الأفراد الآخرين، ثم صافح مديره وهو يقرأ محتويات الملف وإنتقده بطريقة ودية محسوبة لكي يثبت تفوقه، ثم بسخاء عرض على الضيف سيجار وإن وافق يخرج مفتاحه من جيبه الخلفي ويفتح أحد أدراج مكتبه ولكن ليس بسرعة كبيرة ليُطيل من لحظة السعادة ويضع أمامه صندوق مطلي بالذهب ثم يرفع غطاءه لتظهر السيجار وهي لاتزال بشرائطها، الشرائط الأصلية المشهورة في هذا المجال وبينما هو مشغول بإشعال سيجار الضيف يضع في ذهنه أنه أصبح ينقص السيجار واحدة وبهدوء يغلق الغطاء ويضع الصندوق مكانه مرة أخرى.

كان يحب تلك الطقوس كما كان يحب روح ذلك المكان، وفي المساء رن الجرس مُعلناً وصول الوزير وفي تلك اللحظة يتحول المبنى إلى معبد حتي تلك الأشجار التي في الساحة تتسم بجو من الإحتفالية في أطواقها التي من الحديد المصبوب. أرأيت سيادته؟ هل هو في مزاج جيد هذا الصباح؟ فأنا أريد أنا أخذ بعض المال لتلك الغرفة التجارية الملعونة.

صباح الخير سعادة المحترم، صباح الخير سعادتك، خادمك المطيع، كان مُحاط بأصدقائه من الثورة المضادة في النمسا من العقارات في المقاطعات المنقاة المعطرة، الذين يتنفسون مزيج من الكولونيا والتبغ المصري، ثم عانق بعضهم البعض وهم يُرتبون على ظهور بعضهم ويحتفلون بعودته منذ أن سمعوا ذلك الشئ عن إخراجه وبعنف من البرلمان، كانوايشتكون من المحاكمات والمحن المختلفة وكيف أن الحراس السود سلبوهم وسرقهوهم.

ومع ذلك لازالوا على قيد الحياة، الشاب والعجوز الإثنين سواء حيث كان الأكثر كفاءة يتلقى أقل المرتبات لكنهم كانوا مثل العائلة الكبيرة السعيدة، كأنهم يسبحون في حمام من السحر والمشاعر البنوية سواء كانوا داخل أو خارج المكتب، كان كلاً منهم يعطي الآخر إحترامه تبعاً لمنصبه وفي نفس الوقت يحافظون على إنضباطهم العسكري وبعض من إنضباطهم الذاتي إضافة إلى ذلك يعلمون أنهم من الممكن أن يكونوا لقمة سائغة، أيضاً في الوقت المناسب من الحياة المهنية يمكن لأي شخص منهم أن يصعد سلم النجاح لأعلى درجاته. كان ذلك هو عالم فيزي المختلف تماماً عن المنزل كان ذلك هو كونه.

كان فيزي بيروقراطي إستثنائي، مُجد في عمله وذو ضمير حي، كانت تلك هي الحقيقة التي يعلمها كلاً من رؤسائه ومرؤوسيه، كما أنه كان لديه ضمير إجتماعي: فإذا أتى إليه شخص في مأزق ففي الحال يكتب المذكرة الضرورية للجهة المختصة، أيضاً كان مهتم على طريقته الخاصة بالجمعيات الخيرية مثل دار الأيتام والمصحات. على الجانب الآخر لم يحب أن يكون مشاغب على الأساس الشخصي، فبعد كل شئ لماذا تعمل تلك المؤسسات؟ فلا يمكنك إتهامه بإساءات طفيفة أو صغيرة في مكتبه فلا يوجد ولا حتى قرش في عداد المفقود ولم يسجل، ولكنه كان يؤمن دينياً بأن يفعل المعروف لأي شخص يمكن أن يرده بلطف، فأصدقائه من التجار وأصحاب المصانع عندما يذهب لشراء أي شئ من متاجرهم يرفضوا أن يتركوه يدفع ثمن الفواتير، بالطبع في كل مرة يعترض ولا يعتبر ذلك أخلاقي، ومع ذلك كان سيتألم إذا لم يفعلوا تلك اللفتات الغير متوقعة بينما يتوقعها هو، وفي يوم مولده يتلقى العديد من الهدايا من أنواع مختلفة من المتاجر والمصانع، فهم يرسلون اللحوم، الكعك والخمر بكميات كبيرة تكفي لإمداد الإحتفال المنتشر، أحياناً يمكن أن يتلقى خاتم أو ساعة ذهبية ولكن كان ضميره الحي يرفض السماح له بإرتدائها وبدلاً من ذلك يضعها في خزانة ويخرجها عندما يشعر أنه حزين، كانت تلك الهدايا لا تتناسب على الإطلاق مع حجم المصالح التي قدمها ولكنهم كانوا رموز ترحيبية تُزيد من إحترامه لذاته وتضيف بعض الإحساس الشعري لحياته.

أصبح الآن أكثر إهتماماً بتقوية تلك الصداقات: في قاعة الجمعية المحلية، في إجتماعات اللجنة، في عشاء الحزب، فهو ينسج شبكته من الأصدقاء ويقويها ليل نهار فلقد كان في تلك

الأيام الغامضة ينظر خلفه إلى العشر سنوات الماضية من ركود مهنته ويتمنى أن يتخطاها.

ذات مساء دعاه سكرتير الولاية إلى عشاء، وفي مثل تلك الأوقات يصير فيزي إنسان هادئ يتجاذب أطراف الحديث بلطف وإخلاص حتى مع زوجته والتي إستغلت تلك المناسبة لتُحدثه في أمر الخادمة، وفي طريقهم إلى الخارج جذبته إلى داخل منزل الحارس.

كان منهج وأسلوب فيزي في المفاوضات يختلف كثيراً عنها، فكونه لا يعلم الكثير من التفاصيل الدقيقة عن الموضوع إلا أنه يصبح متعالي كأنه في الوزارة ومرر إليه شخص ما ملف متسرع غير منظم، كانت زوجته تنظر إليه بفخر وعزة، فقد كان هناك وبعد كل ذلك شئ ما مختلف في أسلوبه الرجولي الصريح.

"حسناً، ماذا عن الخادمة؟"

"لقد وعدت بأنها ستأتي، سيدي".

"لو أنها وعدت فيجب عليها أن تأتي وتفي بوعودها".

"حسناً، ستأتي ولكن مديرها لا يسمح لها".

"ماذا الذي تعنيه؟ ألم تستلم الخادمة إشعارها بالعمل؟ ووافقت عليه؟ إذا كان كذلك فهو قانونياً لا يستطيع منعها، فالقانون واضح تماماً في العقود التي بين الخدم ومديريهم، ليس لديه بديل حسب القانون إلا أن يستسلم ويرسلها".

"نعم سيدي" إنحنى فيسكور وهو مندهش من الكلمات اللاتينية.

"جيد جداً إذا، لا أريد المزيد من الخداع حول ذلك الأمر، إذا لم تلتزم بكلماتها فسوف أجعل الشرطة تُحضرها إلى هنا، أخبرها ذلك بالنيابة عني، إما الحضور أو الشرطة".

كان ذلك بمثابة الجميل لكلاً من زوجة فيزي وفيسكور، فقد كانوا يحدقون بذهول إلى بعضهم البعض وكانوا على علم بشبح السجن الذي يزحف عبر حياتهم، ورفعوا أيديهم في إيماءة ليحتجوا على إتهامهم بالإهمال أو ربما ليصدوا لطمات القدر.

إنتهى فيزي وهو يشعر بالخجل من أن وجاهته وإحترامه إحتمل مثل تلك التفاهات، طافت عينيه في بدروم المنزل وجد الندى يرتفع على الحائط لما لا يقل عن أربعة أقدام، وهو مُزخرف بالورد الأسود الكبير في حجم يد الرجل، كانت تنتشر في الهواء رائحة العفن الخبيثة وقد إمتزجت برائحة البصل المشوي على الموقد، كانت النوافذ منخفضة جداً بحيث ترى من الشخص المار ركبته فقط، كان ذلك هو المكان حيث كان يشاهد وينتظر فيسكور بالساعات حينما أُخدت زوجته إلى البرلمان، هناك على ذلك الكرسي الصغير حيث جلس كان ممتلئ بالتراب حيث نفضه فيسكور وعرض عليه الجلوس ليجلس لدقيقة وكأنه يُأخر ذلك القدر المحتوم، ولكنه رفض الجلوس فقد كان مُتسخ وكان خائف من أن تتسخ بدلة السهرة التي يرتديها.

على أي حال فلقد بدى له أن ذلك المطبخ هو أكثر الأماكن جاذبية وكان مُمتن لذلك الهدوء الذي يشبه بساطة الكتاب المقدس، كانت هناك أريكة حيث كان يريد وبشدة الجلوس عليها، ولكن هل يمكن أن تكون تلك الأريكة التي يتسرب من داخلها حشوها من الأعشاب البحرية ناعمة؟ كان يوجد قدح صيني في الزاوية بجانب سلة التسوق المُغطاة بقماش ناعم بنفسجي اللون والذي يستخدم في تغطية كراسي السكك الحديدية في مقصورات الدرجة الأولى والتي من بعد الثورة أصبحت توجد في منازل الطبقة العاملة حيث يستخدمونها في

عدة أغراض تشمل ترقيع بناطيل أولادهم، لقد صُدم فيزي من شدة فقر الغرفة.

وضع فيزي الوشاح على أنفه وهو ينظر إلى زوجته بعصبية يحثها على الإسراع ولكنها ظلت مُنغمسة في مناقشاتها الملتوية التي بلا هدف مثلها مثل أي إمرأة تفعل ذلك.

"إذا ستتحدث إليها، أليس كذلك سيد فيسكور، وتأكد من إخبارها أنه يجب عليها أن تفكر جيداً؟ قد تخبرها أنه يمكننا زيادة أجرها؟"

"ليس لذلك أي فائدة، فهي لا تهتم بالمال".

"حقاً؟" و قد لمعت عيني السيدة فيزي "وما الذي تهتم به إذاً؟ هل لديها عشاق؟"

"ماذا أنّـا؟" وخز فيسكور زوجته في صدرها وهو يقول لها وقد نسى إحترامه للسيدة فيزي "أسمعتي ذلك؟ أنّـا لديها عشاق!"

ضحكت السيدة فيسكور وقد ظهرت أسنانها الصفراء من فكرة أن أنّـا من بين كل الناس ممكن أن يكون لديها عاشق.

صارت السيدة فيزي أكثر فضولية لتتعرف أكثر على أنّـا.

"هل شهيتها مفتوحة؟"

"إنها تأكل مثل العصفور بل أقل".

"وماذا تحب أن تفعل إذاً؟"

"العمل، سيدتي" أجابها فيسكور "إنها تحب العمل فقط سيدتي".

"إنها من ذلك النوع من الفتيات اللاتي يجب أن تُلف أيديهم في ذهب" أضافت السيدة فيسكور وهي تبتسم لتُأكد كلام زوجها.

كانت السيدة فيزي في حيرة لتعلم أكثر ما الذي يعجب تلك الفتاة: فتأكيد الحارس الصريح وتواضع زوجته تقريباً كان تغيير شاعري للأمر، كلاهما كانا مألوفان ولكن في بعض الأوقات كان كل ذلك أكثر إثارة للإعجاب منذ أن تركت الزمام لخيالها يتجول كما يشاء.

كانت كاتيكا لاتزال تعمل لديهم وكانت تعمل أقل أو أكثر فقد كانت سعيدة فلم يكونوا يطلبوا منها أن تنظف المنزل، وأصبح يتملك السيدة فيزي فرح جامح في مشاهدة تجمعات التراب والقذارة بينما كانت كاتيكا تستمر في طريقتها المملة الكئيبة تتثاءب وتتهادى في المطبخ فقد كانت تتخيل الخادمة الأخرى بجانبها وخلفها تتحرك برقة مثل الجنية وتضع كل شئ في مكانه الصحيح، حيث كان العمل فقط هو ما يعجبها وتهتم به، ومثلما نحتفظ بالهدايا الخاصة لأولئك الأشخاص القريبون إلى قلوبنا كعلامة على تمييزهم كانت السيدة فيزي تحتفظ للخادمة الجديدة ببعض الأعمال الخاصة المختلفة حيث كانت تتوقع منها المعجزات، كانت تُغمض عينيها وتتخيل صورتها بيديها اللتان يجب أن تلف في ذهب كانت تتخيلها بيديها الذهبيتين اللامعتان وهي تنقلها إلى آفاق جديدة.

على النحو الآخر، شيئاً ما قد حدث حيث كان الرومانيون على مقربة من منزلهم، فأولئك الذين كانت تحدق إليهم بذهول في الأسابيع الأولى من الإحتلال أصبحوا الآن يتجولون أمام منزلها وكأنهم ولدوا ونشأوا في الجوار حتى أنها إعتادت عليهم وبالكاد تُلاحظهم. في أيامٍ الأحد، كان الظباط السود النُحاف يتجولون في القلعة ذهاباً وإياباً مع حاشيتهم من الفتيات المغنيات أو يذهبون في رحلات قصيرة إلى التلال أو يتنزهون في

الهواء الطلق مع آخر حبيباتهم ويلتقطون الصور لكي يحيوا ذكرى تلك المناسبات، كانوا يُغنون مع فرق فيلادلفيا الغجرية والتي كانت تعزف لهم الألحان الهنغارية القديمة التي بمجرد أن يسمعوها يغنون معها بحماس مثل الطلاب في تلال ترانسلفانيا.

خيمت القوات المشتركة في فيرموز (ميدان الدم) وفي المساء كانوا يصنعون العشاء في قدر كبير ويتركون النيران لتدفئتهم وكانت الخادمات المحليات هم من يخدمونهم واللاتي لم يروا جنود حقيقون لبعض الوقت بغض النظر عن القليل من البؤساء الفارين أو بعض الوجوه من الجيش الأحمر. كان لاجوس (صديق كاتيكا) لديه سجل إجرامي طويل كسارق وقد قُبض عليه لذا أصبحت الفتاة رومانية، وأصبح بالكاد صبي راعي من المملكة القديمة دوناً عن المراهقين. لم يرى المحارب ذو الخوذة القصدير إمرأة بهذا الجمال فقد كانت يديه تلتف حولها ويمسك بيديها بين يديه وذهبا معاً في جولة حول الميدان وهو يتغزل في شفاهها الحمراء وشعرها الأشقر المصبوغ، كان يتحدث إليها بالإشارات وهو يخبرها أنه يريد الزواج بها فقط إذا عادت معه إلى رومانيا، وسينتظرها كل يوم وفي يديه باقة من الزهور وغالباً سيدخل البيت نفسه، الأمر الذي أثار غضب الجميع. رفضت إيتل التحدث إلى كاتيكا وإعتبرتها ليست أقل من كونها خائنة، ومن جانبه أعلن ستيفي أن كاتيكا جاسوسة رومانية.

كانت السيدة فيزي تهز يديها بقوة، يا له من عار! هذا الخزي والعار في المنزل! ولكنها لم تكن تجرؤ على التدخل فقد كانت خائفة من إنتقام القوات وكذلك لم تكن هناك إجابة واضحة في خطاب دراما.

أصبح الموقف لا يُحتمل لذلك أخذت مظلتها الشمسية في يديها وإستعدت للخروج، كان الجو خارجاً غائم مليئ بالتراب وكان غسق منتصف الصيف يشبه الخريف عندما يبدأ المساء في الإختفاء وتسمع صرير الرياح وهي تصطدم بالمدخنة، تعثرت السيدة فيزي وهي تمشي في تلك المنحدرات المتفاوتة في حي التابان، كان الحراس في الدورية يضفون على الشوارع المألوفة الهواء لبعض البؤر الإستعماية الغريبة.

كانت تعلم تقريباً أين يوجد المنزل فدائماً ما وصف الحارس لها الطريق، كانت تعلم أن هناك في الحي داية تُسمى إرزبيت كارفلي وتضع لوحة عليها طفل يستحم في حوض على البوابة من الخارج وقد كانت البوابة من السياج الحديدي وكان الباب اللامع لمنزل باتروس مفتوح على الفناء بجدارية عليها القديس فلوريان وتُضاء بضوء أحمر خفيف.

كان شارع الخندق عبارة عن صف من الأكواخ المتهالكة في حالة من الخمود لا يمكنك تمييز أحدهم عن الآخر لذلك تاهت بينهم ووجدت سيدة بلهاء مسنة كانت تجلس بجانب كوخ منهارٍ فسألتها عن الطريق، لكنها وجدت صعوبة في فهمها وأخيراً تمكنت من فهم أن المنزل فاتها ويجب عليها العودة من الطريق الذي أتت منه كانت تركض وكأنها مجرمة هاربة وكان الناسٍ ينظرون عليها في شك لذلك بدأت في الشعور بالخوف، وأخيراً من على هضبة عشبية صغيرة شاهدت اللوحة التي عليها الطفل ومكتوب عليها إرزبيت كارفلي فتسللت إلى الداخل عبر البوابة، حيث بدا أن صورة القديس فلوريان والوميض الأحمر يدعونها إلى الدخول.

كانت خطتها تهدف إلى أن تتحدث إلى الخادمة بكلمتين أوٍ ثلاثة لتُغريها وتأخذها معها بعيداً في حالة إذا كان ذلك ممكناً

أو على الأقل أن تراها بنفسها، بحثت في شنطتها عن بعض المال لكي تعطيه بقشيشاً لأي شخص كي يوصل تلك الرسالة إلى الفتاة، ولكن لم تجد أي شخص بالشارع فقد كان الشارع، كما الحال في تلك الساحة الضيقة القذرة التي يوجد فوقها رقعة من السحاب الرمادي، كان مهجور بالكامل.

وقفت مترددة تستمع إلى أصوات النساء والأطفال من داخل المنزل، وكانت النافذة مُوصدة ضد الرياح العاتية، وقفت موازية للحائط تنتظر.

فجأة إنفتح الباب اللامع وخرج طفل حافي القدمين يجري إلى الساحة، لقد كان باندي ثم توقف قلبها عن النبض عندما ظهرت إمرأة.

كانت المرأة تقريباً في نفس طولها ولكنها قوية البنية وقوية، وجهها بني مائل للذهبي، كبيرة الرأس شعثاء الشعر وحواجبها سميكة سوداء مثل الفحم، ترتدي فستان لونه موف باهت وكانت تلاحق الصبي الذي توارى وإختفى وراء الساحة حتى أمسكت بإحدي يديه أخيراً ثم عاتبته وأخذته بحب بين ذراعيها وإحتوته وهي تقبله وتأخذه معاها إلى الداخل مرة أخرى.

بعد دقيقة أو أكثر خرجت وهي تحمل معها حوض صفيح ملئته بالماء من المضخة ثم نظرت حولها، وتلاقت أعينهم لأول مرة.

أشارت إليها السيدة فيزي بمظلتها الشمسية ولكن يبدو أنها لم تلاحظها أو يمكن لم تفهمها ودخلت إلى المنزل مرة أخرى.

لم تخرج مرة ثانية من المنزل، بدأ الظلام يحل عندما عبر رجل البوابة وكان يبدو أنه سيد المنزل، حدق إليها وهو يتسائل ما

الذي يمكن أن تفعله مثل تلك السيدة المحترمة هنا عندما إعتقدت أنه من الأفضل لها أن تمشي بعيداً.

لم تكن تماماً مثلما تخيلتها ولكنها لم تندم على تلك المغامرة على الأقل هي الآن شاهدتها بنفسها كيف هي قوية وجدية تلك الفتاة، وأكثر ما أعجبها في تلك الفتاة هو رقتها وحنانها مع الطفل الصغير، أصبح الآن لتخيلاتها أساس من الواقع، وعندما عادت إلى المنزل أخبرت فيسكور أنها قد رأتها.

"وكيف وجدتها السيدة المحترمة؟"

"إنها فتاة لطيفة جداً".

"لديها طبيعة مذهلة، ستقتنعين بذلك سيدتي".

"نعم ولكن متى؟"

"أي يوم من الآن، فلقد وجدنا شخص آخر سيأخذ مكانها هناك وأخبرونا اليوم أنهم سيتركونها ترحل، لا تقلقي بعد الآن".

كانت إيتل وستيفي في الطابق الثاني يخفقون البيض لإعداد الكعك.

"إنها تسمى أنّـــا".

"حقاً؟"

كانت السيدة دراما التي تتدخل في كل شئ لم تُضيع الوقت وقامت بنشر الأخبار، كانت تلك السيدة المملة والتي يبدو أنها غير مثقفة تعمل ممرضة خلال الحرب وتعرفت على زوجها ذو المظهر المميز عندما كان يرقد مجروح ومصاب في مستشفى المقاطعة، وكانت قد تسللت وطافت عبر السلم الداخلي مثل الفأر الصغير حتى صوتها كان مثل صرير الفأر، ذات مرة جاءت إلى السيدة فيزي وإنقضت عليها بإسلوبها الغير لبق "نحن نعلم كل شئ عنها، نعم نعلم ولكن ماذا ستدفعي لها؟"

كانت هي من توصل المعلومات إلى السيدة موفيستر، وكانت زوجة الدكتور الجذابة ترتدي قبعة زهرية في طريقها لعمل بروفة مسرحية حيث أرسلٍ إليها أحد أقاربها الذين يعملون بالمسرح تذكرة مجانية مجاملةً لها، وكالعادة كان بحوزتها أحدث الإكتشافات الأدبية وقد راقبت السيدة فيزي في زيها الآنيق ثم أوقفتها وتجاذبت معها الحديث عن ذلك الموضوع.

"بالطبع لا عزيزتي، أتقصدين أنها لم تبدأ العمل بعد؟ فالجميع يعتقدون أنها بدأت منذ الأمس".

هزت السيدة فيزي رأسها وبمرور الأيام كان مظهر أنّـا القوي يصبح أقل وضوح في ذهنها وقد بدأت التفكير في أن كل شئ كان خيال لتصوراتها والتي ربما لم تكن موجودة في الخادمة على الإطلاق.

(٦)
أنّـــــا

كان ١٤ أغسطس كان يوم صيفي جميل حار ومشرق، كان فيزي قد نزل إلى قاعة الجمعية المحلية ليشرب القهوة وظلت زوجته تتأمل ما تبقي من طبق بودينج الأرز، وعندما وضعت الطبق جانباً ظهر القليل من حبوب الأرز وقد وقعوا من الطبق عدتهم كانوا سبعة.

كيف جاءوا إلى هنا؟ لا تعلم فهي واثقة من أنها لم تسكبهم بما أنها لم تحرك الطبق خلال الوجبة بأكملها، ظلت تفكر في الرقم فلماذا سبعة بالضبط؟ أيمكن أن تُنبأ بشئ ما، فدائماً أكثر الأشياء تفاهةً يمكن أن يستخدمها الكون في نقل رسالة ما، مثلما حدث معها مراراً فلقد شاهدت إبنتها في جلسات إستحضار الأرواح المتكررة وسمعت صوتها أيضاً و ليس لديها أدنى شك في ذلك.

وضعت ثلاث أقراص على لسانها وبلعتهم بكأس من الخمر وبينما تفكر في ما هي تلك الأخبار الجيدة التي تتنبأ بها تلك الحبات الأرز السبع حتى سمعت صوت شخص يطرق الباب برقة ولطف وقبل أن تُجيب ظهرت رأس فيسكور.

"أيجب أن ننتظر، سيدتي؟"

"من الذي معك؟"

"أنّـــا، هل تسمحين لنا بالدخول؟"

"نعم تعالوا، لا إنتظر!"

إختفت رأس فيسكور وأُغلق الباب، أمسكت السيدة فيزي بحافة الطاولة، كان هذا التحول المفاجئ والغير متوقع للأحداث يجعلها مشوشة الذهن، كانت قدميها عارية إلا من الشبشب وكانت ترتدي فستان أُرجواني قديم تعودت أن ترتديه في مثل تلك الأيام وكانت تتمنى أن تأخذه إمرأة عاملة.

وقفت أمام خزانة ملابسها وبدلت ثيابها وإرتدت فستان أبيض وجوارب بيجية اللون وحذاء بني وقد إختارتهم بسرعة مثلما تفعل الممثلة قبل ظهورها، ووقفت أمام المرآة كان وجهها مُتعب ومهموم حاولت أن تبتسم ولكن بدا كأنها مُجبرة ثم حاولت أن تصطنع تعبير أكثر جدية ولكن في النهاية إستقرت على أن تكون وسطية، ثم وضعت القليل من البودرة على وجهها وخطر ببالها أن ترتدي العقد الذهبي فإرتدته.

أسرعت على أطراف أصابعها إلى غرفة الطعام لتجد روب زوجها مُلقى على الأريكة وأكمامه مقلوبة من الداخل إلى الخارج، فطوته ولكن ظلت هناك بعض الأشياء التي أقلقتها فقد كان مفرش المائدة لا يغطي المائدة بأكملها وكانت الأطباق الغير نظيفة والتي تحتوى على بقايا بودينج الأرز لا تزال موجودة وكان الذباب يقف على السكرية، كانت تفضل أن تُرتب تلك الأشياء ولو قليلاً ولكن لا يوجد وقت فكانت خائفة من أن تترك الفتاة تنتظر فتأتي كاتيكا وتتخلص منها.

لذلك كان كل ما إستطاعت فعله هو أن ترتب مفرش المائدة وتضع الغطاء الألومنيوم على الزجاجة ثم عادت لتستعيد جلستها أمام المائدة وهى تتكئ على يد الكرسي ليبدو وكأنها كانت تجلس هكذا منذ بعض الوقت تفكر مثلما تفعل

السيدات في نفس موقفها "إدخل" نادت عليهما بصوت منخفض.

دخل فيسكور فقط ولا أحد آخر ليس لمدة ثلاث أو أربع أو حتى خمس دقائق.

"حسناً؟" قالت وقد شعرت أنهم خدعوها مرة أخرى.

"إنها هنا" أكد الحارس على وجودها وهو يقول "ها هي".

ثم دخلت الفتاة مباشرة إليها وإنحنت بإحترام وقبلت يديها بطبيعية وبدون جهد يذكر وبدا أنها تعرفها منذ سنوات، لم تسحب السيدة فيزي يدها لوهلة فقد كانت تحب أن تُقبل يدها وأيضاً لأنها إستمتعت باللمسة الرطبة لشفاهها. لاحظت السيدة فيزي أن فيسكور أخبر الفتاة أن تفعل شئ ما ولكنها لم تستطع سماعه فقد كانت الدماء تتدفق في أُذنيها وكان إنتباهها موجه بالكامل للفتاة التي قد تراجعت إلى الباب وكانت تحمل بين يديها دفتر العمالة الخاص بها في وشاح نظيف وعينيها مُثبتتين على الأرض.

عدلت السيدة فيزي نظارتها المُكبرة كان وجهها مزيج من الصدمة، الإحباط والتعجب، "هل هذه هي الفتاة؟" سألت وهي تُشير إلى الفتاة.

"نعم، سيدتي" أكد فيسكور "إنها أنّـا، أنّـا" كررها "أليست مثل ما تريدين؟"مال برأسه وهو يتجه ناحية السيدة النبيلة.

"نعم" ردت السيدة فيزي وهي لا تزال مُرتابة وتشعر ببعض الغموض، "إذاً هذه هي.....".

ولكن لم تكن هي، على الأقل لم تكن تلك التي شاهدتها ذلك المساء في شارع الخندق،لقد كانت المرأة التي تجري خلف الصبي أطول بل أكثر طولاً، قوية أكثر منها بكثير، وجهها بني

مائل للذهبي، كان لون شعرها وحاجبيها أسود مثل سواد الفحم، كانت تتذكر تلك التفاصيل بوضوح يبدو أن كان هناك بعض سوء الفهم ربما أرسلوها بدلاً من شخص أخر، ربما لذلك الرجل قريب باتروس الذي تحدث معه فيسكور مرة أو مرتين.

على الرغم من أن ذلك كان هين بالنسبة لها فقد مرت بضع دقائق قبل أن تُخرج من ذهنها تلك المرأة في الزي الموف والتي كانت قد إعتبرتها خادمة لها وآوتها في سرير كاتيكا وتخيلتها وهي تُنظف كل غرفة، تلك المرأة التي كانت تعتبرها ملكها بالفعل أصبح عليها الآن أن تتنازل عن كل تلك الصفات الوهمية التي تخيلتها في هذه المرأة، الآن يجب عليها أن تنتزع هذه المرأة من تخيلاتها وتُسلم كل تلك المهام إلى إمرأة أخرى غريبة تماماً تُسلمها إلى تلك الفتاة البشعة التي تقف أمامها ويبدو أنها مُضربة عن العمل مثل الممثلات اللاتي لديهن رهبة من المسرح عند ظهورهم لأول مرة على خشبة المسرح.

بدأت خيبة الأمل والذهول في التلاشي ببطئ من على وجهها وبدا وجهها مبتسم قليلاً، ومرة أخرى دارت بعينيها حولها إنها حتى لا تُشبه الفلاحين على الإطلاق فهي ليست قصيرة وبدينة ولا حتى دموية اللون مثلما كانت أورزي فارجا، ولكن كانت رشيقة ورقيقة بعض الشئ، كان وجهها بيضاوي، كانت قوية البنية وكانت إنسيابية الجسم وكانت ترتدي فستان كاروهات مُهندم، كان هناك شئ طبيعي وغير معقد حولهم مثل كرتان مطاطيتان صغيرتان. كانت في الفتاة بعض الخصائص التي لا تفسير لها والتي جذبتها وصدتها في الوقت نفسه، على أي حال فقد وجدتها جذابة.

نزعت السيدة فيزي نظارتها المُكبرة، عندما كانت تنظر إليها وببساطة ليتقبلها وعيها وإدراكها، شعرت بأن تلك هي الفتاة التي كانت تبحث عنها هباءاً منذ سنوات، كانت تهتم بذلك الصوت الداخلي الذي كان يرشدها في جميع نقاط التحول في حياتها (وكان يشجعها ويـخبرها أن تُدرك مُسبقاً بالمناقشات والأفعال) أن تقبل بتلك الفتاة الآن وتصبر عليها قليلاً، وإجتاحتها رغبة قوية للإستيلاء عليها وإمتلاكها، لذلك مدت إليها يدها وكأنها تُمسك بها ولن تُفلتها أبداً.

"أتريدين دفتر عمالتها، سيدتي؟"

"نعم" ردت السيدة فيزي وهي تحاول التحكم في نفسها وبمهارة حولت حركة يديها الغير مفهومة إلى شئ أكثر واقعية "نعم، دعني أرى ذلك الدفتر".

رفعت السيدة فيزي حاجبيها.

سألتها "إسمك إديز (حلو)؟ إديز كما في كلمة حلو؟"

"هذا صحيح تماماً، أنّـا الجميلة".

قرأت السيدة فيزي المعلومات التي بالدفتر .

أنّـا الجميلة ولدت في قرية بلاتوتفوكاجار، في مقاطعة إينينج، في بلدة فيزبريم في هنغاريا.

الصفات الشخصية ..

سنة الميلاد: ١٩٠٠

الديانة: الكاثوليكية الرومانية

الطول: متوسط

الوجه: دائري

العيون: زرقاء

الحواجب: شقراء

الأنف: طبيعي

الفم: طبيعي
الشعر: أشقر
الأسنان: صحية
اللحية: لا يوجد
التطعيم: تم
صفات مميزة: لا يوجد
التوقيع: أنّـا الجميلة

"نعم" قالت وهي تبتسم إبتسامة غامضة ربما بسبب الإسم أو ربما لأنها لم تتخيل أنّـا بلحية، نظرت إلى الدفتر ثم إلى أنّـا وتأكدت من تلك التفاصيل الفجة التي بالكاد أعطت وصف دقيق للفتاة، فشعرها على سبيل المثال والذي لم يكن كثيف والتي كانت ترفعه من على حواجبها الدائرية لتُمهده وترجعه إلى الخلف لم يكن أشقر ولكن مابين اللون الكستنائي والأشقر ويميل إلى البني المحمر قليلاً، لم تكن أنفها طبيعية بل كان شكلها مثير للإهتمام وفتحاتها واسعة كان هناك شئ مثير حولها، أيضاً كانت أطول قليلاً من المتوسط وضعيفة البنية مثل الأطفال، كانت شفاهها شاحبة ومُشققة ويديها كانت خشنة كما يمكن أن تتوقع بالنسبة لأيدي خادمة وأظافرها قصيرة ومربعة.

سألتها السيدة فيزي "كم عمرك؟"

"تسعة عشر، سيدتي، أليس كذلك أنّـا" أجب فيسكور نيابةً عنها.

إلتفتت إلى أنّـا وقالت "ألا تتحدثين عن نفسك يا فتاة؟"

"إنها خجولة، خجولة جداً".

كانت السيدة فيزي لم ترى عيني أنّـا بعد، فسألتها "لماذا لا تنظري إلي؟"

"إنها خائفة".

"مم من؟ مني أنا؟! لا داعي للخوف أبداً".

رفعت الفتاة رموشها قليلاً ولكنها أغلقتهم سريعاً قبل أن تتمكن السيدة فيزي من رؤية عينيها.

قرأت السيدة فيزي الحروف المُتشابكة العنكبوتية لتوقيع الفتاة التي لاقت إهتماماً في قسم الشرطة ولاحظت تعليقات أصحاب العمل السابقين التي كانت تعمل لديهم، كان هناك إثنين فقط، الأول في ١٩١٦ (العام الذي أتت فيه إلى بودابست) لويلد مدير المستودع والأخر لباتروس مفتش الإيرادات، لقد قضت ما يقرب من السنة والنصف عند كلاً منهم.

"وماذا كانت وظيفتها؟"

"ممرضة أطفال".

"تقصد خادمة بالحضانة؟" صححت له الكلام.

بدت الإشارات مُرضية تماماً فقد كانت تُعتبر "موظفة مخلصة" وكان سلوكها الأخلاقي لا يمكن الإعتراض عليه، وتم الإشارة إلى أنها في كلا العملين كانت بصحة جيدة حتى إنتهاء خدمتها. كانت السيدة ويلد تُنبه المديرين المُحتملين لأنّــا إلى أن عملها "لم يكن دائماً في أعلى جودة" وإلى أنها "لم تُطور بعد جميع المهارات الضرورية".

علقت السيدة فزي قائلة "لم تُطور بعد جميع المهارات الضرورية، أعتقد أنه ....."

رد فيسكور مؤكداً لها "إنها تتعلم الأشياء بسرعة".

"بالطبع هذا ليس بالشئ الأساسي فالشئ المهم أنها يجب أن تعمل عليهم لتطورهم".

"إذا وصل الأمر إلى ذلك، فإنها أكثر إجتهاداً في عملها".

"هل تستطيع الطهي؟"

"قليلاً" أجاب فيسكور بتواضع نيابةً عن الفتاة.

"قليلاً؟ كنت أفضل أن تقول لا على الإطلاق، فأنا أعلم الموقف فجميعهم يقولون ذلك عندما يتقدمون إلى وظيفة وبمجرد أن يقفوا في المطبخ يتضح أنه ليس لديهم أدنى فكرة عن الطبخ، هل تتذكر مارجيت مينيي، فيسكور؟ فقد قالت أنها تستطيع الطهي تماماً مثلما قالت ليدي".

تذكر فيسكور كلاً منهما وأومأ برأسه كأنه حكيم.

"لا بأس، سأدربها ولكن هل تستطيع أن تضع الأشياء في أماكنها؟ هل تستطيع الغسل؟ هل تستطيع تنظيف الأرض؟"

"بالتأكيد" أجاب فيسكور وهو يشير بيديه كأنه يضمن لها ذلك.

"إذاً وفقاً لهذا" وأسرعت لتُحضر قائمة "ستقوم بفعل كل شئ يتطلبه المنزل، ستقوم بالتسوق، تُحضر الفحم، في أوقات فراغها تحيك الجوارب، تُصلح الملابس، إلى ما آخره".

"إنها ليست من الفتيات اللاتي يصعب إرضائهن أو يتأففن من عملهن، أليس كذلك أنّـا؟"

"هكذا يجب أن تكون، فبمجرد وجودك هنا عليك أن تعمل، فأنا لا أريد رفيقة بل خادمة، يجب أن يكون المنزل نظيف ومُرتب".

لم تنظر أنّـا إليها طيلة هذا الوقت بل كانت تحدق في الأرض ظلت وكأنها صوت بلا جسد، وبإرتباك بدلت قدميها مكان الأخرى فمنذ اللحظة التي دخلت فيها الغرفة وهي تشعر أنها مريضة، بالفعل كان تشعر أنها مريضة وكانت خائفة من أن يُغمى عليها، فقد كانت هناك رائحة كريهة غامضة في المكان لم تكن تعرف ماهي، رائحة تُشبه تلك التي توجد داخل الصيدلية، كانت رائحة حادة باردة إجتاحت حواسها وسببت لها وجع في معدتها. كانت السيدة فيزي تحتفظ بقطعة من الكافور

في البيانو ليحميه من اللُباد، لم تكن أنّا تعلم من أين تنبعث تلك الرائحة الطبية فقط كانت تعلم أنها لم تعد تستطيع تحملها بعد الآن وأنها تريد أن تخرج في الحال، تساءلت هل تنتبه إلى تلك الغريزة الطبيعية التي تدفعها إلى النزول عبر السلالم لتهرب بعيداً في الشوارع، أم أنه يجب عليها أن التوقف كي لا تعود إلى الحقول في قريتها، مع ذلك كان عمها يقف بجانبها ولم تكن تجرؤ على تحريك أي عضلة من جسمها.

إذا رفعت عينيها إلى الأعلى فعلى أي حال سيصبح ليس أكثر من أن تنظر إلى أرجل السيدة فيزي وجواربها، وكان بجانبها على الحائط صندوق بندول ساعة من خشب الأبنوس التي كانت تقطع دقاته الصمت الموجود بغرفة الطعام ويضفي عليها جو من السلطة الأرستقراطية القاسية، كانت تنظر خلسة إلى غرفة المعيشة حيث كانت المرآة هناك تبدو وكأنها مُلطخة بالألوان المُنعكسة من اللوحات، وكانت توجد أريكة طويلة تتمدد أسفلها سجادة قرمزية اللون تتلألأ بضوء الشمس بعد الظهر، لم تكن قد رأت شئ مثل ذلك سواء في منزل باتروس أو ويلد، كانت تُحدق إليها وهي تشعر أنها مشوشة ومرتبكة وظلت عينيها تنظر إليها كانت تشعر أن المنزل بأكمله يبدو وكأنه قلعة مسحورة.

"السؤال هو، هل تحبين العمل هنا؟ العمل جيداً؟ هل تستطيعين؟"

ظلت الفتاة صامتة بالكاد هزت كتفيها بإشارة غير واضحة وحزينة.

أصبح وجه السيدة فيزي مظلماً فقد كانت تعلم جيداً التمرد الواضح من تلك الإشارة السخيفة التافهة وللحظة

شعرت أن كل أمالها وجهودها قد تدمرت وقررت أن ذلك هو وقت الحزم وأنها يجب أن تتخذ قرار في هذا الأمر.

"ألتمس عفوك؟" أجابت السيدة فيزي بسخرية "أنا لم أتعود على أن أُجاب بمثل هذه الطريقة، فإذا كنتِ لا تريدين هذا العمل فتلك هي توصياتك". وألقت بدفتر عمالتها على الطاولة فأصدر بعض الضجيج "يمكنك الذهاب".

"لم تقصد أنّـا أي إساءة" أسرع فيسكور لإنقاذ الموقف وإحتوائه "أنتِ تريدين هذا العمل، أليس كذلك أنّـا؟"

"أتريدين أم لا؟"

كان كلاهما ينتظر الإجابة ولكن ظل الصمت يعم المكان.

"بلى أريد" أجابت أنّـا بصوت يكاد يكون مسموع وكان صوتها يرتجف، كانت ببساطة تعني أنه ليس لديها مانع، فأينما ذهبت هي تحتاج إلى العمل.

"ذلك مختلف، يجب أن تتحدثي بوضوح وبطريقة مفهومة كما هي العادة في أي منزل محترم، فإذا تصرفتي جيداً ستجدين عملاً جيداً".

"سيكون عملاً جيداً" أسرع فيسكور ليُدعم السيدة النبيلة ويبدو أن قوتهما المشتركة قد فازت في هذا اليوم.

"حسناً يوجد هنا إثنان فقط، أنا وزوجي ولا يوجد أي أطفال" وألقت نظرة خاطفة غير مقصودة على الصورة المُعلقة على الحائط وعادت إلى تلك الحركة الحمقاء لتُمهد وتضبط شعرها الذهبي وكأن تسريحة شعرها ثقيلة بدرجة مفرطة وأن الجمجمة أسفلها تُسحق من كثرة الجهد والتوتر. "علاوة على ذلك، فأنا أكثر إسترخاء حول أشياء معينة، فلن تضطري إلى دفع ثمن الخبز فيمكنك الأكل كما تحبين، أعلم أنه في عملك الأخير كان فطورك حساء بني، لكن هنا ستشربين كل صباح قهوة فقط

قهوة ساخنة، وفي أيام الأحد توجد المعجنات، واللحوم مرتين في الإسبوع فقط، وإذا كان عملك مُرضي فقد تتمكنين من الحصول على زوج من الأحذية سواء الآن وفيما بعد، أو يمكنك الحصول على فستان".

"تخيلي أنّـا، فستان!" إبتسم الحارس لتشجيعها.

"وربما إذا آن الآوان فقد أحتاج أن أُرسلك لتتعلمين الحياكة".

"أسمعتي ذلك أنّـا؟ تتعلمين الحياكة، سترسلك السيدة النبيلة إلى شخص ما ليُعلمك الحياكة ولكن عليكي أن تعملي بجد وإجتهاد، ستختلطين مع النبلاء والأشراف، هذا النوع من المنازل لن تجدي مثله على الإطلاق" أكمل وهو ينظر حوله عن شئ ما له أثر عميق عليها " ولا حتى في مقاطعة كريستينا بأكملها".

"متى يمكن أن تبدأ؟"

أجاب فيكسور "على الفور"

هذه الكلمات جعلت السيدة فيزي تتراجع قليلا. فكانت تتوقع أن تبدأ آنا العمل في اليوم التالي.

قال فيكسور متباهيا "لقد شرحت كل شيء لهم، لقد رتّبت كل شيء معهم فعندما أعد سموّك بشيء....."

"أين أمتعتها؟"

"في الطابق السفلي، معنا."

أمرته قائلة "أحضرهم إلى هنا."

انتظرت حتى ذهب الراعي ثم تقدّمت نحو الخادمة. وقفت على مقربة منها حتى تلامس وجههما بالفعل. رفعت آنا عينيها الكبيرتين المجهدتين وهي خائفة. كانت عيناها زرقاوين دون أي بريق فيهما، لونهما لبني مائل إلى اللون البنفسجي، مثل مياه البالاتون في فجر صيفي رطب.

كانت تلك المرة الأولى التي يقابلا فيها السيدة فيزي. كانت امرأة باردة شاحبة طويلة القامة تحدّق في وجهها، ولسبب تجهله آنا ذكّرتها السيدة فيزي بطائر غريب ذو ريش لامع مزخرف متناثر. فتراجعت بعيدا نحو الباب.

سألتها بلهجة يشوبها التصالح ماذا كانت طبيعة عمل والدها وذلك بعد أن حرصت على تهدئة الفتاة بعد اللحظة الحادّة السابقة، ولأنها أيضا أرادت أن تسمع صوتها - فالكلمة الوحيدة التي نطقتها الفتاة حتى الآن هي نعم.

"خادم."

"أي نوع من الخدم؟"

"رجل مستأجر. عند الإقطاعي."

"عامل يومي. هل يمتلك أي شيء؟ بيت؟ بعض الأراضي؟ بعض الخنازير؟"

"لا شيء."

"لا شك أنه كان يحصل على القمح؟ آه، فأنت أفضل حالا منا. ووالدتك؟"

بدأت "ماما... " واختنقت الكلمة في حلقها.

"ما خطبك؟"

أجابت بصوت مختنق "توفيت. كان لدي زوجة أب."

"إخوة أو أخوات؟"
"أخ أكبر."
"هل هو عامل مزرعة أيضا؟"
"لقد عاد للتو إلى الوطن."
"مسرّحا من الجيش؟"
"كلا. لقد سجنه الفرنسيون." وهزت كتفيها.
"أنت تفعلين ذلك مرة أخرى. يجب ألا تجيبي بتلك الطريقة. يجب أن تجيبي بنعم أو لا مباشرة. لا عليك، سوف تتعلمين."
سيكون هناك وقت للتعليم في وقت لاحق. عادت إلى المسألة التي في متناول اليد. فنبرة خاصة واثقة أكثر ليونة سألتها: "هل لديك حبيب؟"
هزت آنا رأسها. فلم يحمر وجهها خجلا ولكن سرت حمرة طفيفة على جبهتها الدائرية العذبة.
"أريد الحقيقة الآن. لا تنكري إذا كان لديك حبيب فأنا مصممة على معرفة ذلك في النهاية. هذا بيت محترم. فلا يجوز لكي أن تحضري أي شخص إلى هنا نهارا أو ليلا .على أي حال فأنا أراقب المفاتيح. هل لديك معارف؟"
"كلا"
"يجب أن تكوني تعرفين أحدا."
قالت مترددة "أعرف آل فيكسور ... " وجناب السيدة وايلد." ثم ترددت مرة أخرى. "والسيدة سيفكا وأخت زوجة السيد بارتوس."
"أخت زوجته؟ المرأة القوية طويلة القامة التي تعيش معهم؟"

"إنها هي."
"لا تعرفين أحدا آخر؟"
"كلا."

"هذا أفضل. فالمعارف ستؤذيك فقط. فلو رغب بعض أقاربك في زيارتك - والدك أو أخوك على سبيل المثال - فستأذنين بالطبع لمقابلتهما. على أي حال فستحصلين على يوم الأحد كل أسبوعين إجازة، من الساعة الثالثة عصرا حتى الساعة السابعة مساءا. ولكن عليك التواجد بالمنزل الساعة السابعة."

ظهر فيكسور وبيده حزمة صغيرة من الأمتعة مقيدة بوشاح متعدد الألوان. وباعتبارها سيدة المنزل، مارست السيدة فيزي حقها في حل تلك الحزمة. إن فحص المحتويات هي طريقتها المعتادة لتحديد ما إذا كانت الخادمة الجديدة لصة أم لا.

وجدت أشياء قليلة هناك. مناديل قليلة قطنية رثة بدون أي مونوجرام - وبالتالي فهي محتمل غير مسروقة - بالإضافة إلى فستان كاليكو أزرق ممزق بشكل سيء وزوج من أوشحة الرأس وحذاء رجالي منبوذا من الإقطاعيين ربما تكون قد تلّقته كهدية ومرآة يد رخيصة بعلامتها التجارية ومشط صلب لا يزال فيه هناك بعض الخيوط المتشابكة من الشعر. كما أنه هناك بوق صفيح أصفر مجوّف مزين بشريطة قرمزية، لعبة طفل. التقطته وحدّقت فيه. فلم تستطع أن تتخيل فيم يمكن أن تستخدمه خادمة.

في تلك اللحظة دخلت كاتيكا لمسح الطاولة رافعة رأسها بغطرسة وتعلو شفتيها ابتسامة مترفعة وكأنها أميرة تعاني من بعض التجاهل. منعتها السيدة فيزي من لمس الطاولة، ولكن طلبت منها الخروج وتلتها مباشرة بعد ذلك.

واستغل فيكسور غيابها ليتحدث إلى ابنة أخيه.

"أكل شيء على ما يرام؟"

لم تجيب آنا.

قال الراعي "إنه مكان جيد." "الطبقة الراقية الأغنياء. المنزل ملك لهم، المنزل بأكمله. فهو مستشار. هم النبلاء."

هذا كل ما انطوى عليه الحوار. كان للعامل المشترك المتمثل في الفقر سحر قليل حيث أن حتى علاقات الدم لا تعني شيئا بدون الذكريات الشعبية السارة: فقد يقيم الناس مع بعضهم بعض، ولكن إذا عملوا من الفجر حتى المساء عاشوا حياتهم الخاصة حتى تتوسّع الفروق بينهم.

أرادت السيدة فيزي تهريب كاتيكا من المنزل بنفس الطريقة التي تتخلص بها المستشفى ممن قتلتهم الكوليرا. فيجب ألا تنتقل العدوي للأصحاء. ألقت إليها أجرها في وجهها وطلبت منها أن تحزم أمتعتها فورا، وبينما كانت تقوم بذلك راقبتها السيدة فيزي كالصقر للتأكد من أنها لم تسرق شيئا.

وبالرغم من أن حزمة كاتيكا لم تكن أكبر من حزمة آنا فقد اتخذت موقفا لتحافظ على كرامتها. فقبل أن تغادر، أشارت إلى إعادتها السترة التي تلقتها كهدية.

فهي تخشى العدوى أيضا - من أي شيء يذكّرها بالمنزل التي تعرضت فيه للإذلال-. أخذت السيدة فيزي السترة وأغلقت الباب خلفها بعنف. وعندما عادت خاطبت آنا بلهجة جديدة تماما، اللهجة التي ستستخدمها من الآن فصاعدا.

"تعال يا آنا. سأريك الشقة."

انتقلا من غرفة إلى أخرى. "هذه هي غرفة المكتب. تحتاج الكتب للتنظيف اليومي، ولكن يجب ألا تنقلي شيء من على

المكتب. فزوجي دقيق فيما يتعلق بأشياءه. أفهمت؟ هناك شيء آخر يجب أن تهتمي به."

بدت السيدة فيزي كالبومة المتخمة وهي تحدّق في الفتاة مرتدية نظارتها الصفراء. سارت آنا وراء السيدة فيزي وفيكسور بخطوتين، وهي تجر حزمتها معها.

"لقد رأيتم غرفة الطعام بالفعل. وتلك هي سلة الغسيل. وسينقل هذا الدولاب طبيعيا من هناك."

جاء دور غرفة المعيشة بعد ذلك. "ويجب أن يتم تنظيف هذه الحجرة أيضا جيدا. يجب علينا تنظيفها أولا. علينا أن نسحب البيانو إلى الأمام. ولن يكون هناك نقص في العمل بالتأكيد."

كانت القاعة مغطاة بسجادة حمراء. وقفت آنا بجانبها، ووجهها شديد الشحوب من جراء رائحة الكافور الثقيلة التي غمرتها. كان فيكسور والسيدة فيزي بالفعل في غرفة النوم. .كانت تسمع صوت السيدة فيزي بالكاد وهي تحثها على الدخول.

قالت السيدة فيزي لفيكسور "لما لا تدخل؟ يا لها من فتاة غريبة." "سيكون الوقت صعبا معها في البداية." وكان هناك باب من غرفة النوم مغطى بورق حائطي تزيّنه ورود باهتة متسلقة يؤدي إلى ظلام الحمام الرطب حيث تجري المياه بغزارة من الصنابير المكسورة.

أمرت السيدة فيزي آنا قائلة "أطفئي الآنوار" "تعالي يا فتاتي. اسمعيني جيدا. كلما تتركين غرفة أطفئي الآنوار. لا تبددي شيئا فيما لا تحتاجينه، فالحياة مكلّفة بما يكفي. وأغلقي الباب خلفك. لن يكلفك هذا الكثير من الجهد. تلك تعليماتي."

وصلوا إلى المطبخ الذي بدا بالفعل فارغا غير مأهولا، كما لو لم تكن كاتيكا تعيش هناك.

بدأت السيدة فيزي الكلام "هذا هو ... " ولكنها لم تكمل جملتها. "ليس كبيرا، ولكنه كان كافيا لمن استخدمه حتى الآن."كلا، ليس هناك"، صرخت بتلك الكلمات عندما همّت آنا بوضع أمتعتها على الطاولة. "لا أريد براغيثك في شقتي. هل رأسك نظيفة؟ عليك أن تأخذي حماما غدا."

أرتها المخزن."تظل تلك الحجرة مغلقة. فكل صباح سأعطيك الدقيق والدهن والسكر." وحذرتها قائلة "لا أريد أن يفقد أي شيء."

واستعد فيكسور للخروج، فكان واقفا عند الباب عندما تملّك الفكر من السيدة فيزي.

"بالطبع، أجرها ..."

عارضها الراعي قائلا "من فضلك، سيدتي الجليلة!" بنبرة يشوبها السخط ."ادفعي لها ما تعتقدي أنها تستحقه. فلقد رأيت ما يمكنها القيام به."

"حسنا. سنرى."

دعت آنا إلى غرفة الطعام وأمرتها بإزالة أطباق الغداء وراقبتها عن كثب وهي تفعل ذلك.

علّمتها كيفية حمل الأطباق وكيفية غسلها وكيفية وضع السكاكين والشوك بعيدا في خزانة أدوات المائدة.

في المساء أعدوا الطاولة لتناول العشاء. رتّبوا الأطباق وأدوات المائدة على الطاولة ووضعوا عليها رغيف أبيض كبير حيث يمكن الآن شراء رغيف أبيض.

وبمجرد أن تم تقطيعه أعطتها السيدة فيزي رغيف الخبز المصنوع من دقيق الذرة.

قالت السيدة فيزي وهي تناولها شريحة من الجبن "هذا هو خبزك وعشاءك." وهذا هو غطاء الوسادة الخاص بك." أعطتها

ملاءة مزينة بخطوط حمراء في يدها. "ضعي هذا. تناولي عشاءك ثم يمكنك الذهاب إلى الفراش."

"تصبحين على خير يا سيدتي." وقبّلت الفتاة يدها.

قالت السيدة فيزي "ليس هناك حاجة لذلك." ولكن الفتاة قبّلت يدها مرة أخرى.

+

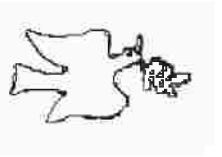

(٧)

المكنسة الجديدة تنظف جيدا

حدّقت آنا في المطبخ غير المألوف.

لقد سمحوا لها أن تتناول العشاء أولا ثم تذهب إلى السرير. قطعت شريحة من الخبز. لم تستطع حتى أن تتذوق الخبز أو الجبنة؛ فكلاهما يحملان رائحة الشقة.

تخبّطت وهي تحاول فتح ذلك السرير الغريب ونجحت في فتحه في النهاية، وألبست وسادتها الوحيدة غطاءها، وأدرجت نفسها في سريرها المكشوف الذي كان حتى تلك الليلة ملكا لكاتيكا واستلقت بعد أن أطفأت الشموع.

"الرب والأب – الأب الحنون – عيناي الذابلتان – تغلقان بنعومة – يا الهي – فهما مفتوحان دائما..."

هذا ما كان يتضرع به باندي وبيستي وحتى جوري، ابن السيد وايلد مالك المخزن. فلقد علّمتهم جميعا ذلك.

"انظر إليّ – عندما أستيقظ – والدي تومي – لتكن حافظا – احمي كل – راعي..."

ثم كان باندي، الذي يقع سريره بجانب الأريكة التي كانت تنام عليها، كان يجب أن تكون قصيدة الطيور والمدية بجانبه.

كانت المدية مميزة: عندما تفتح شفرتها تخرج الطيور منها، مجموعة من الطيور ذات الألوان الزاهية. ينام الطفل وهو يفكر في هذا المدية وعندما يستيقظ في الصباح يتذكر حلمه بالطيور والسكين ويبدأ في الضحك.

كررت آنا الأشعار الآن وعلى الرغم من أنها نفسها لا يمكنها فهمها بشكل كامل إلا أنها جعلتها تنعس بسرور. ولكنها لم تغفو على الرغم من أنها ظلت مستيقظة لفترة طويلة الليلة الماضية في بيت آل بارتوس.

ترى ما الوقت الآن؟ كان سريرها عاليا على الجانب العكسي مستندا إلى الجدار مقابل النافذة. لم تكن قد نامت أبدا فوق مستوى الشارع حتى الآن. رأت أمامها الجدار الداخلي الشاهق للمبنى. توهّجت مربعات نارية وتبعثرت. دخل المستأجرون غرفة أو أخرى ثانوية من المنزل، المخزن أو دورة المياه؛ أضاءوا وأطفئوا الأضواء. وكان هناك في مكان ما شخص يلعب البيانو وكانت هناك امرأة ذات صوت عذب تغني مع عزف البيانو. بدأت مرارا وتكرارا. كانت الجدران والنوافذ تدندن وكان المنزل كله يتمايل على موجات الموسيقى. كانت في بعض الأحيان تسمع غمغمة تحت سريرها. واكتشفت لاحقا أن البيانو كان في الواقع في الطابق الأعلى، فوقها مباشرة.

ثم سكت البيانو والصوت الشادي. ساد الصمت والظلام حولها. حتى مربعات الضوء على الحائط المقابل توقفت عن التوهج. وبعد أن تخدرت حواسها قليلا شعرت أنها تائهة. بحثت بعينيها عن الأريكة القديمة ولكنها لم تجد سوى الجدران في كل مكان، مدّت أصابعها ولكنها لم تلمس شيئا سوى فراغ الليل. ظنت أن المطبخ يدور حولها في دوّامة وأنها لن تلبث أن تختفي أسفل الهوة.

عاليا، في أعلى نقطة من الجدار بالخارج، كان هناك ضوء وحيد مازال مشتعلا. يبدو أنه حلم من أحلام اليقظة. في البداية ظنت أن الضوء عبارة عن نجم ولكن اتّضح أنه مصباح زيتي تقليدي. كان أكثر إشراقا من النجوم. فالمصابيح دائما ما تكون أكثر إشراقا من النجوم.

بعد منتصف الليل بقليل سمعت المفتاح يدور في القفل في الخارج. فبعد أن حصل بالفعل على تذكرة مسرح ليلية من الرومانيين، وصل السيد فيزي إلى المنزل. كان يهمس إلى زوجته. وسرعان ما فتح أحدهم باب المطبخ. دخلت السيدة فيزي حافية ومرتدية ثوب نوم أبيض طويل جعلها تبدو كالأشباح ومالت على آنا لتعرف ما إذا كانت نائمة أم لا. ثم عادت مرة أخرى بعد ذلك بربع ساعة ولكن في تلك اللحظة لم ترها آنا لأنها كانت قد دفنت رأسها في الوسادة واستسلمت للنوم.

كان هذا الأمر مهما بالنسبة للسيدة فيزي. مرة أخرى كان هناك نفسا غريبا يختلط مع جو الشقة المألوف. كان هناك قلبا غريبا ينبض: شخص ما تحت سقفهم، شخص غريب يلتقي فيه الصديق والعدو، يلتقي فيه نقيضي القرب والبعد. كل منزل له ضيفه السري، وفي هذا المنزل كانت هي. وعلى الرغم من كون كاتيكا شخصية غير متعاطفة مع الآخرين، إلا أنها كانت على الأقل معروفة. هذا الشخص الجديد لا يزال لغزا. وعلى خلاف عادتها، أغلقت السيدة فيزي الأبواب المؤدية إلى غرفة الرسم والحمام.

سألها فيزي "هل أنت خائفة؟"

"كلا. ولكن الأمر كما هو. إنها الليلة الأولى."

أيقظها فضولها عمليا من الفجر. ولكن ما رأته أوقف تحركاتها.

كانت الخادمة قد قامت بالفعل بتهوية وكنس الغرف. كيف يمكن أن تكون قد فعلت ذلك؟ مستحيل. فهذا معناه أنها استيقظت في الرابعة وعملت بمنتهى الهدوء حيث لم يسمعها أحد. كانت تربض الآن خلف منضدة الكتابة في المكتب مرتدية ذلك الثوب الأزرق المصنوع من قماش الكاليكو والحذاء الرجالي التي لاحظته السيدة فيزي في حزمتها.

أومأت السيدة فيزي برأسها فقط. فهي تعرف أن الإشادة بخادم على الفور تفسده. طلبت منها أن تطحن بعض البن وتغلي طستا من الحليب. أرسلتها إلى الخباز وجعلتها تعد المائدة لتناول الإفطار ثم أرسلتها لتنادي فخامته من الحمام.

كان يحلق ذقنه أمام المرآة ووجهه مغطى بالرغوة. كان يبدو مثل رجل الثلج. تقدّمتا آنا نحوه بصمت وحاولت غسل يده.

صرخ بحدة "احترسي" "قد أجرحك!"وأبعد النصل اللامع عاليا فوق رأسه. "أنت الفتاة الجديدة؟ ما اسمك؟ واسم عائلتك؟ واسم والدك؟ يبدو مجريا." قالها فيزي بلهجة حاسمة كما هو معتاد قبل أن يتخذ نهجا سياسيا واسعا تجاه هذه المسائل. "عمال مزارع. أليس كذلك. أصحاب الممتلكات الصغيرة."

كان الإفطار رائعاً. ولأنها كان تجهل عاداتهم، بسطت الفتاة الجديدة مفرش الطاولة الأصفر النظيف الذي يستخدم فقط للمناسبات الخاصة. وتألقت ملاعق الشاي الفضية بالطريقة الشاعرية القديمة. وعندما أخذت آنا طست الحليب خارجا تبعتها السيدة فيزي بعينيها. "تبدو فتاة ماهرة."

عبس فيزي. فهو لا يوافق على منح الثقة بهذا الاستخفاف: فخيبة الأمل التي قد تأتي بعد ذلك ستكون أكثر مرارة. ألم تكن تبدأ دائما على هذا النحو؟ تظن زوجته نفسها

حكما جيدا على الشخصية، وتتوصل إلى استنتاجات بعيدة المدى من أدنى دليل. تمدح كل خادمة جديدة في الساعات الأربع وعشرين الأولى على الأقل بأنها "فتاة ماهرة" وتعرب عن ثقتها بأن هذه الخادم "ليست مثل الأخريات." تكللهم بسمات أكثر مما يزين به الشاعر أشعاره. ثم تتوالى مخيبات الأمل. ففي اليوم الثاني لن يكون هناك مزيد من الحديث عن الفتيات الماهرات. في اليوم الرابع ستشير بارتجال أن الفتاة كانت "بطيئة بعض الشيء"، أو أن هناك "لمحة من الكسل." بعد ذلك ستعترض على سلوكها. ثم تأتي الذروة بسرعة درامية. فبحلول نهاية الأسبوع ستدعوه جانبا وعلى وجهها لمحة مميزة وتتحدث شفتيها بهمهمة صامتة وتخرج الكلمات مرتعشة إلى حد كبير "إنها تسرق ...تخيل، إنها تسرق." وفي نهاية المطاف يصدر الحكم المدين: "إنها عاهرة، تماما مثل الباقي."

لماذا نخدع أنفسنا .دعونا نتناسى. فجميع المكانس الجديدة تنّظف جيدا.

فالمكنسة الجديدة فعلا نظيفة. فهي تمسك بسلتها وتذهب إلى السوق مرتدية حذاء بلا رباط. لا يضطر أحد إلى انتظارها، فهي لا تتسكع، لا تتجول بلا هدف وتعود على الفور. مسحت الطاولة وأعدتها. كانت مثل المائدة الساحرة في الخرافات. كان هناك مزيج من النظام والصمت.

عرفت المحال والأكشاك في الحي. لم تضل طريقها في المدينة. وعندما أرسلوها أبعد من ذلك استطاعت إيجاد طريق عودتها من فامهاز كيروت، حتى من بوراروس تير. فهي لم تكن الفتاة الريفية. فالثلاث سنوات التي أمضتهم في بست قد عدّلوا عادات بلدها. كان سيرها هادئا، وكانت ترفع أنفها بصمت وتتحدث بالطريقة الصحيحة. كان لهجتها فقط تخونها

أحيانا، والحقيقة أنها كانت في بعض الأحيان، بشكل عفوي تستخدم صيغة شرفية عالية في النداء على السيدة فيزي، مخاطبة إياها بالسيدة الكريمة بدلا من السيدة الطيبة.
ولكن كانت لها ميزة خاصة: أنها لا تأكل.

كان خبز الذرة والجبن اللذان تركتهما في أول يوم قد قدما إليها مرة أخرى في الليلة التالية. ولكنها لم تقترب منهما. فهي ببساطة قلّبت قهوتها ووضعتها جانبا: لم يتخط شيء شفتيها. في اليوم الثالث أكلت تفاحة عندما كانت في بيت آل فيكسور. فتلك على الأقل لم تكن تشوبها رائحة.

وعلى الرغم من كل مجهوداتها لم تستطع أن تتعود على رائحة المكان. كان أنفها دقيق كأنف الكلب واعترضت على تلك الرائحة. كان تأثير اتيلا اوتكا ٢٣٨ حادا: تعتريها رجفة لا إرادية كلما لمحت عيناها المنزل، حتى من مسافة بعيدة. ومع ذلك فقد كان منزلا ساحرا للغاية. فإنه منزل كورنيل فيزي على أي حال. كان يتميز بجو القصر الصغير اللطيف. كان الجدار الخارجي تزينه ورود الجص وشرفاته الرقيقة كأعشاش طيور السنونو معلقة بخفة. فالشرفتان العلويتان، واللتان تنتميان إلى عائلتي دروما وموفيسزتر، كانتا من النوع المفتوح، ولكن تلك التابعة لآل فيزي كانت مدهونة بطلاء مثل الفارندة وكان هناك مصباح مظلل متأرجح من السقف: يمكنهم تناول الطعام هناك إذا ما رغبوا في ذلك. المنزل يمكنه استيعاب هؤلاء الثلاثة فقط.
كان هناك لوحتين مثبّتتين على الحائط: "الدكتور سزيلارد، المحامي، المتخصص في القانون التجاري والدعاوي" و"الدكتور ميكلوس موفيسزتر، الممارس العام. المواعيد ١١-١٢ صباحا و ٣-٧ مساء.

اكتشفت آنا ذات يوم عندما أرسلت إلى آل موفيسزتر لاقتراض بعض البيض مصدر العزف الجميل على البيانو. كانت زوجة الطبيب الجذابة تجلس على البيانو مرتدية ثوب نوم قصير، وكانت أصابعها المرصّعة بالجواهر تسبح على مفاتيح البيانو وتغني بأعلى صوتها.

تعرفت على الخدم أيضا. كانت ايتل، والتي تتدلى عناقيد المفاتيح من خيوط مريلة المطبخ الخاصة بها مثل شفيع أو راعي العائلة، تنتزع الطائر الجاثم على مطبخ المنزل الكبير المضاء جيدا. كان تصدر في هذا المكان جميع القرارات المتعلقة بما يجب أن يطهى أو يقدّم على العشاء. هنا، يمكنها أن تمارس دور الطاغية وفي بعض الأحيان، تلعن مشغليها الذين يعيشون في خوف (ورجفة) منها. تنام بعد ظهر كل يوم من الساعة الثالثة حتى الرابعة والنصف، وخلال هذا المدة يضطر آل موفيسزتر إلى الزحف كالفئران ويقوم الطبيب بفتح الباب بنفسه لمرضاه. يمكنها أن تشرب زجاجة من البيرة البنية في الغذاء والعشاء وتسير على نحو متخبط هذه الأيام بسبب وزنها الذي ازداد كثيرا بسبب الاستهلاك المتواصل للحلوى والتي وسوف تقدّم منها إلى آنا.

أما خادمة آل دروما فكانت في البداية على استعداد قليل لتنزل بنفسها لهذا المستوى. كان المشغل السابق لستيفي من النبلاء في الدوائر الآنتخابية لفار. وبعدما سئمت من المجتمع الراقي سعت نحو عائلة هادئة وذات سلطة محدودة قريبة لمستواها، وهو ما وجدته في شقة المحامي. تحدّثت بتسامح مع آل دروما لأنهم كانوا صغارا وإمكاناتهم لم تسمح لهم بتأثيث الشقة بشكل كامل. ففي الواقع، أخذت على نفسها عاتق تعليمهم بعض عادات التهذيب. فهي ترحب بالضيوف بشكل

رسمي وتقدّم الزبدة في قوالبها بشكل أنيق كما واصلت ارتداء مريلة المطبخ البيضاء وثوب أسود وتشير إلى نفسها باسم "طاقم العاملين". قرأت المجلات المسيحية وارتبطت بفتيات المكاتب واقتربت بشكل خاص بسكرتير السيد دروما والذي تتأبط ذراعه بشكل واضح أثناء سيرهما آملة أن تصبح سكرتيرة بهذه الطريقة.

وثق الخادمين في آنا وسألاها عن نظام الغذاء الخاص بآل فيزي، وكانا ينزلان إلى أسفل ليستخدما الهاتف الخاص بآل فيزي عندما تصاب الهواتف الأخرى بالعطل كما كانا يدعوان آنا للانضمام إليهما في لعبة البطاقات في فترة ما بعد الظهر واستخدام الفول والمكسرات كرهان. كان رأيهما سيئا في السيدة فيزي. كانا يدعونها بالبخيلة – الداهية التي تتواصل مع أرواح الموتى. كانا دائما يسألان آنا عما إذا كانت راضية عن وضعها. وكانت تقول أنها كذلك. فماذا يمكن أن تقول؟ ففي النهاية فهي حتى لم تستطع كبح جماح شعورها المتزايد بالاشمئزاز.

لم تتعود بسهولة على ذلك. لقد تكيفت سريعا على الكهرباء. وعلّماها كيف تتعامل معها. استخدمتها آنا كما علّماها. فهي لا تفهم شيئا في الكهرباء، ولكن بعد ذلك لم يفهم الخادمان شيئا أيضا. عندما أضاءت الضوء رأت الغرفة ساطعة ولكنها ما زالت واقفة لرؤية المصباح وهو مضيء. كان الشيء نفسه مع الهاتف. ففي الأيام القليلة الأولى كانت تتحدث بنبرات عالية في الطرف الخاطئ حتى اكتشفت خطأها. بعد ذلك تعوّدت عليه بسهولة. فقد رأت معجزات أكبر في السهول. فتقبّلت ببساطة حقيقة أن مثل هذه الأشياء موجودة.

كان هناك أشياء أخرى تزعجها، وكلما بقيت، كلما أصبحت غريبة. أشياء تافهة جدا. فعلى سبيل المثال، عندما سمعت أن سيدها يسمي كورنيل، شعرت أنه لم يكن من الممكن أن تظل معهم. الموقد، والذي كانت تتصور أنه أخضر اللون، اتّضح أنه أبيض. جدار غرفة الرسم لم يكن أبيض ولكن أخضر؛ الطاولة لم تكن بيضاوية ولا دائرية ولكن سداسية ومنخفضة، كان هناك باب يقود إلى الداخل والآخر إلى الخارج. هزت هذه المفاجآت البسيطة المستمرة كيانها بالكامل. كان هناك باقة ورود يخرج من بينها ريش الطاووس مما كان يصيبها برجفة غريبة. شعرت أن "العيون" تراقبها فكانت دائما ما تنظر جانبا عندما تمر عليهم.

وعندما رفعت عينيها، كان أمامها سيدتها؛ كان شعرها غير ممشط وكانت تقف مستقيمة كما لو كانت في قمة غضبها وتنتظر أن تصب غضبها عليها. وحيث أن الباركيه يصدر صريرا، سمعت كل شيء. كانت السيدة فيزي حريصة على حماية شقتها من الرسوم (والتي جلبت لها آلام الأسنان والأذن) ومن الضوء (الذي يثير حفيظتها). كانت دائما في أعقاب آنا، تتعقبها وكأنها شرطي. كانت تحاضرها بشراسة حسنة النية: "ليس بهذه الطريقة يا فتاة ...بهذه الطريقة ...ضعيه على الطاولة ...ليس على الحافة بحق الآلهة حتى لا تكون على وشك السقوط ..." ونتيجة لذلك وضعت آنا كل شيء في منتصف الطاولة. وعلى الرغم من ذلك، تقوم سيدتها بتصحيح وضبط الأشياء بما فيه الكفاية فقط لتشعر أنها على حق. لا يوجد ما هو جيد بدرجة كافية بالنسبة لها. إذا صمتت آنا طلبت منها أن تعرف السبب، وإذا من جهة أخرى تحدثت عن كيف كان الحال عند آل بارتوس، سرعان ما تتذكر أن الأشياء تتم بطريقة مختلفة

هنا، وأنها لا ينبغي أن تتبع مفاهيمها السخيفة، بل عليها الاستماع إلى هؤلاء ممن هم أكثر حكمة منها.

وعلى الرغم من ذلك، اشتاقت آنا للأطفال بشكل رئيسي، فالأطفال كانوا رفاق ممتعين ودمى متحركة بالنسبة لها. ففي النهاية كانت تتلقى مرتبها مقابل رفقتها لهم. كانت تتمنى أن يكون هناك شخص هنا تقوم برعايته، شخص يمكن أن تقص عليه القصص وتتلو الآيات. ولكن ماذا يمكن أن تفعل مع هؤلاء الكبار المهيبين الذين تمحي حياتهم الخاصة المغلقة حياتها بشكل مستمر؟

مر الأسبوع الأول على الرغم من صعوبته عندما اشتعل فتيل شجار كبير. كانت آنا تكنس غرفة النوم وتستمع إلى السيدة موفيسزتر وهي تلعب البيانو في الطابق العلوي عندما لاحظت بيت دمية صغير على خزانة الملابس. كان أثاثه الخشبي مغطى بطلاء أبيض وكانت هناك مرآة مذهّبة وحوض وإبريق صغيرين على الرف الزجاجي بجانبها وسرير عليه غطاء من الحرير الأحمر وتحته دمية نائمة بشعرها الحقيقي. وقفت آنا على كرسي لمسح المرآة المذهّبة الصغيرة عندما سقطت منها وتكسّرت إلى ألف قطعة صغيرة.

وعلى الفور حضرت السيدة فيزي.

صرخت "ما الذي تكسّر! أوه! أيتها الغبية!"

نزلت آنا من على الكرسي وبدأت في جمع الشظايا وحاولت أن تجمعهم مع بعضهم البعض. نفضتهم السيدة من يدها.

"اتركيهم. انتهى الأمر"، صرخت بهذه الكلمات وانفجرت في البكاء. همست آنا "سأدفع ثمنها."

"تدفعين ثمنها؟ هل يمكن لأي شخص أن يدفع ثمن شيء كهذا؟ لقد كانت هدية تذكارية. من ابنتي. أحضري المكنسة

سريعا."

وحينما كانت آنا تكنس وقفت السيدة وراءها وأخذت تلقّنها التعليمات."أنت حمقاء خرقاء. كاتيكا لم تكسر شيئا أبدا. ولكني سأخصم ثمنها من راتبك. سأفعل ذلك. فهذا سيعلمك درسا."

قضت السيدة فيزي بقية اليوم في قلق من مغزى المرآة المكسورة. ولكن بعد ذلك سألت نفسها ما دلالة حبوب الأرز السبعة؟ لم تستطع التوفيق بين الإثنين. تذكرت حذر السيدة وايلد من أن عمل الفتاة "ليس دائما من أجود ما يمكن" وأنها "لم تطور بعد كل المهارات اللازمة ". إنها تكسر الأشياء؛ هكذا جاء ظن السيدة فيزي. يبدو أن هذه الخادمة تكسر الأشياء.

ذلك المساء ركضت آنا إلى منزل آل فيكسور لتعلن أنها ستترك منزل آل فيزي. وسوف تعلن ذلك في أول الشهر. كان الراعي وزوجته حريصين على معرفة السبب، ولكن لم تستطع آنا سوى أن تهز كتفيها وتقول إنها لا يمكن أن تعتاد على ذلك المكان.

تناول فيكسور الذي كان يتمدد على الأريكة غليونه من خطافه وبدأ في توبيخها. هدّدها بزوجة أبيها. قال أنه يمكنه أن يرسلها إلى منزلها بلا أية مشكلة، فزوجة أبيها تكّن لها الكثير من الحب وتنتظر عودتها بصعوبة! ثم عاود مطاردتها في الطابق العلوي. لم تفكّر آنا ثانية في الرحيل وفضّلت أن توقف التفكير تماما.

فقط أثناء الليل، عندما حدّقت في المصباح الوحيد على الجدار الخارجي، بدأ قلبها يؤلمها. فهي لن تتعود ثانية على هذا المكان.

(٨)

الظاهـــرة

في نهاية الأمر تعوّدت آنا. ثم جاء يوم الغسل الكبير. كان هناك جبال من أغطية الفراش والبطانيات الرمادية والقمصان والملابس الداخلية، كانت رائحة العرق القذرة المهلكة لا تزال عالقة بهم. أصابها البخار بدوار لذيذ.

قامت آنا بغلي الماء في المقلاة. رفعت أكمامها وركعت بجانب الحوض تعبث في القماش. لعبت وخبطت أصابعها بمتعة في رغوة الصابون الدافئة. قامت بجر سلال كبيرة من الغسيل من مكان إلى مكان، تنفض القماش وتطويه وتجففه في المجفف. كانت مفارش المائدة رقيقة كالعشب وأصبحت الياقات مشرقة كالزجاج.

استغرق التنظيف ثلاثة أيام. ومن أجل الإعداد له، أفرغت الأدراج.و فجأة، كما في لعبة الاستغماية، ظهرت الأشياء في أماكن غير متوقعة. هزّا إحدى السلال وتدحرج منها تسعة عملات ذهبية إقليمية بقهقهة ماكرة جذابة. كان عليهم استيعاب اللعبة ومطاردتة تلك العملات. ولكنها وجدا أيضا الكثير من الأشياء الأخرى. فلقد وجدا مقبضي البابين في أسفل السلة والفرنكات السويسرية بين صفحات كتاب (الفرنكات التي توضع جانبا في حالة وجود حاجة مفاجئة إلى

الفرار من البلاد)، والقلادة ملفوفة في الصحف الموضوعة في الجزء السفلي من وعاء الرواءب، وقرطا واحدا. وفي مكتب السيد فيزي اكتشفوا علبة من الشاي الروسي وكيلو من العدس في كيس من الورق وعلبتين من السردين البلجيكي.

ورأت السيدة فيزي، والتي يطاردها كابوس أن الأمر سوف ينتهي بها إلى التسول والمعاناة من الجوع حتى الموت، أنها كانت أغنى بكثير مما اعتقدت. كان لا يزال هناك المزيد من المفاجآت. فمن تحت خزانة ملابس وجدت آنا تنورتها اللبنية الطويلة والبلوزة الحريرية وردية اللون والتي ظنت أنها أعطتها لمرأة من شوابيا خلال عملية تنظيف سابقة. وجدوا بكرات قطن وأزرار وقصاصات مختلفة من الجلود التي كانت السيدة فيزي تخزّنها بتعصب. ولم تكن غريبة في ذلك. لقد علّمتها السنتان المريرتان الأخيرتان أن الحياة لا قيمة لها: فالاشياء والممتلكات هي ما يهم حقا. وبعد قراءة ما جاء في الصحيفة أن الجيش النمساوي قدّر قيمة الرجل - القلب والعقل وكل شيء – بستة وثلاثين قطعة نقود ذهبية، أي أقل بكثير من قيمة الحصان المجهّز تجهيزا كاملا، فلماذا – من دون الناس - لا تتوصل إلى نتائج مناسبة لما هو قيم وما ليس كذلك؟ فالمادة هي السلطة: أعطتها اهتمامها الأكبر. أقسمت داخليا أن تكون موفّرة من الآن فصاعدا.

ومن تحت الشجرة الأقدم في الفناء، دفنت الهاون النحاسي والتي أخفته قبل أن تأتي أوامر المصادرة المتعددة. هذا الهاون النحاسي، فخر مطبخها، تجنّب بالكاد تحويله إلى مخزن ذخيرة للمدافع. انقذ من عواصف وقصف القرن المضطرب، برز ملطخا وموحلا من قبره المؤقت.

في الطابق العلوي، كان يجب إعادة الشقة إلى حالتها السابقة. قاموا بجذب الخزائن جانبا والتي كانوا قد حرّكوها لحمايتها من هؤلاء العدوانيين المفوترين عليهم. زادت حدة الفوضى. فبدأ الأثاث يتجول ووقف الكرسي ذو ذراعين، والذي كان على ما يبدو قد تحرك بمفرده، تائها محدّقا بشوق إلى أسفل الدرج. استلقت ساعة الحائط على ظهرها على الأرض كما استلقى بندولها في صندوقه الخشبي جنبا إلى جنب مع نصل الشوكة الرافعة. وخرجت الطاولات في نزهات إلى الساحة أدناه حيث الكراسي الخشبية والمقاعد الطويلة يحصلون على حمام شمس جنبا إلى جنب مع الأريكة المجرّدة الآن من غطاءها الأحمر.

من الضحى حتى المساء كانت آنا تناضل وسط هالة من الغبار. كان لعابها أسود ومخاطها رماديا. كانت تضرب المراتب كما لو كانت تحمل ضغينة هائلة تجاههم. كانت تركض إلى الطابق العلوي حيث الشقة وإلى الطابق السفلي حيث الساحة لمائة غرض. كانت أجزاء من النافذة غارقة بالمياه كما كان هناك مياه غير نظيفة في الدلو أما الخرق فكانت تقطر ماءا ممتزجا بالقاذورات. مسحت النوافذ وهي تقف على سقالة خشنة. ثم تنظف الأرضيات وتطليها بطبقة باهتة من شمع العسل وترقص على الفرش المربوطة إلى قدميها وتلمّع الباركيه وتنزلق وتتزلج وتنحني وتركع كما لو أنها في كنيسة وتشارك في بعض الصلاوات اللامنتهية. وتم التخلص من الأوراق الزجاجية على الأقفال الصدئة وأحضرت السجاجيد المخفية في العلية إلى أسفل وحلّتهم من أغطية النفثالين ونفضت عنهم الغبار بعد أن وضعتهم على منصة السجاد. بعد ذلك أعادت ترتيب الأثاث بسرعة: كرسي هنا وطاولة هناك والبيانو على بعد بضعة أقدام إلى الأمام. وحتى تنتهي كان يتبقى تعليق الثريا

برعاية كاملة حتى لا ينكسر شيء وتركيب بعض المصابيح الجديدة القليلة، وأخيرا تعليق الستائر كريمية اللون على القضبان المذهبة وتثبيتها إلى حلقات الستائر وبعدها ينتهي كل شيء.

بحلول المساء كانوا قد انتهوا. في غضون ساعة أصبحت القاعة مشرقة بعد أن كانت تعج بالأشياء بشكل مؤقت.

جذبت السيدة فيزي زوجها من ذراعه واقتادته بطريقة رسمية داخل أرجاء الشقة. "انظر!"

"أنا!"

"ما رأيك؟" "الشقة أفضل الآن!' "أليس كذلك؟"

"تبدو أكثر ترحيبا."

فلقد تغيّرت الشقة بكل تأكيد. استردت الشقة عافيتها فجأة بعد أن كانت شاحبة مريضة وكانت مغطاة لسنوات طويلة بطبقة الغبار التاريخي. خطا السيد فيزي على البساط الفارسي في غرفة المكتب. وبفضول تفحّص مشهد الطيور الحمراء الصغيرة على الفروع المنقوش عليها.

"ما هذه السجادة؟"

"أرأيت، لم تتعرف عليها. إنها السجادة التي كانت توضع بجانب سريرك. لقد قامت بتنظيفها باستخدام الكرنب الرطب."

كان الأمر يبدو مثل تلقي كومة من الهدايا الجديدة. كانت غرفة المعيشة كالبازار المجهّز جيدا: الأواني والمزهريات متلألأة، سلع المدينة وسلع القرية التي حفظتهم رحمة الله من جيل إلى جيل. وكان قاطع السيجار يلمع فوق منضدة الشطرنج. كل الساعات كانت موقوتة بواسطة آلياتها التي تحملها لأرانب الوحشية الخزفية أو مخبأة في بطون الخيول البرونزية. عاد

الأسلاف من منفاهم الطويل. استعاد والد فيزي الراحل والذي يرتدي قبعة سوداء ورباط عنق فضي مهدب مكانه على الحائط، وكذلك قريب زوجته، المطران كاميلو باتيكاريوس بوشاحه الأرجواني وابتسامته الصفراء المنتشرة عبر شفتاه الإكليركية المقدسة، وواحدة من عماتها العظيمة، تيريزا باتيكاريوس، والممسكة بمروحتها المصنوعة من ريش البجع والتي كانت تستخدمها في اللعب بالكرات.

عدّل فيزي واحدة من الصور. فرك يديه معا. ومكث كذلك طوال تلك الليلة.

رفعت السيدة فيزي إصبعها. "هذه الفتاة نظيفة. هذا ما يعجبني فيها، إنها نظيفة جدا وذكية."

كان لا يمكن إنكار أن آنا قد أسرتها بصورة أكبر من أي من خادمة سابقة. ففي الوقت الحاضر لا تستطيع أن تترك جانبها. ولكن من المؤكد أيضا أنه لا يجب وصف آنا مثل غيرها : فلقد كانت جوهرة وكان من المفيد قضاء الوقت معها وتعليمها والوصول بها إلى الكمال. كانت حتى قد بدأت تأكل. كانت تستخدم البدائل الغذائية المختلفة التي خلفتها الحرب بشكل متدرج، قهوة الهندباء والسكرين والسمن. لم تكن تشتهي الخبز الطازج بالتأكيد، فلم تكن نيقة. استيقظت عند الفجر في الرابعة ونصف ولم تعد إلى الفراش حتى انتهت من عملها. لم تكن تتحدث بوقاحة ولم تكن منافقة. لم تكن السيدة فيزي تشعر بوجودها مطلقا، تشعر بنتائج عملها فقط. كانت حورية أصلية طيبة. ماذا يمكن أن يريد المرء أكثر من ذلك؟

وكل يوم مبارك سيبشّر بمعجزة جديدة والتي ستعجل بالسيدة فيزي لإبلاغ زوجها بها. "تعال هنا لدقيقة. فقط لمدة دقيقة. أريد أن أريك شيئا ."

كان الهاون النحاسي قد استعاد مكانه العظيم على خطاف خشبي في المطبخ. ولمعت محاور اللحوم وقوالب الكعك وسلاطين الخفق وأواني القلي والكساورلات وقواطع البسكويت على طول الجدار. وبدون أن يطلب منها، غطت القوائم بورق أزرق والذي قطّعته إلى أشكال مزخرفة.

كانت السيدة فيزي أحيانا تحمل بعض التذكارات وتضعها بصمت على مكتب زوجها.

"خوخ محفوظ. حفظته بنفسها. انظر إلى ذلك السائل الحلو الجميل. إنه مثل الياقوت. إنها دقيقة بالتأكيد ولديها شعور فطري بذلك." كانوا يأكلون بعض الحلوى.

"حسنا، ما رأيك؟ فالحلوى خفيفة بشكل مدهش. فهي تذوب في الفم. إنها طاهية من الدرجة الأولى. أحسنت صنعا هذه الفتاة."

كان فيزي قد بدأ يلين لكنه رفض الاستسلام بشكل تام. كان هذا غريبا حيث أنه اعتاد دائما على الدفاع عن الخادمين الفاسدين من أجل تهدئة زوجته. أمّا الآن فهو يلعب دور حزب المعارضة، الذي يحسن النية تجاه الحكومة ولكن حذر في الوقت نفسه. سمح لها بالثناء على الفتاة ليبتعد عن الخلافات. ترّفع عن الاعتراضات الصغيرة مثل أن الفتاة تعوزها الفضيلة بعض الشيء وأنها لم تكن أبدا رائقة المزاج ويمكن القول أنها فظة قليلا. وأنها نادرا ما تفتح فمها.

وأكدت السيدة لزوجها أنه كان مخطئا. فلقد كانت هناك أوقات عندما ابتسمت الفتاة فعلا. ماذا ينبغي أن تفعل أيضا؟ ما السبب الذي يجعلها مبتهجة بشكل صريح؟ فمن الواضح أن الخادمة التي تعمل دائما تجني بعض السعادة فيما تفعل. إنها

فقط خجولة. هل نفضل أن تكون صفيقة مثل الباقي؟ معاذ الله!

اتّضح كل شيء الآن ما عدا مسألة واحدة لا زالت غامضة، أهم مسألة، أكثرها حساسية على الإطلاق: السرقة. فهل ذلك النموذج المثالي للفضيلة صفقة رابحة؟ كانت هذه هي المسألة الأكثر صعوبة كي يتم التحقق منها.

فالسرقة سرية وغير متوقعة. فهي مثل نزيف الدم في الليل. شيء يختفي، شيء تافه كليا. قد يضيع فقط، وقد يبدّل مكانه أحد، أو ربما يضيع، ولكن هذه ليست الحقيقة، فالحقيقة أنه ضاع، ضاع بمنتهى البساطة. كم هو مذهل ومرعب هذا الاستنتاج. ويبدأ القلق على الأشياء الأخرى، حتى تلك التي لا تزال في أيدينا. كل ملعقة فضية، كل مكعب السكر، كل منديل. فكم يمتلك المرء وأين هم جميعا؟ هل حجزهم شخص ما بعيدا؟ فالسيدة فيزي تحجز كل شيء بعيدا على أي حال. وعلى الرغم من ذلك فهي لن تستسلم بسهولة. فلقد اختبرت ذلك علميا.

ففي ليلة تركت قطعة نقود روسية قيمتها خمسة وعشرين روبل على الطاولة. وفي الصباح كانت قطعة النقود لا تزال هناك. وذات مرة، كما لو كان الأمر صدفة، أفلتت قطعة نقود زرقاء تقدّر بمائة روبل حتى تصدر صوتا على الأرض. في اليوم التالي عادت قطعة النقود إلى مكانها مرة أخرى على المنضدة الموجودة بجانب السرير. تركت خاتما على الأريكة. وجدته آنا حينما كانت تقوم بالتنظيف وأعطته شخصيا لها.

ثم أغرت آنا من خلال ترك خزانة الملابس مفتوحة، بعد أن جمعت وعدّت بعناية مناديلها المرصوصة على الرف. لم يفقد أي منها. جاء دور البقالة: البن والسكر واللذان يفضّل الخدم

سرقتهما بشكل خاص وبمقادير صغيرة. لم تقفل المخزن. إنها حتى لم تراجع ما فيه لإسبوع كامل. وعندما أخذت شمعتها لتجرد المخزن بشكل سليم رأت أن كل حبة بن وكل مكعب سكر في مكانه.

فالفتاة لم تسرق. قالت ذلك لنفسها ولكنها لم تؤمن به تماما. بعد ذلك لم تهتم بقول أي شيء ولكن آمنت بذلك من صميم قلبها ، بصدق كما فعل زوجها. فتلك الفتاة لا تحتاج إلى المال ولا الحلي ولا التوابل.

سألت زوجها "أتعرف ماذا تقتات هذه الفتاة؟"، وأجاب عليها مرددا كلمات فيكسور الذي استخدمها في وقت سابق. "العمل، ولا شيء سوى العمل. لم أر خادمة مثلها."

وافقها زوجها الرأي قائلا "أنت على حق." "لم يشهد أحد فتاة مثلها في أي وقت مضى."

واجتاح كل منهما شعور كبير بالراحة. عاش فيزي حياته العملية في الوزارة، وفي المنزل، وأيا كان ما يفعله، لم يقض وقته في الشكوى. تمكّنت السيدة فيزي من الخروج مرة أخرى. في الصباح كانت تسير إلى منطقة الربيع الطبي في بودا بالقرب من رأس جسر ايرزبيت، وتشرب كوبا من الماء الكبريتي الدافئ والذي وجدته مفيدا لمعدتها. ذهبت إلى طبيب الأسنان الذي قوّم أسنانها. شغلت نفسها بالعمل الخيري في معهد كريسزتينا فكانت تقوم بتوزيع الملابس على أطفال الباعة المحليين الفقراء.

وبعد تلك الآنشطة تبقّى أيضا بعض الوقت. فقامت بزيارة مفاجئة لآل تاتار في أوري اوترا، حيث قام الشباب الوسيم المبتهجين بمغازلة فتاتي التاتار الجميلتين. بدأت في ترفيه بعض الأصدقاء القدامى. فلم يكن في الحقيقة لديها أي أصدقاء مقربين نظرا لأنها كانت تميل إلى مقابلة زوجات زملاء

زوجها. أما أقاربها، آل باتيكاريوس المختلفون، فيعيشون في إيجر. حتى زوجها فكان لديه قريبة واحدة فقط في المدينة، امرأة مطلقة، اتيلكا الحزينة، والتي كانت تذهب من منزل إلى آخر كي تبيع السجائر المصرية المقلّدة، وكانت تحاول تسول المال من الناس، بما في ذلك آل فيزي، كانت امرأة فاسدة. لم يلتقيا لسنوات. وقد يقابلها فيزي في الشارع.

الآن أدركت أنها وحيدة حقا، وأن اليوم كان طويلا. استعادت مقبرة بيروسكا وكانت تأخذ حفنة جديدة من الأقحوان إلى المقبرة كل أسبوع. وفي أيام الأربعاء تستأنف زياراتها إلى دائرة الروحانيات، والتي تعقد اجتماعاتها في فيلا على تل روزادومب في ادلاس اوتكا.

كان مكانا رسميا جدا مع وجود الأبواب والجدران المغطاة بالسجاد الحريري واللوحات الكلاسيكية المختلطة بالمنحوتات الكلاسيكية. حيا المضيف، وهو أحد رجال الأعمال الأثرياء الذي يعمل لحسابه، ضيوفه مصافحا إياهم. فالجميع يعلمون أن ابنه قد أصيب بالشلل منذ ستة عشر عاما، وأنه يعيش في غرفة مهيبة في مكان ما في الأعماق البعيدة للفيلا.

كان لواء من سلاح المشاة هو الزعيم الروحي للحلقة. استدعوا أرواح الجنود الذين توفوا كأبطال. كان آباؤهم وأمهاتهم متلهفين لمعرفة الأخبار. بجوار السيدة فيزي جلس قاضي الدائرة المريض وكاهن كاثوليكي بلباسهما العادي. وفي المنتصف كان هناك فتاة شديدة التوتر والتي ألقت رأسها إلى الخلف في نشوة وتحدثت باللغة الألمانية. تلاقت الخيوط الخفية لعالم الأرواح هنا من كل قادم من الكون. سافرت روح بيروسكا من كوكب المشتري. وباستخدام يد الوسيط كتبت على عجل بخط صبياني *ماما ماما* في عدة أوراق. وسنحت فرصة

فتحققت من ثدي الوسيط بضوء رمادي، فتضاعف شكله حتى أصبح كالضباب لبني اللون.

وعندما كانت تعود إلى منزلها مساء أيام الأربعاء، لم تعد تشعر السيدة فيزي بقلبها يخفق بقوة، ولم يعد يطاردها الكابوس القديم بأن تعثر على الشقة مسروقة عند عودتها وأن تجد الأبواب مفتوحة والخزائن خاوية. كان كل شيء في المنزل منظّما. تركت نقودها دون أن تعدّها أولا. ذهبت تلك الأيام عندما كانت تطوف الغرف خلسة ويديها خلف ظهرها كما لو كانت مكبّلة اليدين ويعتريها القلق بشأن الحركة القادمة للخادمة.

تنقّلت آنا بينهما بصمت. وعندما خرجت مالت دفة المحادثة نحوها. فلقد اتفقا الآن على الثناء عليها وشعورهما بالرفاهية. أصبح الثناء تماما كالعبادة، فلقد كان الأمر كالصلاة الخاشعة، كالوثنية الضعيفة، لقد حصلا على صفقة مفيدة بشكل ملحوظ وشعرا بالفخر أنها كانت ملكا لهما ولهما فقط. ذات مرة عندما كانا في غرفة النوم كانا يتحدثان همسا عن أحداث اليوم، والتي أشارت كلها إلى اجتهاد آنا وعدم أنانيتها وقدرتها غير المحدودة والفائقة على العمل. شجعا وساعد كل منهما الآخر في تعظيم فضائلها، تبارا في سرد أوصافها وقلّداها وفي بعض الأحيان. سخرا منها بابتسامة شامخة كما لو كان مسليا أن يكون شخصا ما بسيطا جدا وطيب القلب ومثاليا في قوته ومتفردا في تساهله. ثم يضحكان وهما واعيان في البداية، يقهقهان بصوت عال وبشكل فاضح. كان هذه هي بداية فترة مثالية بالنسبة لهما عندما كانا يعيشان بوعي دائم بحظهما الحسن. فلم يكن ذلك وهما. لقد تحقق ما كانا يظناه بسخرية

مستحيلا، لقد عثرا على السلعة الحقيقية التي كانا يحلمان بها منذ سنوات.

كانا يشعران أحيانا برغبة مثيرة للسخرية تدفعهما لمعانقتها وشكرها على أفعالها الخيرة، أو تهريبها إلى المصور الفوتوغرافي ذات ليلة تحت جنح الظلام والتقاط صورة فوتوغرافية لثلاثتهم، كما لو كانوا عائلة، ولكنهما عدلا عن هذا الإجراء. فهذه النكتة المزعجة والشاذة هي لفكرة ومضت في عقلهما لوهلة، لواحد على ألف من الثانية ثم اختفت قبل أن يتمكنا من التفكير فيها بشكل سليم ويضحكا عليها بسبب تفكيرهما البرجوازي، ويدركان أنهما في النهاية يتحدثان عن مجرد خادمة منزلية.

÷

÷

(٩)

نقاش حول الأصابع الإسفنجية والرحمة والمساواة

كانت الأمور تتحسن وإن كانت المشاكل لا تزال موجودة. فلقد كان هناك تضخم سريع جدا وكان الناس يراقبون بعضهم البعض وسط جو ظالم. لقد شجبوا جيرانهم في خطابات مجهولة المصدر وتسارع أولئك الذين رفضوا الاعتراف بأصدقائهم يوما بـ"الشيوعيين الصالحين" لمنحهم هذا اللقب الذي حرموا منه طويلا وسلّموهم بدون تردد إلى السلطات.

كان الأمر أشبه بوباء الجراد الذي دمّر المكان. أصبحت البلدة المستهلكة والمستنفذة عبارة عن كومة من القمامة كما أصبحت الرفوف الخزفية الغالية الموجودة في نافذة الباروك كونديتوري معروضة كالكعكة المقفّرة. وكانت عربات الترام، والتي كانت قد طليت في ظل الحكم الشيوعي لا تزال بلونها القرمزي الثوري وملطّخ عليها الشعارات الثورية، تندفع بشكل انتحاري في المدينة كاللائجين من مصحة عقلية.

ولكن كان هناك أيضا دلائل مشجّعة على التغيير. فلم يخاف ركاب الترام من الطبقة المتوسطة من الوقوف في وجه قاطعة التذاكر الصفيقة التي تخاطبهم بوقاحة. كانوا يشعرون بالسعادة عندما يذكّروها أن هذه الدولة لم تعد بلشفية. وبدأ

الرجال مرة أخرى في التخلي عن مقاعدهم للسيدات. كان ازدهارا جديدا ورائعا في عصر الشهامة.

عاد فياتوريسز يقف مرة أخرى على باب متجره ويستقبل زبائنه. كانت هذه دلالة مؤكدة على العصر. كان فياتوريسز يعرف دائما وبدقة اتجاه هبوب الرياح. وعندما اندلعت الحرب أول مرة هز رأسه فقط، واتّضح في وقت لاحق أن العملاء كانوا يحيونه. لقد قبل هذا الأمر على أنه حقه وبمجرد أن اعتلى البلاشفة السلطة لم يلاحظ حتى أنه كان مشغولا للغاية. أما الآن فلقد عرض توصيل البضاعة إلى السيدة فيزي، وكان كل ما عليها القيام به هو مكالمته على الهاتف.

أصبحت شقة آل فيزي ملتقي للأحزاب غير الرسمية. ففي يوم في فترة ما بعد الظهيرة جاء آل تاتار في زيارة مفاجئة وانضم إليهم السيد دروما وزوجته، وكذلك السيدة موفيسزتر. سطعت الأضواء واحدة تلو الأخرى في الثريات القديمة المستهلكة التابعة لحياة الطبقة المتوسطة. في البداية كشف الضوء عن بعض البلى فضلا عن نقص في شيء أو آخر، ومع ذلك وبعد كثير من المعاناة أصبح هناك شعورا طيبا بالقدرة على الاختلاط مرة أخرى. فبدا الأمر مثل الأيام الخوالي.

كان الشاي كئيبا إلى حد ما. أخذت السيدة تاتار مكانها على رأس المائدة، وبرز صدرها متورما أمامها. حاولوا تلطيف الجو بقول بعض النكات المعادية للثورة ولكنها كانت عبارة عن نقدا حادا وسخرية لاذعة. أخرج السيد دروما من جيبه برتقالة تم تهريبها عبر الحدود الإيطالية بواسطة عميل له. لم يكونوا قد رأوا برتقالة لفترة طويلة وانتقلت من يد إلى يد. تحدثوا عن الطعام والطرق المختلفة للحصول عليه ومن أين يمكن للمرء الحصول على طحين أو بطاطس أرخص ثمنا. نظّم

المستشار تاتار، والذي كان مشهورا بحبه للطهي، أشعارا عن السمك المتبّل بالفلفل الحلو ،الذي أعدّه عندما كان فتى، والمصنوع من أسماك السلور والحفش والشبوط على الشوّاية على ضفاف نهر تيسزا. سرد مثل هذه التفاصيل وذكرها كلها بمتعة أسالت لعابهم. ثم غرق في صمت وتحوّل إلى تناول الطعام ومضغه بقوة وحشوه في الفتحة الموجودة بين شفتيه الوردية الحساسة المتحرّكة المزيّنة ببساط الفراء الأشعث المكوّن من شاربه ولحيته الرمادية.

ثم توقّفت المحادثة.

"آه، بالطبع" نطقت السيدة دروما بهذه الكلمات لكسر حاجز الصمت، "كنت قد نسيت آنا تماما. أين هي؟ لم أرها اليوم."

"إنها في المطبخ تعد الشاي."

تساءلت السيدة تاتار "هل هذه هي الخادمة الجديدة؟" "هل هي فتاة جيدة؟ هل هي ذكية؟ الشقة تبدو رائعة. وهل هي جديرة بالثقة؟ ألا تسرق يا عزيزتي؟" لم تتفضل السيدة فيزي بالرد، لقد نظرت فقط إليهم مباشرة.

تساءلت النساء الأخريات في نفس واحد بتعجب "ألا تعلمونآ نا؟!"

"كلا. لم تسنح لنا الفرصة السعيدة للقائها." لم تقدّم لنا." نطقت السيدة تاتار بهذه الكلمات مازحة وهي تحفظ مكانتها كسيدة القصر.

ضحكوا. حدّقت السيدة فيزي في زوجها ورنت الجرس.

دخلت آنا مرتدية فستانها الأزرق المصنوع من قماش الكاليكو وهي تحمل صينية زجاجية عليها أصابع الجوز الإسفنجية. لم يتح لها الوقت لتغيير ملابسها. حذائها في قدميها.

تقدّمت وهي مرتبكة بعض الشيء تجاه المنضدة ووضعت الصينية. شعرت أنه يجب عليها أن تقبّل يد الجميع كل على حدة ولكن كان هناك الكثير من الأشخاص ولم تكن تعرف من أين تبدأ. كانت محاطة بالوجوه المبتسمة. حتى السيد تاتار توقف عن الأكل وشدّ رقبته السميكة تجاهها. أعجبت السيدة فيزي بهذا العرض الصامت لبعض الوقت، ثم أشارت إليها وبنبرة تحمل روح الدعابة والفخر قدّمتها. "نعم، هذه هي آنا. خادمتي آنا."

عندما أغلقت آنا الباب خلفها سمعت صوت الضحك. كان الأمر كما لو كان هناك عرض هزلي على المسرح. فالجمهور نفسه كان لديه فكرة بسيطة عن سبب ضحكه، ولكنه ضحك على الرغم من كل شيء. كان الأمر كله مسليا بشدة: الحرج والحذاء المختلط، وطريقة التقديم. أصبح الجو أكثر حيوية. أشعل السيجار والسجائر. وروى فيزي بعض الحكايات حول آنا والتي تبعتها القهقهات الصاخبة.

وبداخل عرين البهجة هذا، دخل الدكتور موفيسزتر، الممارس العام العجوز، بعد أن عالج مريضه الأخير في نهاية العملية الجراحية. جاء للبحث عن زوجته. لقد كان مشغولا جدا بقائمته المتضخمة بالمرضى. وذات مرة، في شبابه، كان يعمل مساعدا لجراح قلب في عيادة في برلين. وعند عودته إلى المجر، قدّم طلبا ليقوم بالتدريس الخاص في الجامعة لكنهم لم يقبلونه. لذا كان عليه أن يعيش بأفضل طريقة ممكنة. فعيادته مفتوحة طوال عشر ساعات يوميا، وتتعامل ميكانيكيا مع الكتلة البشرية المعتادة غير المنظمة التي تتردد على المستشفيات العامة

ووكالات التأمين. كان يجر جسده المنهك بمساعدة عصا. وعندما ابتسم، ظهرت أسنانه غير المنتظمة ولثته الملتهبة. وكان هناك بعض الخصلات من شعره متناثرة على هامة رأسه. لقد كان مريضا بدرجة أكبر من أي من مرضاه. كان مرض السكر لديه في مرحلته النهائية. ويئس منه الزملاء والعيادات.

سارع السيد فيزي لتحيته، مؤكدا له أنه يبدو أفضل بكثير من المعتاد. وشكره موفيسزتر بشكل تهكمي. اختلس نظرة ملتبسة إلى الجماعة المجتمعة والتي يغمرها دخان السجائر والسيجار. شعر أنه تعثر عن غير قصد على مسرح في وسط مسرحية غير مألوفة. لم يستطع أن يعرف سببا لكل هذا المرح. فكان عليهم أن يشرحوا له أنهم كانوا يتحدثون عن آنا، آنا الشهيرة. وكان فيزي تعتريه رغبة ملحّة في تكرار حكايته المسلية.

لم يقترب موفيسزتر من الطعام. فذهب مع الرجال إلى غرفة المكتب. رفض الشراب، ولكن رفع كأسا فارغا بشكل ودي مع بقية الحضور عندما حان وقت شرب النخب. وفي وقت لاحق، عادوا إلى غرفة الطعام للانضمام إلى السيدات وهم ممسكين بسيجارهم وسجائرهم المشتعلة ووجوههم وردية من جراء النبيذ. اتكأ السيد تاتار على الباب واستمع إلى المحادثة.

هتف بفزع "لا زال الحديث عن الخدم!" ونفخ صدره الضيق من تحت صدريته الآنيقة المصنوعة من الحرير الأبيض. "تلك هي المرأة بالنسبة لكم. إنهن غير قادرات على الحديث عن أي شيء آخر."

ولكن الرجال أيضا أظهروا اهتماما بهذا الموضوع، وأنصتوا بتمعن لما كان يقال. جلب فيزي النبيذ مرة أخرى إلى غرفة الطعام؛ وجلس موفيسزتر على الكرسي الهزاز، وأغلق جفنيه، وأخذ يهتز بلطف ذهابا وإيابا.

كان الحديث لا يزال عن آنا.

تحدثت السيدة دروما قائلة "أتعرفون، إنها جميلة أيضا. فلديها وجه صغير جذاب. حلوة الشكل أيضا. نحيلة. إنها جذابة حقا."

أضافت السيدة تاتار بطريقة فيلسوفية "نعم. ففتيات الأرياف يتطورن سريعا بمجرد وصولهن إلى بودابست. فالشيء نفسه ينطبق علىّ، على خادمتي بوسزي. لقد أحضرتها من القرية العام الماضي. كانت نحيلة كالمدمة ورثة الثياب كخيال المآتة. وعلى الفور سمّنتها بسرعة وزودتها بخزانة ملابس. أحضرت لها فستانا بيكيه أبيض ..." سعلت عند هذه النقطة كمن سيفتتح خطابا. "يوم الأحد الماضي أقامت فتياتي حفلا. فتحت بوسزي الباب للضيوف. حضر ارفين، ارفين جالوفسكي، الذي عاد مؤخرا من معسكرا روسيا لأسرى الحرب. ماذا حدث برأيكم؟ فهذا الصبي"، وابتسمت وهي تتذكر، 'قبّل هذا الصبي يدي في القاعة ثم وقف أمام بوسزي وقدّم نفسه لها بشكل رسمي، ومد يده لتصافحه."

تعجبت السيدة فيزي "الخادمة؟"

"الخادمة. لو لم أشر إليه لكان قد تصافح معها!" امتلأ صدرها المريض بالربو بالضحك، ثم عادت تسعل من جديد. وأضافت بصوت مخنوق "لقد ظن أنها إحدى بناتي، ايلونكا أو ماركجيتكا أو إحدى أصدقائهن."

"وماذا فعلت خادمتك؟"

"كانت كمن أشعل أحد النار في وجهها. فأخفت يديها وراء ظهرها وانفجرت باكية. هل تصدقون! ظلت تبكي طوال فترة ما بعد الظهر. كما رفضت الخدمة من أجل الإبقاء على عملها. وقامت الفتيات بإثارة غيظ ارفين بشكل لا يحتمل."

وكز السيد تاتار زوجته "لا تنسي القط."

تعجبت السيدة تاتار "آه، نعم، القط! عندما أتى إلينا لأول مرة، كان لدينا هريرة ذات شهرين والتي كانت تتبع ايلونكا. كان اسمه سيرموس. وفي صباح أحد الأيام كنت أستمع إلى بوسزي وهي تلفت انتباهه ببعض الحليب، وهي تقول "السيد سيرموس، فطورك يا سيدي." كانت تخاطب القط كما لو أنه يعلوها مرتبة. ومرت فترة طويلة قبل أن تتجرأ وتتآلف معه. أريتم! فالأمر كذلك. ولسوء الحظ لا يدوم ذلك لفترة طويلة، فيفقدون برائتهم بسرعة كبيرة. وفي هذه الأيام تريد دائما زيارة قريتها لسبب أو لآخر، جنازة، حصاد أو حفل زفاف. لدي قبيلة كاملة من الأقارب عليّ أن أتحملهم."

شاركت السيدة دروما في الحديث قائلة "إن خادمتي لديها اهتماما كبيرا بالسياسة والسينما. فهي شديدة التدين."

أضافت السيدة موفيسزتر "أمّا أنا، فخادمتي طاغية. فلقد اعتادت ايتل على إصدار الأوامر. لقد وعدتنا بألا تطردنا شريطة أن ننفذ لها ما تقول."

قالت السيدة فيزي "أمّا خادمتي،" واتجهت إليها أنظار الكل لأنها استمعت إلى متاعب الآخرين بغبطة ماكرة، "خادمتي لا تهتم بالسينما ولا بالمسرح. إنها حتى لا تغني. ولا يوجد من يتودد إليها. لم أقابل عائلتها من قبل. إنها يتيمة. لا تخرج. وحتى الآن لم تأخذ إجازتها بعد ظهر يوم الأحد."

"آنا بالتأكيد مخلوق رائع." كانت همهمات التقدير بالإجماع لدرجة أنها خشيت أن تكون قد تجاوزت الحدود، و الآن، بعد أن وجدت نفسها في بؤرة الاهتمام، شعرت أنه من الحكمة أن تنأى بنفسها قليلا.

"انتبهوا، فلا ينبغي أن تحسدونا كثيرا. فهي لم تكن مثالية منذ البداية. فلقد كان لي صراعاتي معها. ولا زال لديها أخطاءها."

هتف السيد فيزي "ماذا؟"، ورفع رأسه من وسط سحابة النبيذ. "هل تتفضلين بإخباري ما هي أخطاءها؟"

بحثت السيدة فيزي عبثا عن أي خطأ. فكيف يمكن أن تجد خطأ عندما يكون لا يكون هناك أي خطأ. فلم تستطع الإجابة.

كان هناك هرج ومرج بشأن الموافقة على ذلك عندما توقف الحديث فجأة حيث دخل محور تفكيرهم.

بدأت آنا في مسح الطاولة. شاهدوها بانتباه أكثر من ذي قبل، مع ملاحظة كل حركة تقوم بها. وثبت بين الطاولة والبوفيه بخفة غريبة. كانت حركاتها أشبه بتحرك إنسانا آليا صامتا بينهم. لقد اعتقدوا أنها تشبه الآلة،

وعندما وضعت صينية الأصابع الإسفنجية على البوفيه، حدثتها السيدة فيزي بطريقة من خطرت على باله للتو فكرة طيبة "أحضريها إلى هنا يا آنا."

وقف الضيوف وشكّلوا دائرة حول السيدة فيزي. بدوا وكأنهم تجمّدوا في مواقعهم كما لو كانوا بداخل لوحة مع الخادمة التي تشكّل محور انتباههم. توقّف كرسي السيد موفيسزتر عن الاهتزاز ومال إلى الأمام بدرجة أو اثنتين.

اختارت السيدة فيزي اصبعين إسفنجيين وقدّمتهما لآنا. "هما لك."

ابتسم الضيوف. غمرتهم المشاعر الرقيقة كما لو كانوا حاضرين خلال معرض للصدقة والتي تقدّم للفقراء المستحقين لها. ولكن دفعتهما الفتاة بعيدا بصعوبة بمجرد أن عرضوا عليها.

"شكرا لك."

"ما الأمر؟ ألا تحبينها؟"

"كلا. أشكرك شكرا جزيلا. فأنا لا أحبها."

وتبع ذلك صمت مؤلم كسرته نبرات السيدة فيزي الحاسمة "في تلك الحالة، أعيدي الصينية إلى مكانها. لن أجبرك. حتى من أجل العالم أجمع. يمكنك الذهاب."

واصل الضيوف وقوفهم في الدائرة ولا تزال وجوههم تحمل نفس التعبيرات اللطيفة ولكن تغلّبت عليها الحيرة قليلا. خلف ذهولهم شعورا بشعا بالخذر والذي سرى بينهم.

تسائلت السيدة تاتار "هل تقصد أن ترفضهم منك؟"

أوضحت السيدة فيزي قائلة "كلا بالطبع. فهذا طبعها. فهي لا تأكل أي طعام شهي. فهي تترك حتى مربى المشمش. ماذا تعتقدون أنها تتناول في العشاء؟ لن يخطر ذلك على بالكم أبدا. لا شيء. فهي تتناول القهوة في الصباح، وملعقة مملؤة من الطعام المطهي للغداء. ولا تريد أكثر من ذلك. أمّا بخصوص الأصابع الإسفنجية، فيبدو أنها لا تحبها."

قال السيد موفيسزتر وهو لا يزال يميل إلى الأمام في كرسيه الهزاز "قد تكون تحبها كثيرا."

"ماذا تقول أيها الطبيب؟"

"أقول أنها قد تكون في الواقع مغرمة بالأصابع الإسفنجية."

"ولكنها قالت بنفسها أنها لا تحبها."

"وهذا بالضبط هو السبب في ذلك."

"أستسمحك عذرا، فأنا لا أفهم."

"إن الخادمات غالبا ما تخاف من حب ما يحبونه، ولذلك فهن يقنعن أنفسهن أن الأشياء الجميلة ليست كذلك. هذا هو دفاعهن. فربما يمنعهن هذا من المعاناة البالغة. فلما ينبغي عليهن أن يرغبن في الأشياء التي لا يمكن أبدا أن تكون لهن؟ إنهن على حق أيضا. فلن يتمكن من العيش بأي طريقة أخرى."

"إذا ماذا ينبغي أن نفعل معها؟"

"لما لا تحاولين إعطاءها الأصابع الإسفنجة كل يوم."

"كل يوم؟"

" نعم. الكثير من الأصابع الإسفنجية، الكثير منها لدرجة أنها لا تستطيع التهامهم جميعا. فسوف ترين كيف أنها أحبتهم كثيرا. سترين أنها أحبت الأصابع الإسفنجية أكثر من أي شيء آخر في العالم."

"ولكن لماذا؟ إنها ليست مريضة. فاتباع نظام غذائي يحتوي على الأصابع الإسفنجية هو جيد فقط بالنسبة للمرضى."

"تذمرت السيدة تاتار قائلة "سيكون هذا شيئا جيدا أيضا. فستذوب الأصابع الإسفنجية في أفواههم الخشنة. الأصابع الإسفنجية!"

نبّه السيد دروما الطبيب الذي أغمض عينيه مرة أخرى، وكان يهتز بكرسيه جيئة وذهابا" تلك فكرة أخرى من أفكارك المميزة، عزيزي ميكلوس."

أشعلت السيدة فيزي سيجارة وسارت خلال غرفة الجلوس وبدأت تلعب فوكستروت على البيانو. تبعتها السيدات. وملأ السيد فيزي الكؤوس. جلس السادة في أماكنهم وبدّلوا النكهة المريرة بمزيد من النبيذ.

وبعد أن مسح شاربه الذي يقطر خمرا بواسطة منديل، عاد السيد تاتار إلى موضوع الأصابع الإسفنجية التي ظلت تضايقه. وجّه حديثه إلى السيد موفيسزتر. "أتعلم، عزيزي الطبيب، فهؤلاء الناس في النهاية مختلفون تماما عنا. فأمعائهم مختلفة وكذلك أرواحهم. فهم خدم وهذا ما سوف يبقى. إنهم بنفسهم يطلبون منا أن نعاملهم على هذا النحو. ففي يوم، على سبيل المثال، اتصلت بصديق لي. أجابني صوت غريب. سألته "هل أنت موظف؟" أجاب الصوت بوقاحة ملحوظة "كلا، أنا الخادمة." ينبغي أن تكون قد سمعت هذا. فوجئت بتلك الطريقة. لم أعرف حتى السبب في ذلك. ظللت ممسكا بالسماعة في يدي بينما هذا الصوت يزداد حدة ويصبح أكثر غضبا وأكثر تحديا وغطرسة. فهم يستمتعون بالفعل عندما يشيرون إلى أنفسهم بتلك المصطلحات لمجرد إثارة غضبنا وإهانتنا."

رشف رشفة من النبيذ الأصفر الكهرماني وواصل حديثه.

"لقد حاول الناس في كثير من الأحيان معاملتهم بمودة. كان لي صديق ذات مرة، مسكين إنه ميت الآن، اسمه كارسزي زيلاندي، رحمه الله. لقد كان شابا معافى، غريب الأطوار قليلا. كانت رأسه دائما مليئة بالنظريات. لقد كان نباتيا، وكان يرتدي الأخفاف، لقد ذهب حتى لزيارة تولستوي في ياسانيا-بوليانا.

وعندما عاد كان عازما على تناول موضوع الخدم بأساسياته وفرعياته. أخذ خادمة وأخبرها أنهما على قدم المساواة: لن يكون هناك سيد ولن يكون هناك عبد، فسيتناوبان خدمة بعضهما البعض. وعند أول فرصة أجلسها على مائدة الأسرة جنبا إلى جنب مع زوجته وأطفاله. لقد روى لي المناسبة لاحقا. حسنا، لقد كان شأنا محزنا للغاية. شعرت الفتاة التعيسة أنها تتلقى اهتماما مفرطا. انكمشت في تنورتها الملطّخة ذات الرائحة المطبخية، وخبأت يديها تحت الطاولة ولم تلمس وجهها ولم تقل شيئا على الاطلاق طوال فترة تناول الطعام. كانت منهكة بالطبع، بعد أن قامت بالطهي والخبز منذ بزوغ الفجر. ويكفي أن نقول أنه عند الانتهاء من تناول الطعام، بدّلت ملابسها وأعلنت أنها لن تبقى دقيقة واحدة في مكان مثل هذا. ومن هناك، ذهبت."

ورغم أنه كان يتناقش مع نفسه أكثر من الطبيب، فلقد تناول ملاحظاته مع الأخير. "و الآن، فسؤالي هو لماذا رحلت؟" وضغط بسبابته على أنفه البدين بقوة لدرجة أنه سحقه. "إنني أسأل لأنه مهما سألوها فإنها لن تجيب. حسنا، سأخبركم. لقد رحلت لأنها أعقل من سيدها. لقد رحلت لأنها أدركت أن الوضع غير طبيعي وغير صادق. فالمسار الصادق الذي كان صديقي سيتبعه هو تقديم – دون قيد أو شرط – بيته وأرضه وماشيته كلها وصولا إلى آخر مسمار يمتلكه. هؤلاء الناس البسطاء – أو الأدنى مستوى في المجتمع – يعيشون في المطلقات / المجردات. لديهم خيالا أكبر بكثير مما نعتقد. فهم لا يقنعون بأنصاف الحلول. إنهم يريدون إمّا أن يكونوا سادة – وعندئذ يكونوا سادة بشكل مطلق–أو عبيد بشكل مطلق أيضا. والباقي كوميديا. كان الشيء نفسه مع الرومان. لقد حاولوا

أيضا آداء الكوميديا. ولكن،" وهنا تردد "فقط مرة واحدة في السنة. لا أستطيع تذكر اسم المهرجان ولكن النبلاء يرتدون ملابس العبيد، ويدعون العبيد للجلوس على موائدهم، ويقدمون لهم الخمر والديوك المشوية. يقولون أنها ذكرى للعصر الذهبي عندما كان الجميع على قدم المساواة. ولكن متى كان هذا العصر الذهبي؟ إنه لا شيء سوى خرافة. فهم أنفسهم لا يمكنهم تذكّره. وإلى جانب ذلك، فحتى وإن اختلفت أيدينا"، ورفع يده القصيرة البدينة الناعمة والتي لا تشبه يدا أخرى في الواقع. "لا يوجد هناك شيء مثل المساواة بين البشر. يوجد فقط اختلافات فردية بين الناس أيها الطبيب. اللعنة!" لقد جرح نفسه بشكل مصطنع كالمصلي أثناء الاعتراف، "السادة والخدم كانوا في أي وقت مضى وسيبقون دائما. هذا كل ما في الأمر. إنها حقيقة لا نستطيع تغييرها. لذا دعوهم يظلون خدما."

تطلّع حوله. فوجد أن خطابه قد لاقى موافقة عامة. تجمّع الحضور، والذي دافع عن حقوقهم، حوله بامتنان. لقد أدلى بوجهة نظره، ولكنه التفت إلى الطبيب وتوصّل إلى النتيجة الطبيعية. "ليس هناك بديل."

"ولكن هناك بديل." قالها موفيسزتر من على كرسيه الهزاز وأصابعه تداعب بشرود ميدالية مريم العذراء التي تتدلى من سلسلة ساعته.

تسائل السيد تاتار وهو يرفع رأسه الحكيمة الكبيرة "أتلهف أن أسمعه. ما البديل الذي يمكن أن توفره؟"

"الرحمة."

"الرحمة؟" كررها تاتار وهو سعيد بأن الجدال قد يأخذ منحنى جديد.

"هناك مكان يكون فيه الكل سيدا وعبدا على الفور، حيث الجميع على قدم المساواة في كل يوم من أيام السنة."

"ما هو هذا المكان؟"

"مملكة المسيح."

"ولكن هذه في السماء."

"إنها في الروح."

"جيد جدا، ولكن حاول إدراكها هنا. مع البلاشفة ورفاقهم."

"لا يجب على المرء تحقيق ذلك،" قالها موفيسزتر وهو منزعج إذ أن مرضه ذو نزوات غريبة. "لا لزوم لذلك. تلك كانت المشكلة مع الشيوعيين أيضا؛ لقد حاولوا تحقيق المثالية. لا ينبغي للمرء أن يحاول الوصول إلى المثل. لا واحدة. فبمجرد القيام بذلك فذلك يعني القضاء عليهم. دعهم يبقون حيث هم، في السماء بين الغيوم. تلك هي الطريقة التي يظلوا بها ناجحين، تلك هي الطريقة التي تبقيهم على قيد الحياة."

"عفوا أيها الطبيب، هل ستسمح لخادمتك بالجلوس معك على الطاولة؟"

"كلا."

"لماذا؟"

"ربما" فكّر مليّا، "لأنها لا تتوقع ذلك. سيكون الأمر بالضبط هو الكوميديا التي تتحدث عنها. على الأقل، الآن، هنا على الارض."

"إذا نحن الإثنين في قارب واحد."

"ليس تماما أيها المستشار. لأن خادمتي في ضميري تجلس دائما على الطاولة معي."

قال تاتار "هذا صحيح على ما أظن،"، وهو يقطب جبينه المحدب. "لما لا؟ ولكن اسمح لي أن أقول لك شيئا. لن تجلسك

خادمتك أبدا على طاولتها، ولو حتى بعد مليون سنة. دعوهم يحفرون عشة صغيرة وسيصبحون طغاة منتظمين. لقد رأيتهم. فأول شيء يفعلونه هو استئجار خادمة خاصة بهم، ويعاملونها بلا رحمة ويكونون في غاية القسوة معها. حفظني الله من المجرمين الذين تحوّاوا إلى رجال شرطة. لا يوجد ما هو أسوأ من خدمة الخادم. ستجد قليلا من الشفقة في نفوسهم."

"لا علاقة لهذا بالقضية."

قال تاتار "عفوا" وهو متلهف للإتجاه بالحوار إلى مسار جديد، "كنت أتوقع أنك تعتبر نفسك إنسانيا."

"أنا؟ لست أتبع هذه الفئة."

"عفوا؟"

"أنا لا أحب الإنسانية، لأنني لم أرها أبدا، لأنني لا أعرفها. إن مفهوم الإنسانية أجوف تماما. وأحيطك علما أيها المستشار؛ فكل مخادع بإسم الثقة هو إنسانيا. هؤلاء الجشعون وأولئك الذين لن يدخروا قشرة من أجل أشقائهم وأولئك الذين هم أسوأ الأوغاد لديهم جميعا مثلا إنسانيا. فهم يشنقون الناس ويقتلونهم، ولا زالوا إنسانيون. إنهم ينتهكون حرمة منازلهم ويطردون زوجاتهم ويهملون أهلهم وأولادهم، ومن هم؟ إنسانيون. ليس هناك وضع مريح. فإنه لا يوجب شيئا عليك. لم يأت إليّ فرد حتى الآن ليعلن، أنا الإنسانية. الإنسانية لا تتطلب طعاما أو ملابسا، إنها تحافظ على مسافة لائقة في مكان ما في الخلفية وبها هالة حول حاجبها. هناك بطرس وبولس. هم فقط أفرادا. ف الإنسانية لا وجود لها."

"وماذا عن حب الوطن؟"

"نفس الشيء،" قالها موفيسزتر وتردد إذ كان يسعي إلى أفضل طريقة لصياغة الإجابة. "فكما تعلم الإنسانية مفهوم

جميل جدا وعام جدا. عام جدا. فكّر في الخطايا التي ارتكبت باسمها."

"إذا من أو ماذا يعجبك؟"

أثار دروما غيظه قائلا "رجال الدين، ميكلوس يحب الكهنة. أو ربما البلاشفة. لست متأكدا بقدر كبير الآن. فأنا أؤمن،" ثم عبس "أنك شيوعيا في باطنك. كلا، لا تنكر ذلك عزيزي ميكلوس!" واحتضنه بقوة لدرجة أن عظام كتف الطبيب العجوز الضعيفة طقطقت من جراء الضغط.

"كلا، يبارك لك الرب. تناول مشروبك أيها البلشفي العجوز!"

شرع دروما في سرد وصف حي لما فعله الشيوعيون مع امرأة مرموقة تبلغ من العمر ستين عاما والتي سجنت معه. فكل ليلة في منتصف الليل على وجه التحديد كانوا يخرجونها إلى الفناء ليقوموا بإعدامها. لقد جعلوها تركع، وصوّبوا بنادقهم إلى وجهها وقضوا دقائق متخذين جبهتها هدفا لهم. رد فيزي سريعا بأن غرفة تناول الطعام وغرفة الجلوس في منزله تم مصادرتهما منه في الواقع.

قال تاتار بلهجة تنم عن غضبه "وهذا هو بالطبع ما يريدونه، دور التغيير في أهمية العالم التاريخية. إنهم يريدونك في القبو وأن يقوم الوكيل بالإقامة في شقتك. إنها دوّامة. عندما ينخفض دلو يصعد الآخر. بالنسبة لي، فلا أشك للحظة أنك يمكن أن تنجب نسلا من السادة من خلال أصول الوكلاء. ولكن هذا من شأنه أن يستغرق حوالي ثلاثمائة عاما. فيجب تغذيتهم حتى ينفجروا وحتى يصبحون بدناء بدرجة مقززة، ثم يكون لديك الوقت للشعور بالملل من الأمر كله. ويجب تعليم أبنائهم ركوب الخيل والمبارزة مثل أبنائنا، ويجب أن تصبح

فقرات أعمدتهم الفقرية أكثر استقامة، وأرجلهم وأيديهم أكثر رشاقة. وفي هذه الأثناء سنكون قد تعودنا ببطء على البقوليات المطهوة وغرفة الطابق السفلي. وسنصاب بالنحافة ببطء مثلهم. ولكن هذا أيضا سيستغرق بعض الوقت. وماذا سيكون الهدف من ذلك؟ لا فائدة على الاطلاق."

جنحت المحادثة إلى السياسة. كان السيد فيزي صامتا حتى الآن، لأنه لا يحب أن يلزم نفسه بأي وجهة نظر ويؤمن أن الحجة النظرية عقيمة. جاء الآن دوره ليشارك في الحوار. فتحدّث عن الأمور المكتبية واللجان وبرامج إعادة التنظيم.

لو يراه العالم أجمع بهذا المزاج! صرّح قائلا "إنه دورنا الآن!" وأسند راحة يده على كتف جابور تاتار في لفتة تضامن هائلة، كما لو كان يقصد رفقاء السلاح من أجل معارك كبيرة في المستقبل. وكما هي عادته في مثل هذه اللحظات نظرت عينيه إلى جانب واحد وحمل وجهه تعبيرا ماكرا مفترضا ينطوي على الاستعداد والطمع يتخللهما أحط جشع غامر، ولكن في غضون لحظة استعاد السيطرة على ملامحه وتغيرت ملامح وجهه لتعبّر عن الحماس من أجل الصالح العام.

إذا سأله أحد الأشخاص ما هو الهدف من السياسة أو ما هو الهدف الذي كان يسعى إليه في إطار الحكومات المختلفة منذ شبابه المبكر، فسيلخّص الإجابة بعناية في جملة واحدة: "القضاء على الفساد." فلقد تملّص من إعادة صياغة الأسلوب اللاتيني واتجه إلى استخدام المصطلحات المجرية الشائعة، لأن هذا من شأنه أن يجعل الأمر واضحا جدا وسيفقد الجاذبية الارستقراطية التي بربطها بكاتو. فهو يفضّل ترك الأمر كما هو في عموميته الحماسية الخفية، ويرفض تأييد احتمال أن تكون السياسة مجرد إثارة أبدية لأولئك الذين يعانون من الجوع وغير القادرين على

الهروب من الوسطية، وأن كل نظام سياسي يتولى السلطة فقط ليضع حلفائه في المناصب المواتية وبالتالي قد يستطيع إضعاف وسحق معارضيه. بالنسبة له، فالفساد يرتبط دائما بنشاط أشخاص آخرين، الأشخاص الذين أسرعوا بسيارات رسمية في طريقهم إلى لقائاتهم مع صديقاتهم، وكان أكثر ميلا لإدانة ذلك لانه يتذكر ليلة ممتعة عندما مرّ هو أيضا من أمام الأشجار في الحديقة مع صديقة ممثلة في سيارة رسمية والتي اقترضت لهذه المناسبة من صديق، وتذكّر مشاعر السعادة التي اختلطت في صدره عندما، في نهاية الرحلة، حيّاه السائق ذو القبعة المحدّبة على النحو الواجب بحماس والذي لم يكن ليبديه حتى ولو منح بقشيشا سخيا.

بدأ الشعور بالملل يتزايد لدى موفيسزتر. واصل الاهتزاز بكرسيه لفترة ثم انتقل إلى غرفة الجلوس حيث احتشدت النساء حول طاولة الشطرنج. كانوا لا يزالون يناقشون الموضوع الذي أثار الجدل بين رجالهن.

انخرطت السيدة فيزي في مونولوج طويل من الرثاء. تساءلت ببعض الآنزعاج "من المؤكد أنها تعمل بجدّ كافي. ولكن ماذا تريد؟ إنها تحصل على الغذاء وتحصل على السكن. إنها حتى تحصل على الملابس. كما أنها تستطيع توفير أرباحها. ما الذي يمكن أن ترغب فيه أيضا في هذه الأوقات الصعبة؟ ما مشاكلها؟ هي ليست مضطرة للحفاظ على هذه الشقة الكبيرة، ليست مضطرة لشغل نفسها بما سوف يطهى أو كيفية العثور على المال، يمكنها العيش بدون تفكير، بدون رعاية في العالم. أعتقد في كثير من الأحيان أن الخادمات هن فقط من يستطعن أن يعيشن بالفعل بشكل جيد في الوقت الحاضر."

تنهدت النساء كما لو أنهن جميعا قد اخترن مجرى الحياة الخاطئ، وأعربن عن أسفهن الآن أن الظروف القاسية منعتهن تماما عن أن يصبحن خادمات.

أشار الطبيب لزوجته. وادّعى أنه كان متعبا. فهو يخلد إلى النوم دائما قبل العاشرة حيث أنه في السابعة صباحا يجب أن يكون في الترام المزدحم في طريقه إلى المستشفى. أطفأت السيدة موفيسزتر سيجارتها. وبدأ آل تاتار أيضا في الاستعداد للمغادرة. فهم يريدون الوصول إلى المنزل قبل أن تغلق بوابة منزلهما الأمامية. وقفت السيدة دروما في القاعة وهي تضع أذنها على باب المطبخ.

"ماذا تفعل؟"

قالت السيدة فيزي "تعمل بلا شك، دعيها."

كانت السيدة دروما قد فتحت الباب بالفعل. كان هناك شبحا لإمرأة يقف عند سلة النفايات في المطبخ المظلم وهي تحمل حذاءا رجاليا أسود في يدها. وكانت تقوم بتلميعه.

همهمت الأصوات "تصبحين على خير يا آنا. مع السلامة. باركك الرب." غمغمت آنا بشيء ما.

"ماذا قالت؟"

ترجمت السيدة فيزي "لقد كانت تستسمحك عذرا، فلا يمكنها فتح الباب لكي لأن يديها بها معجون."

استفسرت السيدة دروما "بها معجون؟"

"المعجون هو ما تطلقه الخادمات على تلميع الأحذية."

كررت السيدة دروما "معجون! تخيلوا. معجون!" وظلت فكرة الأيدي "الملوثة بالمعجون" تسليها طوال الطريق وهي تصعد الدرج إلى شقتها.

(١٠)

الأسطـــورة

كان آل فيزي لا يزالون يفكّرون مليّا في أحداث حفلتهم الصغيرة.

"هل سمعته؟ ينبغي أن أقدّم الأصابع الإسفنجية لخادمتي. الأصابع الإسفنجية!"

"مجنون، مجنون تماما"

"لأنها أكثر ما تفضّله. لم أسمع شيئا أبدا مثل ذلك."

"ولم يكن ذلك هو نهاية المطاف. كان هناك منطقه الملتوي المعتاد. تعرفين ما أعنيه. لقد حسم تاتار ثرثرته."

"لست أنوي السماح لها أن تصبح شخصية رئيسية. هذا كل ما نحتاجه."

"يبدو كما لو أنه قد فقد عقله أخيرا. إنه رجل مريض. سيكون محظوظا إذا ظل على قيد الحياة لشهرين قادمين. إنهم حتى لم يعدوا يهتمون بقياس مستوى السكر لديه. هل لاحظت كيف أن الذباب ظل يحط عليه؟ كان يبعدهم عنه باستمرار. مسكين. سوف يموت ويدفن قريبا. ترى ما الذي سيصير بزوجته؟"

"ولكنك كنت على خطأ أيضا. ما الذي كنت تهدف إليه من الإشادة بها أمام الجميع؟ قد يحاولون إغرائها بعيدا عنا."

أغضبها الطبيب. لقد أبقت آنا في نطاق أضيق. لم تعيّن مساعدا للوكيل من قبل ولكنها أدخلت آنا الآن في هذه الخدمة أيضا. فمرة واحدة في الاسبوع كان على أنا تنظيف الدرج والعلية، وعندما لم يكن هناك شيء لتفعله، كانت تضمن أن يقوم آل فيكسور بإلهائها. أصبح إخراج القمامة من ضمن الأعمال التي تقوم بها آنا. وعندما يصمت جرس عربة القمامة أمام المنزل، تراها في ضوء الشمس تكافح مع صناديق القمامة الخاصة بثلاثة أسر وتقلب محتوياتها القذرة في العربة. كما أعطيت سلة مليئة بالجوارب لتقوم بإصلاحهم حتى لا تشعر بالملل في وقت فراغها.

كانت تميل السيدة فيزي إلى أن تكون محايدة في التعبير عن رضاها. لقد قالت لآل فيكسور أن الفتاة سوف تفعل. كان ذلك صعبا للغاية بالنسبة لها إذ أنها تكاد تكون مبتهجة طوال الوقت. ولكنها سيطرت على نفسها فيما يخص شئون التعليم. ارتدت وجها صارما ولكنه كان مجرد قناع.

انتهى الشهر في الخامس عشر من سبتمبر. دفعت لآنا أجرها والذي لم يكن كثيرا كما كانت تدفع لكاتيكا، والتي كانت تتقاضى الكثير، ولكنها أخبرتها أنها ستكون مستعدة في الوقت المناسب لأن تمنحها زيادة. كما أنها لم تقتطع ثمن المرآة كاملا. نصفه فقط.

لم تحتاج آنا إلى المال لذا طلبت من السيدة فيزي أن توفّر لها أجرها أو تشتري به شيئا لها. فاشترت السيدة فيزي لها حجابا من السوق الموجود في روهام اوتكا.

في يوم الأحد الخامس أرسلت آنا عمدا لتحصل على جولة في المدينة. ارتدت آنا فستانا من الجبهام والتي كانت ترتديه يوم وصلت. ارتعد ضوء شمس يوم الأحد الكئيب على

جرانيت الرصيف. تثاءب أمامها يوما لامنتهي من الفراغ. تلكأت عند البوابات ثم سارت متمهلة ملتبسة في لوجودي اوتكا حتى وصلت إلى ميدان به كنيسة ومستشفى كبيرة؛ كان ميدانا مليئا بالضجيج الذي يعلو نعق الغربان في نهاية الخريف. كان مكانا تميل الخادمات إلى التنزه فيه، تثرثر فيه فتيات سوابيا ويتمتمن ويتأبطن أذرع بعضهن البعض ويتجاذبن أطراف الحديث في لغة غير مفهومة، تماما كما كان سيفعلن عند العودة إلى القرية، فيتنزهن في جماعات كالمعتاد. لقد شكّلوا سلاسل حول الجزر المرورية حيث مصابيح الغاز، وقمن بإعاقة المارة وعطّلوا المرور. كان على الترام أن يدق أجراسه بأعلى صوت حتى يتمكن من المضي قدما. كانت آنا هي فقط الشخصية الوحيدة بينهم.

وفي طريق العودة إلى منزلها، عند فيرميزو، أمسكها جندي روماني من صدرها. احتمت في مدخل وانتظرت حتى اختفى الجندي. وبالقرب من المحطة الجنوبية اشترت بعض العصي المصنوعة من السكر والشعير من كشك للحلوى كهدية لباندي الصغير في أروك اوتكا.

إن الخادمات، عندما يقمن بزيارة أرباب عملهن السابقين يقلن دائما: "جئت لزيارتك إذ لم تكن تمانع." ولا يمانع أرباب العمل. فهذا يكسر الروتين اليومي، وبمجرد، بعد قدر قليل من عدم الثقة، أن يدركوا خادمتهم السابقة، والتي كانت من المحتمل أصغر أو أكبر حجما بدرجة قليلة، أو على أي حال أكبر سنا مما كانت، فإنهم يبدأون أيضا في تذكّر الأيام القدامى والوقت الذي انقضى منذ ذلك الحين. إنهم يستقبلون ضيفا والذي يعاملونه كضيف. يقدّمون لها هذا وذاك. ومن جانبها، فمعاملتها كضيف تجعلها أكثر وعيا بنفسها، ويثقلها بذكريات هائلة، في

غرفة تعرف كل شيء فيها وترتبط به ارتباطا وثيقا أكثر من أصحابه. ذراعيها، واللذان اعتادا على العمل الشاق في هذا المكان، يقفان خاملان بلا فائدة، لا تستطيع أن تتعامل بألفة كما كانت تفعل، طوعا أو كرها، عندما كانت عضوا من خارج الأسرة؛ وما يزيد من اكتئابها هو استمرار غياب الحياة العائلية كما كان الأمر من قبل وأنه على الرغم من اللطف الذي يستقبلونها به الآن، كان يمكن استبدالها بخادمة أخرى. فالكل يشعر بهذا بين الحين والآخر، ولكنها تشعر به بدرجة أكبر وأكثر ازعاجا، وحينما تنتهي الزيارة الودّية، وبدون ادراكها لذلك يزداد حزنها وتغادر ووجها يكسوه تعبير بالألم والغباء. فالأشباح فقط، أشباح الموتى، هم من يشعرون بهذا الأمر.

كان باندي قد قدّم لها ذات مرة بوقة لعبة كتذكار. و الآن أعطته الحلوى المصنوعة من الشعير والسكر. حدّق باندي في وجهها بتعجّب. هامت ذكريات مشوشة برأسه الصغيرة. فكان للحلوى تأثيرها المطلوب. جلس على حجرها. فلقد كانت آنا هي المخلوق الوحيد الذي أحبه أكثر من أي شيء، والتي، عندما كان يبلغ من العمر عاما ونصف، كان يدعوها بماما وليس آنا. ولكن عندما بدأت تخبره عن السكين الساحر ومجموعة الطيور التي خرجت منه، لم يعد يستمع. لقد نسي السكين الساحر. ودّعته آنا وعادت إلى عقار رقم ٢٣٨ باتيلا اوتكا قبل السادسة. كان كل شيء على ما يرام في المنزل.

قضت السيدة فيزي الصباح في المطبخ. لم يكن من الضروري مراقبة الخادمة أكثر من ذلك، ولكن ليس هناك شيء أكثر إثارة من المطبخ، والذي يعتبر في النهاية مختبر الحياة. فهنا يمكنها معرفة ماذا حدث في السوق أو ماذا يتم طهيه عند آل موفيسزتر أو دروما أو ببساطة مشاهدة آنا وهي تسير بطريقتها

المسلية المعتادة. فالطعام الذي هو على وشك الخضوع لعملية تحويله الخارقة قبل أن يسير في طريقه إلى مائدة العشاء كان لايزال متناثرا في المطبخ في حالته الخام. والمياه التي ستستخدم لعمل الحساء كانت ترتج في مقلاة حديدية كبيرة، وكان كل من الجزر والكراث والكرنب والكرفس والفلفل الأسود يغلي في السائل الملحي لؤلؤي مع قشر البيض الذي يعمل على الحد من الزبد أو الرغوة العائمة على السطح. أمّا المقالي الأصغر فكانت تحتدم وتقطر أيضا. فاختطفت الخادمة بسرعة الزعفران والزنجبيل من على الرف، وقطّعت البصل إلى شرائح رقيقة وعينيها وأنفها يقطران وطحنت الجوز وقامت بتفتيت قالب الخبز وفرمت البقدونس وقسّمت البيض وأبعدت الصفار عن الزلال وتخلّصت من اللفت وأخرجت أحشاء الأرنب وغمست اللحم في الدقيق وألقت به في المقلاة حيث تصدر الدهون السلخنة حسيسا وفحيحا.

لم يكن هناك سوى شيء واحد لا تقوم به آنا؛ إنها لا تستطيع تحمّل قتل الدجاج الحي. بل تسرع إلى الطابق العلوي وتدعو ايتيلك للنزول كي يقوم بتنفيذ جريمة القتل الغريبة الشائعة. فيقوم الخادم العجوز بالتكرم بجمع الضحايا التي يتم اختيارها بعناية، ويأخذها إلى الآنبوب الموجود في الفناء وبحركة واحدة بارعة ينتزع أعناقها ويقطع رؤوسها بواسطة سكين مطبخ كبير وتتدفق الدماء حتى تصل إلى كوع آنا وأحيانا تقطر على وجهها. فتذهب آنا بعيدا. حتى السيدة فيزي وجدت أنه من الصعوبة تحمّل ذلك. فهي تعلم أن ذلك ضروري لكنها لا تزال تسأل ايتيلك كيف يمكن أن يفعل ذلك. يقهقه اتيليك ضاحكا ويقول أنه مهما يجب أن يكون يجب أن يكون.

أوضحت السيدة فيزي لآنا أنها ليست سعيدة بقضاء آنا

الكثير من الوقت مع هؤلاء الخادمات الأخريات. فايتل لم تكن رفيقة مناسبة، فلقد كانت عجوز شمطاء صوتها عال ووقحة، وبالنسبة لستيفل، فكانت تعاملها بازدراء في أي حال، ولن يمكن رؤيتها معها في الشارع. ماذا كانت ستريد من هؤلاء الناس؟ إنهم يسخرون منها من وراءها. فمرة أو مرتين نفت فعليا وجود آنا في المنزل، ولم تسمح لهم بدخول الشقة. رأت آنا أن سيدتها كانت على حق. فلم تبذل جهدا كبيرا للوصول إلى الآخرين خارج المنزل. فلما يجب عليها أن تذهب لتتفقد الآخرين عبثا؟

فبدلا من ذلك رممت وأصلحت الأشياء الموجودة في المطبخ. وكان هناك دجاجة تركض حول قدميها. فلقد اشترتها بنفسها من المجثم كي تحتفظ بها كحيوان أليف. فهي تعرف كل دجاجة من خلال ريشها وصوتها. ومثل معظم فتيات الريف كانت تفكّر في الدجاج بقدر ما تفكر في الطيور الأخرى. فكانت تعطيها صحنا صغيرا لتشرب منه وتغذيها بكسرات الخبز وتتحدث إليها. وفي ليلة كان الدجاج يقفز إلى سريرها وينام عند قدميها.

عندما كانوا معا تحدثت السيدة فيزي عن بيروسكا وتحدثت آنا عن زوجة أبيها، تلك الفلّاحة الهزيلة صغيرة السن والتي طردتها من المنزل ذات ليلة في فصل الشتاء. كتب فيكسور خطابا لوالد آنا والذي يدعى استفان ايدز لإخباره بوظيفتها الجديدة لكنه لم يجب أبدا. لقد ضاق ذرعا بها. ومن جانبها، أشعرت نفسها بالتدريج أنها في منزلها في بيئتها. لم تعد تذكر أرباب عملها السابقين، آل بارتوس، كما لم تعد تسمع شيئا عن الخادمة السابقة كاتيكا. اختفت تلك الأيام. كان شعورها بالفخر يتزايد بأن أسيادها أكثر ثراء من آل دروما أو آل

موفيسزتر. كانت سعيدة عندما أعطوها دبوسا متموجا جديدا. كانت تشير إلى الغربال ب"غربالنا"، وإلى المفتاح ب"مفتاحنا"، وكانت جميع هذه الأشياء أفضل من تلك الموجودة في الطابق العلوي. كانت معجبة بملابس السيدة فيزي أيضا، وخاصة ذلك الفستان المصنوع من الحرير الأسود والذي ارتدته في الجلسة التي تعقد بعد ظهر الأربعاء. كانت السيدة فيزي تمزح معها قائلة "انظري، لقد ارتديت هذا فقط من أجلك."

وفي النهاية وجدت السيدة فيزي خادمتها رفيقة لطيفة. وإلى حد كبير، تحقق الخادمات لسيداتهن نفس الفائدة التي تحققها العاهرات لأزواجهن. وعندما لا يكون هناك حاجة إليهن، يتم إرسالهن بعيدا.

وفي ليلة خاصة، بعد انتهاء الثورات السياسية الكبرى وبعد اشتعال وتسوية جميع المناقشات الساخنة، كان السيد فيزي في انتظار العشاء في غرفة مكتبه. كانوا يعرفون أنه يعمل لذلك حرصوا على الحفاظ على الهدوء. كانت غرفة المكتب المرتّبة بشكل جميل يغلفها الصمت المحبرة وختم الشمع والمقص وكان البوم المحشو مصطفا في صفوفه على المكتب. وكان فيزي يكتب خطابا إلى صهره فيرينك باتيكاريوس والذي يتولى مسئولية مزرعة الكرم التابعة لهم في إيجر. كان الخطاب صعب التأليف. فالأسهل هو أن يملي الملحوظات إلى سكرتيرته في الوزارة، ولكن أصبحت كتابة الخطابات الشخصية أكثر صعوبة. لقد توقّف وأعاد قراءة المحتويات ونفخ في الحبر وقرأ الخطاب مرة أخرى قبل أن يلعق المظروف ويشعل الشمعة ويضع توقيعه مكان الختم. تثائب بعمق. كان قلبه ورئتيه وكبده يعملان بحالة جيدة، وكانت معدته تهضم بسلاسة أيا كان ما يودع فيها، ومع

ذلك كان يشعر أنه يعاني. لقد سقط فريسة لهذا "الملل" الغريب على البيروقراطيين الذين يتركون مع أنفسهم. نظر داخل المطبخ وحاول تعجيل الاجراءات. كانت زوجته تتحدث مع آنا التي لازالت تحمل نضارة الحياة الريفية. ودّ فيزي أيضا أن يجلس هنا ويتحدث معهما لكن زوجته قادته إلى الخارج. أخبرته أن آنا يجب ألا تضطرب، إنها خادمة وليست عامل جذب سياحي.

بيد أنها محاولاتها لإخفاء نشاط آنا في الظلام قد باءت بالفشل. فالفتاة كانت على اتصال يومي بمتجر فياتوريسز، كما يقوم البقال بتحية الخادمة الاستثنائية بغمزة سخية. وبما أن مكانه يعتبر مركزا محليا للنميمة من قبل كل النساء اللاتي يتسوقن هناك، فالكل يذهب إلى هناك ليسمعوا عنها. لقد ذكروا اسمها في المخبز والجزارة والمغسلة؛ حتى متعهد دفن الموتى قد سمع عنها. حتى الشرطي البدين الضخم، والذي يقوم دائما بتحية آل فيزي باحترام عندما يمرون به في دائرته في اتيلا اوتكا، كان على علم بوجودها.

اتسعت دائرة شهرتها. في البداية كانت شهرتها تقتصر فقط على الجوار المباشر لأتيلا اوتكا وكريسزتينا تير وبعض المناطق بطول كريسزتينا وأتيلا كورتس، ولكن سرعان ما رن اسمها في ميكو اوتكا لوجودي اوتكا وتابور اوتكا. فذات مرة هناك، في غضون اسبوع انتشر الإسم في فار: في اوري اوتكا حيث يقطن آل تاتار، بالإضافة إلى مناطق باستيا سيتاني وفرديناند تير وبوابة فيينا. غرزت سمعتها نفسها في عقول الرجال والنساء في كل مكان، ولا تزال دائرة شهرتها تتسع.

لقد تحدّثوا عن خادمة مثالية. لم يرها العديد من الناس حتى الآن، فيعرفونها فقط باسمها المسيحي. إنها حتى لم تتخذ

شكلا ثابتا في مخيلتهم. فهؤلاء الذين يعرفونها يشعرون مثل أفراد المجتمع المؤمنين بالخرافات الذين سمعوا عن معجزة للشفاء، رمزا دينيا قويا؛ لا يستطيعون فهم القوى الفعّالة الخارقة للطبيعة ولكنهم يعتبرونها أمرا مفروغا منه.

وفي النهاية انتشرت الأخبار في شكل دائرة كاملة وعادت إلى آل فيزي. وفي يوم اتصل صديق بفيزي في مكتبه وسأله عما إذا كان هناك أختا لآنا أو عمة لأنهم في حاجة إلى خادمة موثوق بها.

كانت السيدة فيزي تحزم حقائب للفقراء في صيدلية ماريا. كالعادة كانت مساعدة الصيدلي تتحدث معها وهي تقوم بإعداد الوصفات الطبية، وفجأة ذكرت آنا أيضا. تحدثت عن "خادمتك آنا" بابتسامة مطّلعة.

عندما ظهرت آنا في السوق وهي تحمل سلتها المصنوعة من القش على ذراعها، همس تجار الخضروات لبعضهم البعض، "السيد فيزي. تعرفه، المستشار. في الوزارة." وعندما ظهر فيزي، تتحول الهمسات لتصبح: "ها هو، الرجل الذي أخبرتك عنه. هذا هو. سيد آنا."

في المساء فإن سادة كريستينا يخرجون مع زوجاتهم. فسقطت فجأة امرأة ميتة. توقّفت عن الاستماع إلى ما كان يقوله زوجها، وحدّقت في نقطة معينة كما لو أنها شاهدت شبحا.

همست "انظر! ها هي ..."

"من؟"

"آنا. التي تعمل لدى آل فيزي. آنا، خادمة آل فيزي."

حدّق الرجل خلال الظلام المحيط بمصباح الغاز ولكنه لم ير أحدا حيث أن الرؤية كانت من النوع العابر. فلقد رحل الشبح الذي يرتدي ثوبا أزرق من قماش الكاليكو عند الجدار

وهو يحمل رغيفا طازجا عائدا من المخبز، والذي اختفى وراء بوابات المنزل الملوّن بلون القهوة، والذي كان بالفعل يصعد الدرج بسرعة. فلقد اختفت بلا رجعة من أمام أعينهم. انتظروا لفترة قصيرة كما فعل غيرهم من قبلهم، ثم تحركوا بصمت، وهم غارقون في أفكارهم الغامضة الخاصة بهم.

÷

(١١)
السيد جانسـزي

في صباح أحد أيام شهر سبتمبر أحضر رسول الوزارة للسيدة فيزي برقية والتي كان زوجها قد فتحها بالفعل. كانت رسالتها القصيرة تقول سيصل جانسزي الليلة.

وفي رسائله إلى فيزي، ذكر فيرينك باتيكاريوس أكثر من مرة ابنه جانسزي البالغ من العمر واحد وعشرين عاما، والذي لا كان لا يزال يتسكّع في أنحاء إيجر. كان جانسزي طالبا في المدرسة العسكرية في سانكت بولتن حتى سن الرابعة عشرة، وعندما قتل شقيقه الاكبر ساندور أثناء حملة الكاربات، أخرجه والده من المدرسة وألحقه بالجيمنازيوم المحلي. لقد أراد أن يتعلم ابنه المتبقي بشكل مهني. انقضت سنوات الصبي الأربع التالية كالحلم، واعترضت الإجازات الإجباريـة فصولها الدراسية نتيجة نقص الفحم والذي أدى إلى تراخي الآنضباط. لقد شاهد معلميه ومن هم أكبر منه سنا يحتشدون من أجل الحرب، وأصبحوا أبطالا متوفيين من يوم إلى آخر. ومثل أي شخص آخر مرّ عمره سريعا مع الحرب. وفي عامه الأخير تم استدعائه، نظرا لأنه تلقّى تدريبه وحضر دروسه بالزي العسكري في انتظار استدعائه إلى الجبهة. ولكن تلك الاستدعاءات لم تأت

أبدا. فلقد اندلعت الثورة في غضون ذلك، وكان لديه وقت فقط للإنتهاء من امتحاناته العسكرية.

وبعد ذلك، ومع الآنضباط الصارم للمدرسة النمساوية العسكرية السفلى من وراءه وحرية المستقبل المتأرجح بصفة عامة أمامه، مرّ بفترة من الآنحراف. فأصبح شيئا يعدّ نوعا ما اشتراكيا. أضاع وقته في الحفلات، وتودد للفتيات المحليات وصنع سمعة بطرافته المرتجلة. لقد كان يحلم بأن يصبح نجما من نجوم السينما. ولم يتخيل أي مهنة أخرى. توقّف لمدة عامين. ولم يكن لديه شهية للمزيد من الدراسة.

وفي النهاية يئس والده من فتوره، وناشد صهره كي يصنع رجلا من هذا الوغد الذي قسمت الحرب حياته. كانت نصيحة فيزي بأنه يجب تحت أي ظرف أن يتم إلحاقه بالخدمة المحلية أو الحكومية مثل أي فقير مرموق؛ فبدلا من ذلك ينبغي أن يقوم بالواجب المسيحي الخاص بالطبقة المتوسطة وأن ينتبه إلى روح العصر من خلال السعي نحو الوصول إلى منصب مالي عملي. هذا سيكون أفضل مسار بالنسبة له. ووافق فيرينك باتيكاريوس على ذلك.

اتصل فيزي بأحد معارفه المصرفيين الذي وعد بتوظيف الفتى كمتدرب بأجر. ولم يتبق سوى العثور على شقة له. وفي هذا الوقت كانت الشقق نادرة للغاية في بست. كانت السيدة فيزي تشعر بالغيرة من غرفها وكان اقناعها باستضافة ابن أخيها حتى يستجد الأمر ينطوي على بعض الصعوبة. فلقد شعرت بنوع معين من الالتزام نحو شقيقها.

وفي المساء أعدت المائدة لثلاثة أفراد. لم ينجح جانسزي في الحضور. ولم يكن ذلك مفاجئا تماما: فلقد كان أكثر الأشخاص الذين لا يمكن الاعتماد عليهم في العالم.

وبعد ثلاثة أيام من وصول البرقية، وعندما كانوا قد نسوا تقريبا مستأجرهم المحتمل، في حوالي الساعة الحادية عشرة في الصباح، انفتح الباب بقوة. ودخل جانسزي كالإعصار.

"عمتي أنجيلا!"

"جانسزي، جانسزي!"

"دعيني أقبّل يديك."

"مرحبا، مرحبا. ماذا تسمون هذا الوقت؟ يا لك من رجل! متى وصلت؟"

"في تلك اللحظة. ركبت القطار السريع. لقد تأخر ثلاث ساعات."

"يا لك من أحمق، كما تعلم."

كانا يتحدثان في آن واحد، يصرخان ويعانقان بعضهما بعضا. لقد كان استقبالا مسرحيا، أكثر من مسرحي في الواقع. سحبت السيدة فيزي نفسها وعدلت شعرها الذي تشعّث في هذا الاستقبال المتهور. دفعته بعيدا بلطف.

"انتظر، دعني أنظر إليك."

تفحّصت ابن أخيها. كان يبدو كنائب الأميرال وهو مرتديا ملابس بيضاء من قمة رأسه حتى أخمص قدميه. فكان يرتدى سروالا خفيفا أبيض وسترة بيضاء وحذاءا رياضيا أبيض. والأوقات المظلمة تبدو وكأنها لم تتطرق له.

تعجّبت السيدة فيزي قائلة "لقد كبرت!" كانت تحاول تبيّن ذلك التلميذ العسكري الذي كبر قبل أوانه والذي سمح له بالعودة إلى منزله لبضعة أيام في عيد الميلاد، والذي ترنّح عند نهاية مائدة الأسرة في سيف صغير حزين في جانبه. وكانت مقابلته بهذه الهيئة بعد بضع سنوات مربكة بعض الشيء.

وكما هو الحال بالنسبة لأي شخص آخر، رغبت في تحديد موعد لمعارفها غير المقرّبين في مكان محدد وفي توقيت معين: لقد توقّف الوقت بالنسبة لهم كما لو أنهم ماتوا، أمّا هي فقد خدعت نفسها بلطف من خلال تخيّل أنه مثلما جمّدهم الوقت في صورة فهي أيضا تتوقف في مساراتها في الطريق المؤدي إلى الفناء. وبمجرّد أن ينجحوا في التلاقي، يدرك معظم الناس الخداع ويبتسمون في حيرة كما لو أنهم يرون شيئا لطيفا وليس شيئا نهائيا ومرعبا.

لذا كان ما تحدثت عنه السيدة فيزي هراء. لقد نظرت في المسافة البعيدة وابتسمت وهي تتذكر.

"تعال إلى هنا، سأريك غرفتك. يمكنك البقاء هنا طالما تحتاج إلى ذلك. وستكون هذه الأريكة سريرك."

قال جانسزي "من الدرجة الاولى،" وألقى بنفسه عليها. ثم تدحرج ووقف على يديه، وواصل بمعجزة حركته وسار في الغرفة بهذه الطريقة. احمّر وجهه الأبيض بسبب الدم الذي اندفع إليه وانقلبت سترته لتكشف عن قميصه الآنيق المصنوع من قماش الزفير والمنديل الموجود في جيبه العلوي، والمطوي على شكل حمامة.

نبّهته السيدة فيزي قائلة "أنت أيها الأحمق! لا تتجرأ وتقلب بيتي رأسا على عقب. فأنت لازلت مجنونا كما كنت دائما."

صرّح قائلا "فهكذا أنا، عمتي أنجيلا،" وهو يقفز على عقبيه وينحني نحوها بطريقة مبالغ فيها، وبدأ يصفّر.

شاهدت السيدة فيزي هذا الدرويش الملتوي. هامت ذكرياتها بمغامراته القديمة برأسه وتردد صوت ضحك قديم.

فدائما سيكون المهرج سيء السمعة أكثر تسلية لأقاربه مقارنة بشخص غريب تماما. وعلى الرغم من حركات جانسزي كان هناك شيئا متعمدا يوحي بلمحة من البعد. فملابسه المثالية الآنيقة العصبية بعض الشيء توصل نفس الرسالة. لقد كان قويا مفتول العضلات ولكن كان صدره ضيقا. كانت يداه الصغيرتان جافتين. لم يعرق جسده مهما كان الجو حارا. وكان شعره القصير الشائك نحاسي اللون مجصصا بحزم على جبينه الناعم الهش، والذي، من جانبيه، تتدلى أذناه المسطحتان على نحو رخو كما لو كانتا قطعتين من الورق وتم إلصاقهما فقط. كانت شفتاه الرفيعتان عنيدتين وقاسيتين كما كان وجهه هامدا خشبيا وغير منتظم، كما لو كان عبارة عن سلسلة من الأسطح الغريبة المبتكرة والتي تعثرت فوق بعضها البعض في شكل خماسي غير منظّم. فالأمر يبدو كما لو أن نحاتا تكعيبيا قد قام بنحته.

توقّف فجأة عن الصفير. كانت أمتعته قد نقلت إلى الطابق العلوي، حقيبتان مصنوعتان من أفضل جلود الخنازير الآنجليزية. اعتلت الجدية وجهه وكرّس اهتمامه العميق في فتح الأقفال الخاصة بهما. كان كل شيء هنا. إحدى عشرة سترة، ذيول السترات، السترة الخاصة بالتدخين، معطف الشتاء المبطّن بفراء الأبوسوم، القمصان الجميلة، الملابس الداخلية الحريرية، الجوارب المنقوشة، الأحذية المصقولة والأحذية المنخفضة المخصصة لملابس أوقات الفراغ ذات الذيول الجلدية البارزة، حقيبة مانيكير، عطورا مختلفة، وصابونة جليسرين في جرار من الإبونيت الأبيض حيث لا يستطيع جلده تحمّل أي شيء إلا صابون الجليسرين. وفي الأسفل كان هناك كتابان، واحد من ضمن مجموعة من بارووديا أدبية شهيرة للفكاهي كارينثي والآخر

عبارة عن كتاب مختصر بعنوان "*كيفية إتقان اللغة الإنجليزية خلال ساعة.*"

أرادات العمة أنجيلا مساعدته في إفراغ حقيبته لكن جانسزي لم يكن ليسمح لأي شخص بالاقتراب من ملابسه. لم يكن يفتقر لشيء. لقد أحضر حتى فرش الملابس معه. لقد أمسك بستراته ومرّ بالفرشاة عليهم، نافضا كل جزيئة غبار بعيدا باستخدام أصابعه. سوّى سراويله وثبّتهم في مكابسهم، ثم علّق كل شيء في خزانة الملابس التي وضعتها له عمته لتكون تحت تصرفه.

وضع مستلزماته في الحمام ثم بدأ في الاغتسال. لقد اغتسل بشكل تام واستغرق وقتا طويلا. غمر نفسه بالصابون ثم اغتسل بالدش، وعلى الرغم من أنه قد حلق ذقنه بالفعل في صباح ذلك اليوم، حلق ثانية باستخدام موس حلاقة أمريكي على وجهه الناعم. وضع بعضا من مزيل العرق تحت ذراعيه وغيّر ملابسه الداخلية وارتدى سترة زرقاء داكنة ورباط عنق لونه كالصدأ وظهر كالطفل حديث الولادة إلى غرفة الطعام حيث كان العم كورنيل في انتظاره.

حيّا عمه بـالإنجليزية "مرحبا، مرحبا. كيف حالك؟"

"مرحبا أيها الأبله. كيف حالك؟" احتضنه العم كورنيل بقوة كما تقتضي أعراف العائلة، وقبّله في جانبي وجهه. "شكرا للغاية."

تعجبت السيدة فيزي قائلة "ما رأيك! إنه يتحدث الآنجليزية بطلاقة. إنه يريد الذهاب الى أمريكا ويكون ممثلا سينمائيا."

"يجب عليه أن يكسب قوت يومه هنا أولا."

"لقد وجد لك عمك كورنيل وظيفة في البنك."

أومأ جانسزي وهو يقول "نعم، نعم."

"والآن استمع إليّ أيها الغبي الصغير! سنذهب معا صباح الغد لمقابلة المدير. ويجب عليك تقديم نفسك له." لقد أوضح طبيعة الوظيفة ولكن لم يتمكن جانسزي من التركيز التام في كلامه. فلقد كان هناك بثرة ذات لون بني غامق على الجانب الأيسر من وجه العم كورنيل: إنها علامة كان يتذكرها بوضوح. وعندما كان عمه يتحدث كانت تلك البثرة تصعد وتهبط وشعر جانسزي بالحاجة التي شعر بها في كثير من الأحيان في سن الطفولة، وهي الإمساك بها بين أصابعه، ورفعها وجذبها حتى ترتد بعنف مما يؤدي بالعم كورنيل إلى الصراخ.

أعطت العمة أنجيلا بعض التعليمات للخادمة حول إعداد المائدة. سطعت السيدة فيزي في ثوبها الأبيض وشعرها الاشقر اللامع في الغرفة مثل شمعة طويلة تشع ضوءا سماويا.

راقب جانسزي هذا الزوج من الأشخاص. بالنسبة له فكانا مجرد ممثلين تعثروا بالصدفة في أقنعتهم في مكان ما وارتدوها الآن لأنهم شعروا بالرغبة في ذلك. لم يستطع أن يرى أن حياة الآخرين قد تكون ضرورية بشدة أكثر من حياته. فلقد كانت العدمية القاسية التي عانى منها في صباه لا تزال تستحوذ عليه. كانت تحيّره وكان يحاول تجاوزها. لقد سعل وأشار أن عائلته تتطلع إلى رؤيتهم في إيجر، وأنهم ينبغي أن يقوموا بزيارة إلى هناك. وكان يعبث بأدوات المائدة طوال الوقت.

جلسوا لتناول الطعام. اتخذ مكانه مقابل كورنيل وركّز عينيه على مفرش المائدة، موجّها نظرة إلى عمه من آن إلى آخر وهو يتناول الحساء. ليس لفترة طويلة.

صرخ فجأة وهو يرفع بملعقته عاليا بخوف "ما هذا؟"

اتسعت عينا السيدة فيزي كما لو كان هناك شيئا خارقا. كان ذلك فألاً سيء. فالملعقة التي كان جانسزي يغمسها في الحساء قد انقسمت ولم يعد يتبقى منها غير المقبض.

سألت ابن أخيها المبتسم "هل هذه إحدى أفعالك أيها الوغد؟"

"مضحكة، ايه."

"مزحة سخيفة. من أين أتيت بها؟"

"من فيينا. في الشهر الماضي أثناء زيارة. كانت في بازار. انظروا،" وأخرج ملعقة مماثلة من جيبه.

لم يكن العم كورنيل غاضبا.

وبّخته السيدة فيزي قائلة "انظر إليّ أيها الشاب، متى ستنضج وتعود إلى صوابك؟!"

عرض عليهم المجموعة الكاملة من الدعابات العملية التي أنتجتها شركة نمساوية من أجل حسن العشرة بين بني البشر. كان لديه علبة سجائر والتي لو حاولت أن تخرج سيجارة منها ستقفز جميع محتوياتها خارجا. كما كان هناك سيجارة تنطلق منها صواريخ ذات رائحة كريهة حينما تحاول إشعالها، وعلبة ثقاب ممتلئة تماما بقنابل لا تنفجر، وكأس للخمر والذي يبدو أنه مليء بسائل أصفر والذي لا يمكن احتسائه لأن سطحه أملس، ومسدس صغير يخرج ماءا، وتذكرة ترام مطبوعة والتي تلزم حاملها بالاستلقاء على أي خط ترام يقع اختياره عليه.

كانت السيدة فيزي ترثي لفساد أخلاق الصبي. فلم تختلف تصرفاته عن تلك وهو صغير. فذات مرة في إيجر جذب المقعد من تحت رئيس الجوقة. وفي مرة أخرى عندما كانوا يقومون بطلاء السور قام بطلاء كلبهم الأبيض بطلاء أخضر زيتي وظل هذا المخلوق المسكين ذو لون أخضر حتى مات.

حاول العم كورنيل الشراب من كأس الخمر وأفرغ المسدس المملوء بالماء ثم حذّره أن هذا يكفي، ولن يكون هناك دعابات بعد اليوم وأن غدا سيبدأ العمل الجاد.

في اليوم التالي، ذهبا بالسيارة إلى المصرف. بحثا عن مكتب المدير ولكن تم اقتيادهما إلى مكتب رئيس القسم وبعد فترة قصيرة من التأخير وجدوا غرفة الآنتظار الصحيحة والتي كانت على أي حال ممتلئة بالعملاء. كان فيزي قد أرسل رسالة إلى المدير والذي بدوره أرسل رسالة اعتذار لهما إذا يتعين عليه مقابلة وزير من بلغاريا وسيكون معهم لاحقا. قادتهم سكرتيرة ترتدي منظارا إلى غرفة عادية والتي يوارون فيها الزائرين الشخصيين.

وفي خلال بضعة دقائق ظهر المدير، وهو يهودي قصير غليظ وقوي، عند باب جانبي. كانت سترته مجعّدة وكان يدخن سيجارا من خلال حامل.

احتضن المدير فيزي وجانسزي وقادهما إلى غرفة استشارات خاوية. اعترف أنه مشغول جدا، ولديه بالكاد وقتا للتنفّس وسط المواعيد. عندما قدّم فيزي طلبه بعناية وذكّره بوعده الكريم، والذي كان قد نساه في الوقت الحاضر، أخرج من جيبه إضمامة ورقية وطلب من جانسزي أن يعطيه قلماً – تخيّل أنه ليس لديه قلما خاصا به! – وكتب شيئا على الفور وكان يتحدث ويدخن طوال الوقت. كان الرماد يتساقط من سيجاره على صدريته والذي تجاهله. وعندما انتهوا صافحهم وسار مباشرة نحو باب جانبي آخر حيث كان هناك لجنة في انتظاره.

خطا الآن رجل مهذّب وسيم إلى داخل الغرفة والذي كان قد تم إخباره بالفعل عن الترتيبات. صافح فيزي وجانسزي

بحرارة والذي شعر في أيديهما ببصمة المدير الدافئة على نحو واضح. رافقهما إلى المصعد ومنه إلى الطابق الأرضي ثم نزلوا بعض الدرجات السلّمية الحديدية حتى وصلوا إلى القبو المصفح. وهنا منح جانسزي مكتبا وقدّم إلى زملائه وبدأ العمل.

كانت تلك دنيا العجائب. فكل يوم كان اعجاب جانسزي بها يزداد. فالمبنى الضخم في وسط الميدان كان يرتفع شامخا مبهجا نحو السماء. كان يمكن أن يكون كاتدرائية. حتى الموكب المتعجرف الذي يتكّون من السيارات السريعة انتظر بصبر عند الرصيف أمام المبنى، كما حدّق المارة الذين مرّوا أمام أبوابه باحترام وفضول في القاعة، وخفضوا أصواتهم ونزعوا قبعاتهم. أمّا أولئك الذين لا يؤمنون بأي شيء آخر كانوا على الأقل يؤمنون بهذا؛ فكان ذلك يطمأنهم كي يشعروا بأن هناك شيئا ما في الحياة بعد كل شيء.

حتى البوّاب ذو القبعة المزركشة وقف في المدخل وهو يشعر بنوع معين من أهمية الذات؛ تضمّن مكتبه الشارع بل امتد أيضا إلى الخلوة نفسها، كان محاطا بحجافل مريبة من الزوّار الذين أصرّوا بجهل على السعي نحو مدخل غير مصرّح به. لقد كان هو أول من اتخذ قرار بشأن ما إذا كان يسمح أو لا يسمح للشخص بالدخول، وكان يقوم بهذا الواجب بطريقة لبقة هادئة، وكان يتعامل مع الفقراء الهيستيريين بنفس الطريقة التي كان يسوع يتعامل بها مع الصيارفة وجوابي الضرائب في المعبد. وكان هذا المعبد أيضا على قدم المساواة في الإفتقار إلى غير المؤمنين.

كان جانسزي يحب أن يتلكأ في المدخل وفي الممرات المذهّبة المصنوعة من الرخام الأخضر حيث تتخللها أشعة الشمس من خلال الزجاج الملوّن. وفي المسافة يمكن أن يرى

الدرج المتشعبّ، ويلمح القاعات المكسوة وغرف الاستقبال ذات الكراسي الفاخرة والأرائك، والتي ينبثق منها جو من الوفرة والرفاهية القصوى. كانت المصاعد تتدحرج كما كانت قاعة الصرّاف الضخمة تعج بثلاثين آلة كتابية وكان هناك مائة كاتب في حجرات زجاجية منحنون على المكاتب.

وحيث كان يعمل في القبو بالأسفل، كانت المصابيح مشتعلة بشكل دائم تكريما للإله المحلي. وكان هذا القسم الذي يتناول الأسهم والأوراق المالية يخضع لحراسة تنطوي على رعاية خاصة. فالغرف مقسّمة بواسطة أبواب حديدية سمكها نصف متر وتدق أجراس الآنذار عند أقل لمسة. عند الغسق يظهر حراس الأمن ومعهم مصابيحهم الكهربائية. وهنا يحمل الموكّلون الحقائب المحمّلة بالعملات أو الذهب أو المجوهرات، ويودعوها في مقصورات تشبه حجرات الاعتراف حيث تختبر محتويات حقائبهم وليس ضمائرهم والتي يقوموا شخصيا بعد ذلك بوضعها في خزائن من الفولاذ. كان الصوت عاليا مع رنين الأجراس الغريبة، والتي عندما تدق يظهر الحجباء شبه الرسميون من باب أو آخر.

وفي جناح في الطابق الأول الذي يعلوه كان تحكم شخصية الملّم بكل شيء والذي قابله مرة واحدة، وهو المدير، الذي كان دائما هنا ولم يكن أبدا هنا، الذي يظهر للحظة واحدة فقط، وحتى وهو في سيارته يمكن أن يكون يتفاوض مع

كبرى الشركات الأمريكية. يصعد في المصعد كالشبح، ويدخل مكتبه دون أن يلاحظه أحد، وكان محاطا بجوقة من الهواتف الرنانة، وطنين قنوات البريد الداخلي، وأسطول من البرقيات وسرب من السكرتيرات المشرقات والمشغولات، ورؤساء ومديري الشركات والمخرجين الذين يبدون ك الآنصار والكهنة الحاضرين والأساقفة البدناء كبيري السن على التوالي. وعند حضورهم، يتراجع إلى أعمق ملاذ له وتقوم مكاتبه المقدّسة بوظيفتها على المذبح حيث قد يستعرض-لدقائق في كل مرة- الإله الواحد في القرن العشرين والذي لا يزال يؤمن به، إله الذهب.

كيف كان كل هذا ساحرا، وكيف كان آمنا. شعر جانسزي أنه كاتب ثانوي لدين جديد عند النقطة الثابتة في عالم غير مستقر. وفجأة وللمرة الأولى يمكن أن يتصور نفسه كشخص بالغ مستقل.

اكتشف لاحقا أن جوزسي ايليكس كان يعمل أيضا هنا في الطابق الثاني في قسم العملة. اصطدما ببعضهما البعض في الممر واحتضن كل منهما الآخر بسعادة، وأخذا يهللان مثل أبناء العمومة. رتّبوا من آن لآخر اللقاءات لتناول الشراب معا في حفل في مقهى. لم يستطيعوا تحمّل الافتراق حتى وقت متأخر من الليل. اصطحب جانسزي صديقه إلى بوابة فيينا حيث تكمن شقة آل ايليكيس. وبدوره اصطحب ايليكس جانسزي إلى أتيلا أوتكا، وهكذا استمروا حتى انتهى الحديث عند الموضوع الواحد الذي استوعبهم تماما، وهو إغواء النساء.

كان ايليكس عضوا في جيمنازيوم ايجر قبله بعامين، وكان بالفعل يعمل في البنك لمدة عام. اعتبر نفسه مواطنا من بودابست. كان لديه دائرة واسعة من الأصدقاء. كان يمضى

الفترة الصباحية عند الهاتف المكتبي كي يقوم بترتيب ترفيههم اليومي.

كانت مهمة جانسزي الأولى هي العثور على حبيبة جديدة في المدينة. فلا يستطيع تحمل ألا يكون لديه واحدة. فلم يشعر أنه قد انتقل بالفعل إلى مكان آخر إلا عندما أصبح هناك فتاة يغازلها، واحدة فقط يفكّر فيها كل ليلة قبل أن يخلد إلى النوم، واحدة والتي ستكون الشغل الشاغل لحياته. كان هناك اثنتين من المرشحات لهذا المنصب، شقيقة ايليكس وايلونكا تاتار. واستقر في النهاية على الأخيرة.

قد يحتشد ما يقرب ما يصل إلى عشرة أو خمسة عشر شابا في بيت آل تاتار في فترة ما بعد الظهيرة. كان ذلك من آن إلى آخر بسبب مطاردة ايليكس لمارجيتكا واخبارها أن جانسزي لديه رغبة في شقيقتها. كانت ايلونكا فتاة مرحة وساحرة، وتعتبر جميلة قليلا بالنسبة لكونها ممتلئة. وفي الوقت المناسب سينتهي بها المطاف وتصبح بدينة كوالديها.

تألفت قصة حب جانسزي من القائه النظرة الأولى عليها عندما دخلت الغرفة، من خلال التباطؤ في مصافحتهما الرسمية و الآنحناء على البيانو وطلبه منها أن تعزف لحنا مجريا قديما. أرسل لها وروردا أيضا: في كثير من الأحيان، وقبل ساعات العمل، يمكن أن تتم مشاهدته في محل زهور كريسزتينا، يحلّق من باقة إلى باقة، يشّم البنفسج الأبيض ويطلب إرساله إلى بيت آل تاتار ومعه بطاقته الشخصية.

وجدت السيدة فيزي ضيفهم مريحا على عكس ما كانت تخشاه. فلقد منحة عمله في البنك قدرا من الرزانة. في التاسعة صباحا يكون خارج المنزل، ويعود لتناول طعام الغداء في الثانية

والنصف. وبعد ذلك يقوم بلف سيجارة على الطاولة أو يقلّم أظافره ويجري محادثة مع عمته.

مازحته عمته وهي تقول "مسكينة ايلونكا."

"لماذا، عمتي أنجيلا؟"

"اسمع نصيحتي يا عزيزي. لأنكم أيها الرجال غير قادرون على الحب الحقيقي. تنجذبون إلى وجه أو آخر جميل ثم تنسوها. مدن أخرى، وفتيات أخريات. أنت لا تحتاج إلى التصنّع. لا تغري الفتاة."

احمّر وجه جانسزي خجلا واحتّج بحجة واهية؛ لقد جاملته واعتبرته شخصا خليعا. فذكر بعض التعليقات التي تحط من قدر المرأة. وبّخته السيدة فيزي، وهي تتفاخر بابن أخيها الرجل الحق. فلقد قرأت في وجهه الفسوق الخفي.

وعند تمام الرابعة كان قد أعدّ بالفعل للسهرة الليلية. شطف فمه بالماء المعطر وانتظر ايليكس الذين وصل وهو يرتدي ملابس أنيقة فكان يرتدي نظّارة أحادية. وذهبا إلى العالم الجميل.

وفي المنزل كان لا يشغل نفسه سوى بملابسه. كان لا يرى شيئا ولا يسمع شيئا. كان يبحث عن الشيء الذي هو بالفعل في متناول يده. لقد أمضى معهم ثلاثة أسابيع وكان لا زال يدعو الخادمة كاتي، فيمزج بينها وبين الخادمة في ايجر. كان يجب دفعه للتعرّف عليها في الشارع.

ومن جانبها، أدت آنا دورها بالكامل معه. كانت توقظه كل صباح في الساعة الثامنة، وتترك فنجالا ذو حافة ذهبية ممتلئا بالكاكاو وقطعة كرواسان وكوب من الماء على الكرسي بجانب الأريكة. كان الشاب الصغير المهذب يجد الاستيقاظ صعبا إلى حد ما. فيستغرق نصف ساعة قبل أن تقوم فكرة البنك بإيقاظه؛

ثم مذعورا، يضع ثيابه عليه وهو منزعج من اختلال كوب المياه أو وعاء الغرفة وسقوطهما في الحوض وإحداثهما صوتا كالشخير، وكان يترك صنابير المياه مفتوحة والتي بدورها تقوم بإغراق دورة المياه والتي يتبعها وجود آثار أقدام مبتلة على الأرض التي تم تنظيفها منذ وقت قريب. إنه بالفعل يحتاج إلى خادمة خاصة به.

عندما أوقّف الصفير- كان هو الطائر المغرد الحقيقي، يصفّر باستمرار- تذهب آنا إلى دورة المياه التي لا تزال تحمل عطره المسكر. فكانت تتمايل ورأسها يدور في الهواء المعطر السديمي. كانت تضع بعيدا المجموعة الخاصة بأظافره ومقصه. وبمجرد أن تضغط على واحدة من رشاشاته، يخرج منها عطر بارد بسرعة مخيفة لدرجة أئنها تعيدها على الفور إلى مكانها على الرف.

لم يتحدث جانسزي أبدا معها إلا عن طريق إعطائها الأوامر. وبينما كان يغادر مع ايليكس توقّف عند باب المطبخ ليطلب منها أن تخبر سيدة المنزل الطيبة بأنه سيعود إلى المنزل لتناول العشاء في الوقت كذا وكذا.

وفي وقت متأخر من بعد ظهر أحد الأيام كانت آنا بمفردها تقوم بكي الملابس في القاعة. كانت تندّي سروالا بقطعة قماش مبللة. كانت منضدة الكي موضوعة بين مقعدين. اندفع جانسزي عبر الباب. وعندما رأت أنها تعترض الطريق، بدأت الفتاة تحرّك المنضدة، ولكن الشاب الصغير طلب منها أن تبقي كل شيء مكانه، ورجع بضع خطوات للخلف باتجاه الباب ووثب وثبة طويلة تجاوز بها منضدة الكي. توقّف عند باب غرفة الطعام ليرى تأثير ما قام به. كانت آنا تقوم بالكي ولكن وجهها كان يحمل تعبيرا باللامبالاة، واتسعت المسافة بين قدميها

رويدا. وتشبث فستانها المصنوع من قماش الكاليكو بأطرافها. وكانت قدميها عاريتين.

وفي بداية شهر أكتوبر، دعا فيرينك باتيكاريوس آل فيزي في موسم حصاد العنب. فقرروا عمل رحلة تستغرق أربعة أيام. قدّم فيزي للوزارة طلبا بإجازة لبضعة أيام. في البداية كان الترتيب أن يقوم جانسزي بمرافقتهم، لكنه فضل الاستمرار في العمل في البنك، حيث أنه يريد البقاء في بست وزيارة آل تاتار أو الذهاب إلى السينما. أعطت السيدة فيزي التعليمات لآنا بشأن ما يتم طهيه للشاب المهذب. ورحلوا يوم الأربعاء من المحطة الجنوبية.

اصطحبهم جانسزي إلى المحطة، حيث أن آل فيزي، الذين ظلوا ريفيين من داخلهم على الرغم من السنوات الخمس وعشرين التي قضوها في العاصمة، كانوا يهتمون كثيرا بهذه الشكليات. فركبوا نصف مقصورة من الدرجة الأولى. وغمر فيزي زوجته بالمجاملات. أعطاها المقعد ذو النافذة الجانبية، وبحث عن مجلة لها وكان مهموما بوجه عام براحتها. أومأت العمة أنجيلا.

وعندما ارتج القطار علامة على بدء التحرّك أحنت السيدة فيزي رأسا خارج النافذة وحثّت ابن أخيها الواقف على الرصيف مرة أخرى على رعاية كل شيء جيدا، وخاصة المنزل. ولوّح العم كورنيل بمنديله.

لوّح جانسزي بقبّعته المصنوعة من القش وصاح ورائهم. "مرحى! مرحى!"

(١٢)
ليلة عاصفة

كان القطار لا يزال يتقدم؛ فلا يزال جانسزي يستطيع أن يرى وجه العمة أنجيلا ومنديل العم كورنيل، عندما قرر فجأة – ولقد فاجأه هذا القرار – عدم العودة إلى البنك كما كان يعتزم، ولكن الذهاب إلى المنزل ومن آن إلى آخر أراد أن يحصل على رد فعل إيجابي من آنا.

كانت الفكرة مثيرة بشدة لدرجة أن حلقه أصبح جافا. تشبّث بعمود حديدي ونظر إلى ساعة المحطة التي كانت تشير إلى تمام الثانية عشرة. أخذ نفسا عميقا من الهواء الملّوث بالدخان ذو الرائحة الكريهة.

في الخارج، أمام المحطة، كان لديه إحساس بالمجيء إلى مدينة غريبة حيث تنتظره مليون تجربة جديدة. لم يلقي بالا لباروس تير وألوانها التي تشع نورا ساطعا وتمثالها الكئيب المسمى على اسمها، فلقد رأى آنا فقط في ثوبها ذو المربعات، والتي كانت تقوم بكي الملابس على منضدة الكي المتوازنة بين مقعدين في القاعة الضيّقة بقدميها العاريتين وفخذيها اللذين يبعدان عن بعضهما البعض بلطف، وشعر برغبة جامحة في أن يكون هناك الآن، أن يحتضنها من الخلف، وأن، كما هي العادة مع الفتيات الخادمات، يقلبها بخشونة مثل كيس الطحين.

وبدأ العرض. في ظهر يوم دافئ من أيام شهر أكتوبر أحرق ملابسه. قفز على متن ترام عابر وقفز منه من جديد في المحطة التالية. صفّر لسيارة أجرة ووعد ببقشيش كبير إذا ما قاد الرجل السيارة بسرعة.

وكم قاد السائق السيارة ببطء. فكل دورة لعجلة القيادة كانت تبدو كأبد الدهر. وفي غضون ذلك واصلت الصورة التي فرضت نفسها أمام عينيه بشكل غير متوقع مطاردته وإثارة غيظه وازدادات حركتها رشاقة وحيوية كالفيلم. تضع آنا المكواة جانبا وتبتسم بشكّ وتجلس في حضنه.

ولكن آنا ومنضدة الكي لا أثر لهما في القاعة. أين ذهبت؟ وبينما هو متحيّر نظر جانسزي داخل المطبخ.

"هل حان وقت الغذاء؟"

سألته آنا وهي عند الموقد "فعلا؟ اعتقدت ..."

"ماذا اعتقدت؟"

"اعتقدت أن الغذاء سيكون في الثانية والنصف كالمعتاد."

"آه. كلا."

"أستطيع إعداده في غضون دقائق."

"أقول..."

"نعم؟"

"ماذا تعدين للغداء؟"

"حساء صاف."

"و؟"

"ولحم العجل المشوي."

"و؟"

"وبودنج بذور زهرة الخشخاش."كرر جانسزي " بودنج بذور زهرة الخشخاش،" قطب جبينه " بودنج بذور زهرة الخشخاش."

"ألا تحبه يا سيدي؟"

"آه، نعم. أحبه جدا. إنني مغرم ببودنج بذور زهرة الخشخاش. مغرم به جدا."

كان يهذي بدون أي فكرة عما كان يقوله. فكان من الصعب أن يعمل عقله، وهو يقارن بين هذه الفتاة في هذا الموقف الجديد كليا والجو المختلف تماما والملابس المختلفة بمن كانت تقوم بكي الملابس في القاعة في ذلك اليوم الآخر، وكان يحاول وضع الصورتين إلى جانب بعضهما البعض كي يدرك الهدف الذي يرغب به. فلم تعد آنا حافية القدمين. لقد كانت ترتدي حذائها وهذا ما أزعجه أكثر.

وفي غرفة الطعام أعدّت الطاولة له وحده كي يجلس في مكان العم كورنيل. تطلّع حوله وشعر مرة أخرى بالحرارة التي تتصاعد بداخله كما كان الحال في المحطة. ظل لعدة دقائق عاجزا عن الحركة. فلقد كان وحده، وحده تماما معها.

وعلى أطراف أصابع قدمه، سارع إلى غرفة النوم. بحث عن المفتاح في الباب المندفع، ونقله من القفل الخارجي للقفل الداخلي، وأغلقه عدة مرات، ثم فتحه مرة أخرى. من هذه الغرفة حتى غرفة الطعام يمكن للمرء أن يقفل الشقة بأكملها. فباب القاعة مغطى بالزجاج حليبي اللون وبالتالي لا يمكن لأحد في الممر أن يرى من خلاله، ولا حتى مع وجود أكثر الأضواء سطوعا.

كان يفكّر بعمق. لامس وسادة وارتجف. تأمّل المرآة الطويلة ورأى أنها كانت كبيرة بما يكفي لإظهار انعكاس لشخصين

عاريين يقبّلان ويعانقان بعضهما البعض. داعب غطاء الفراش. كل شيء في الغرفة، كل شيء، كل قطعة من الأثاث أصبحت عنصرا في تصميمه وتوهّجت بتيارها الكهربي. لم تعد الشقة المهجورة تشبه المدفأة العائلية: كانت وكرا للرذيلة، متواطئ طوعي يتعاون معه في كل خططه.

رفع حقيبة الكتابة وبحث في جميع أنحاءها واستكشف الخزائن وسحب الأدراج المغلّقة، وجلس على جميع المقاعد وتمدد على الأرائك، حتى أريكة العمة أنجيلا. لم يتمدد عليها من قبل. قام بلف الوسائد حوله وأسند نعليه على الغطاء الحريري الأبيض. وماذا إذا أفسده! كلا، على العكس من ذلك، لقد لمع في ذهنه أن كل هذا يتبع شخص آخر وأنه يمكن أن يفعل به كل ما يخطر على باله؛ دفعته بعض الإثارة الداخلية، غريزة شبابية تدفعه نحو التخريب، تدفعه لركل الأشياء وكسر الأقفال وتعريض كل شيء للإفساد والتدمير والتحطيم والسحق.

كان قد أعد خطة هجومه الخاصة بالغداء. وضعت آنا الحساء ولكنها لم تنظر إليه. استنتج من ذلك أنها يجب أن تكون تشك بالفعل في شي ما. وعندما جاءت باللحم لاحظ ما يبدو كابتسامة صغيرة على شفتيها، لو خاطبها الآن ستضحك بصوت عال وتفسد كل شيء. لذا قرر الاستمرار في الخطة حتى يحين وقت الحلوى. ومع ذلك عندما جاء إليها قال لها "شكرا لك"، وترك الأمر عند هذا الحد.

بعد الغداء اضطجع على الأريكة يعتريه خليط من الغضب العاجز واليأس، وغطى وجهه بيديه ولعن غباءه. فلم يكن قادرا على التحدث مع النساء، خاصة عندما يكون في أمس الحاجة لذلك. كانت ملاحظاته عن مثل هذه الأوقات

غامضة لدرجة أنهم لا يفهمونه، أو تكون فظة بشكل جارح لدرجة أنه يحمّر خجلا من الأذن إلى الأذن بسبب حماقته. وعادة لا يمكنه فعل شيء سوى أن يمزح معهم. كانت هذه الطريقة ممكنة مع ايلونكا تاتار والحشد المتجمع حولها ولكنها كانت عديمة الفائدة تماما مع آنا.

وعلى أي حال كانت هناك أشياءا كثيرة عن آنا أوقفته. كان شعرها متفرّقا مثل معظم فتيات الأرياف، ملتفا في عقدة ضيقة، حيث أن الخادمات، على عكس سيداتهم، سرعان ما يفقدن شعرهن الكثيف. لاحظ وجود ضوء على شفتها العليا والتي، نتيجة حرارة المطبخ، تجمّع عليها حبات قليلة من العرق. كانت هناك بقعة صغيرة على أنفها. كان جسدها ضئيلا جدا. كانت عيناها فقط هما الجميلتان، وأسنانها أيضا.

حاول جانسزي تعزية نفسه وصرف نظر عن رغبته في إيجاد الأخطاء لها. لقد كانت نحيلة كالصبي، كان لها شارب، كانت تعرق كما كان هناك بقعة صيفية لامعة على أنفها وتلك الكعكة على رأسها. ولكن كلّما فكّر مليّا كلّما اتضح له أن ذلك يعد عبثا. وبعيدا عن مبدأ التراجع، ارتفعت حرارته بالفعل. فالعيوب القليلة التي جعلتها غريبة وغير جذّابة في البداية أصبحت الآن ملموسة أكثر، فجعلتها أكثر ملاءمة للغرض الذي اختارها من أجله. تأوّه وهو يرقد ويتقلّب.

بالنسبة لآنا كان هذا هو اليوم الأول التي تمكّنت فيه من العمل بدون رقابة. تحركت بحماس وبسعادة كما لو كانت رئيسة الطاقم الخاص بها. وبمجرد أن انتهت من الغسيل، أخذت سترات وسراويل معاليه من خزانة الملابس لتنظيفهم تنظيفا جافا ببقعة من البنزين. وعندما كانت تكافح عند الباب وهي تحمل كومة الملابس الكبيرة رأت السيد الشاب على

الأريكة. كان يستلقي بتصنّع وكان هناك أنبوب زجاجي خارجا من فمه والتي لم يكن لديها أي فكرة عنه.

سألته "هل أنت مريض يا سيدي؟"

هتف جانسزي "كلا على الاطلاق،" وهو يخرج ميزان الحرارة من فمه ويهزّه دون أن ينظر إليه. "اعتقدت أن تكون درجة حرارتي قد ارتفعت، فقررت قياسها. يبدو أنني أصبت ..." وبلا أي سبب على الإطلاق أكّد الكلمة الأخيرة "بالبرد."

ولكن عقله كان يسبح في مكان آخر. قال لنفسه "إنها فرصتي الآن، مزحة واحدة، أية مزحة شائعة، مضحكة، مزحة مبتذلة وستهوى ضاحكة على ظهرها. تلك هي الطريقة مع الخادمات. على ظهرك، سوزي! ... أقفز عليها، وأرفع تنورتها. ماذا يمكن أن يحدث؟ في أسوأ الأحوال ستضرب يدي. وماذا في ذلك. إنها ليست عذراء على أية حال. عليك فقط بالنظر إليها. حلمتاها صغيرتان ورخوتان. النوع المستقيم. قال ايليكس الكثير. ولكنها قد تكون كعكة ساخنة قليلا. قطعة حلوة من الزغب. نوع من عاهرات الأرياف."

شجّع نفسه بكلمات مثل هذه وغيرها من الكلمات التي لازالت فظة: كان الأمر كلعق العسل من وعاء الحليب، أتعبت حلاوة الكلمات حلقه وجعلته يسعل.

كانت آنا تتحدث.

"يمكنني استدعاء الطبيب موفيسزتر يا سيدي. عادة ما يكون في المنزل في هذا الوقت. فهو لم يفتح العيادة بعد."

أجبر جانسزي نفسه على الضحك بصعوبة وهو يقول "لا حاجة لذلك على الاطلاق." واستند على مرفقه كي يتفحصها.

كان يفكّر. "آه، إنها تنظر إلى عيني. لقد كنت مخطئا عند الغداء. إنها لا تشك في شيء. ولكن لم ينبغي أن تشك في أي شيء؟ فأمثالها لا يفهمن التلميحات، فهن بسطاء للغاية. ينبغي أن أقول شيئا. ليس فظا، شيئا به لمسة من الرقة. فكل لحظة تعتبر لحظة ضائعة. إذا أضعت وقتا طويلا جدا فسينتهي الأمر بلا أي نتيجة. لقد فقدت اليوم بالفعل. لا يعد يتبقى سوى ثلاثة أيام: الخميس، الجمعة، السبت. والأحد يوم متأخر جدا. افعل شيئا."

فتح فمه، وهو مقتنع بأن شيئا سيخرج منه. كان عقله فارغا. فكل ما فعله هو أن كرر اسمها.

"آنا."

"نعم سيدي؟"

"انظري يا آنا، سأبقى في المنزل لبقية اليوم. لن أخرج. ولكن إذا قرعت الجرس، احضري على الفور. انتظري لحظة يا آنا،" تلك الجملة التي أضافها على الرغم من أنها لم تتحرك. "نعم. فهذا كل ما أردت أن أقوله."

ذهبت بعيدا. قفز جانسزي واندفع نحو باب غرفة الطعام ولكنه تجمّد هناك. سيكون من السخف أن يطاردها في المطبخ عندما كانت للتو معه. ولا معنى لقرع الجرس. بحث بأفكاره، واستلقى مرة أخرى على الأريكة التي كانت لا تزال دافئة من حرارته اللعينة. ما الأمر؟ لم يستطع فهمه. لم يشعر أبدا بشيء من هذا القبيل، ربما مرة واحدة فقط، في هذه المناسبة.

نعم، كانت في ذلك الوقت، لدى عودته من فيينا بعد امتحاناته، سافر وحده في تلك العربة ذات الضوء الخافت في قطار المساء. ضغط جفنيه في محاولة للتذكّر.

حدث ذلك قبل اجتيازهم للحدود المجرية بفترة وجيزة عندما لاحظ وجود امرأة ذات حواجب منخفضة وتحمل صندوقا كبيرا للقبعات في حضنها. فلا يصلح وضعه على رف الأمتعة. بدت منهكة ومهملة كما بدت مريضة بشكل غامض. كانت ترتدي ثوبا رماديا سميكا مصنوعا من قماش الجوخ. كان كعباها باليين. لم يكن لديه فكرة عمن قد تكون، وكم سنها، وهل كانت متزوجة أو غير متزوجة، وهل كانت تتحدث الألمانية أم المجرية، ولكن بمجرد أن رآها لم يستطع رفع عينيه من عليها. فوق القطار كانت السماء رصاصية وباهتة. كان المطر يتقاطر ببطء على الألواح الزجاجية وكان الهواء قريبا تماما كحمام البخار. وبينما يهتف الكمساريون بأسماء المحطات خمدت أصواتهم وسط الضباب المدلل. وقبل أن يتمكن من التحدث إليها خرجت المرأة في بروك على الحدود. كافحت مع علبة قبعاتها وجرت قدميها في الوحل بجوار القضبان تحت المطر الغزير. لم تجلب معها مظلة. ظلت تسير حتى تلاشت في الجو الرمادي. ولفترة طويلة حدّق جانسزي وراءها من خلال النافذة. كان من شأنه أن يعطي حياته ثمنا لمتابعتها والإمساك بيدها وتقبيل فمها المتدلي، ثم تناول العشاء معها في غرفة بأي فندق عند الحدود، حيث لم يكن هناك سوى طاولة واحدة وخزانة ملابس واحدة وسرير واحد. ونسي كل ذلك في اليوم التالي.

كان من الواضح أن ايليكس يكذب عندما قال أن الأمر سهلا مع الخادمات. فربما كن الأكثر صعوبة. بدّل ملابسه بغضب وخرج.

بدأ بآل تاتار ولكن عاد إلى زيرج وعبر نفق ألاجوت أسفل النهر حتى وصل إلى بست. جلس في السينما وشاهد فيلما رومانسيا ملفوفا على سبع بكرات من إيطاليا. ثم ابتاع

تذكرة للباثيفون واستمع إلى *الألماني الطائر* لفاجنر. كان الظلام قد بدأ يحل بالخارج وبدأ هذا الظلام الخفيف يزيده جرأة. تخيّل أنه يأخذ الفتاة بالقوة بمنتهى البساطة، بصرخة واحدة متوحشة. وصعد الدرج بسرعة.

ومع ذلك، كان المطبخ خاويا. وكالقاتل الذي يندفع بداخل غرفة ومعه خنجر مشهرا ليجد ضحيته التي طالما قصدها غائبة، تخبّط حتى وصل إلى المقعد الخاص بالعجن ووضع رأسه على الطاولة. فعلى الأقل فالتواجد هنا شعور جيد، في ذلك المطبخ القبيح الذي يحمل رائحة البنزين المتبقية.

تفاجئت آنا بوجوده هناك.

تسائل جانسزي "أين كنت؟"

"عند الجزار من أجل الحصول على ضلعا من اللحم للعشاء." وأخرجت حزمة ملفوفة في صحيفة من سلتها.

لوح بها بعيدا. "لا أريدها. لا أريد أي عشاء الليلة. بعض القهوة الداكنة ستكون كافية."

تناول القهوة السوداء. وقف أمام النافذة وشاهد الليل. وفي العاشرة أغلق فيكسور البوابات، وتوقفت السيدة موفيسزتر عن العزف على البيانو وأصبح البيت هادئا. كانت غرفة الخادمة مظلمة. خلع ملابسه أيضا وأطفأ الآنوار.

لفترة من الوقت وقف بملابس النوم في الظلام. كان من المستحيل حكي ما سيفعله.

خطا خطوة. أحدثت الألواح صوتا عاليا لدرجة أن كل فرد في المنزل يجب أن يكون قد سمعها واشتبه فيما كان يجري. تراجع خطوة إلى الخلف. تردد مرة أخرى، ثم شيئا فشيئا، ياردة فياردة، تحسس طريقه إلى الأمام بحذر كما لو كان قطعة في اللعبة الأخيرة في نهائي بطولة للشطرنج. طقطقت الألواح الأرضية

مثل المدافع الرشاشة. وبينما يصرّ على أسنانه قرر أن يركض، فلم يعد يبالي بما قد يفكر به أي شخص في الهدف من رحلته الليلية. صرخت مقابض الباب وانتحبت الأبواب.

وصل إلى ظلام المطبخ. عقد ذراعيه أمامه وتحسس طريقه إلى الجدار. لم يكن لديه فكرة عن مكان السرير. حاول تحديد موقعه.

تسائل بهدوء وشك "هل أنت نائمة؟"

أجابت آنا على الفور "كلا،" وكان صوتها مستيقظا بشدة.

تلعثم جانسزي " أنا... اعتقدت، اعتقدت... تعلمين ... يمكن أن تكوني نائمة بالفعل."

وجد السرير. وبجرأة زادت من خوفه جلس على جانب منه. كان هناك بعض الضجيج وبعض الضوء ينتقل من قماش إلى قماش، حركة مترددة.

وقفت الفتاة. وعندئذ عرفت أنها لم تكن مخطئة، عرفت أنه، بشكل لا يصدق، في مكان ما كان هناك صوت في الظلام يسألها حقا ما إذا كانت نائمة.

سألها جانسزي بصوت مختنق "ألا تمانعين؟"

جلست آنا في السرير ببساطة وصدق، كما لو كانت مريضة وفي انتظار الطبيب ليفحصها. لم تفهم الوضع على الإطلاق. كانت قد سمعت قصصا عن السادة الذين يزورون خادماتهم في الليل، حتى قصة الخادمة التي قد تكون حبيبة سيدها والتي قد تنتهي في بعض الأحيان بولادة طفل. كان هناك مثل هذه الفتاة في كاجار والتي اعتدى عليها محام من بست. سمعت الفتيات يتناقلن هذه الواقعة وأكثر من ذلك بكثير. وعلى الرغم من حقيقة أن كل هذه الاغراءات قد حدثت بهذه الطريقة، ملأها شعور غبي بالتعجّب.

سألها جانسزي وهو لازال جاثما على جانب الفراش "هل أنت خائفة؟ إذا كنت خائفة سأعود."
كانت آنا خائفة قليلا، ولكنها شعرت بالإطراء نتيجة رغبة الشاب المهذب فيها، وكان خوفها من ذهابه بعيدا أقوى مما كانت تخشاه أولا .
"كلا."

استلقى جانسزي على حافة السرير الحديدي. وتراجعت الفتاة إلى الحافة الأخرى. كانت هناك مساحة كافية بينهما، ولكنهما كانا بالفعل تحت لحاف مشترك، ذلك اللحاف الصوفي الكستنائي المكشوف والذي اعتبره جانسزي – على الرغم من أنه كان يخص العمة أنجيلا – قذرا للغاية وغير جذاب وهو لائق فقط لمريض بمرض الجدري. أمّا الآن رفع اللحاف حتى أنفه.

كانت حرارة الممنوع تتصاعد. فلقد شعر كما لو كان مصابا بحمى فورية والتي ستتصاعد ألسنة نيرانها. حرّك ساقيه في الظلام بحركة شهوانية متسللة نحو الأعماق المجهولة من فراش الخادمة، وهو يتوقع أن تأتي كل لحظة بشيء قذر أو دموي، شيئا مرعبا، ربما بق الفراش أو ضفدع. داعبت أصابعه المرتعشة غطاء الفراش القطني الخشن.

وعند قدميه تحرّك شيئا: نموذجا أسود. صرخ خائفا "ما هذا!"

صفقت آنا وقالت "دجاجة. اخرجي." وطردت الدجاجة

خارجا والتي قفزت من السرير إلى زاوية في المطبخ حيث نامت وهي واقفة.

اقترب جانسزي أكثر، ولم يكن متسرعا، فكانت أصابعه تتسلل نحوها واحدا تلو الآخر. كان بالكاد قادرا على تحمّل الإثارة. لم يكن هناك حاجة لتوخي الحذر. وضع يده اليسرى على ثدي الفتاة.

سمحت له آنا بفعل ما يحلو له، وبدأ دفء لطيف يزدادا بداخلها. لقد كان الحب. كانت تعلم أنه يحتضنها. ففي القرية كان الأولاد في كثير من الأحيان يمسكون بها ويلامسون ثدييها على سبيل المزحة. لكنها بدأت تضحك وبصوت عال بروح الدعابة. "آه لو يمكنهم رؤيتي!"

"من؟" قالها جانسزي في حالة من الذعر وهو ينتزع ذراعه من على ثدي آنا واعتدل ليستمع إلى الضوضاء على الدرج. فكان هناك شخص يصفق الباب. "ليس عمتي وعمي؟"

"ليس أصحاب السعادة."

"إذا من؟"

"ضحكت آنا من قلبها وقالت "الشابات الصغيرات،" فكانت تثير غيظه وتلاعبه "الشابات الصغيرات من طبقة النبلاء."

تذمّر جانسزي "هم!" وقد أعجبته الفكرة. "بماذا يجب أن أهتم بهم." أدان تكبّره جماعة شاسعة من الخلّان الشغوفين بالموت عند ظهور أقل بادرة. "لا أريدهم. ليسوا هم، ولا شابات طبقة النبلاء. لأنه كان لدي مثل هؤلاء العشّاق من قبل - الأجلّاء وأصحاب المقام الرفيع-" ترجم ذلك إلى

مصطلحات تستطيع الخادمة فهمها. "ليسوا هم من أريد. أريدك أنت. أنت جميلة."

"لما لم تتفضل بقول ذلك هذا الصباح يا سيدي؟"

"لقد لاحظت ذلك إذا. أكان ذلك عندما عدت من المحطة؟ أم عند الغداء؟ هل كان بالفعل عند الإفطار؟"

"لو كنت أخبرتني في الصباح لكنت على الأقل جميلة طوال اليوم."

قال جانسزي مدافعا "كلا،" وهو متأثر بشدة من ذكائها الوعر "لا تقولي ذلك، لا تقوليه." ثم نعق برغبة "أنت جميلة، أقسم أنك كذلك."

علّمته قائلة "هذه خطيئة يا سيدي الشاب."

"لماذا هي خطيئة؟"

"أن تقسّم بهذا الاستخفاف، على حبة فول... "

قرر جانسزي وضع حد لذلك. فتلك المزحة من جانب فلاحة كانت تبدو وكأنها تسخر من رغبته الممتقعة، كان يتوق للصمت، صمت دافئ والذي من شأنه أن يرعاهما حتى يصلا إلى تحقيق الرغبة. فمدّ ذراعيه مرة أخرى ووضعهما على ثدييها. تجنّبته آنا بحركة واحدة.

تودد لها وبرر كلامه في محاولة لوقف ضحكها الساخر "اسمعي يا حبيبتي،لا تضحكين، لا تقولين شيئا. ولا كلمة واحدة. فقط استمعي إليّ يا عزيزتي. لن أؤذيك. أقسم بذلك. أنت جميلة جدا. أنا أحبك. أنت فقط. أحبك أنت." وبعد أن خاطبها رسميا، همس بالضمير الأخير. فهو يدل على الألفة ويبدو أنه ربط هويتهما بشكل وثيق لدرجة أن أشعل رغبته، لدجة أنه عندما كان يتحدث اندفعت موجة حميمة من

الآنفعلات من قمة فمه "أنت، أنت، اهمسي بها. أنت. اهمسي بها أيضا. اهمسي بها لي. أنت...أنت..."

لم تقولها الفتاة. فكانت تفكّر في المسافة الهائلة التي تستطيع تلك الكلمة الصغيرة اجتيازها. أصبحت عينا جانسزي معتادة على الظلام، وأمكنه تمييز أشكال الأشياء: تمكّن من رؤية آنا. تلألأ ثدييها البيضاوان وأضاءا الليل حولها. أمطرها بأسئلة عن محبيها، إذا كان لديها أي منهم وإذا كان الأمر كذلك فمن هم. ظلت آنا لفترة من الوقت تعطي إجابات غامضة ثم توقفت تماما عن الإجابة. فهل طلبه المبكّر جعلها تشعر مؤخرا بالإهانة ولذا قررت أن تصمت؟ فسّر جانسزي صمتها بأنه يعني أنها لا أكثر ولا أقل من كونها تابعة لشخص ما وأنه فقط يحتل المركز الأخير في الصف. اعتقد أن هذا أفضل وقام بتحركات لاصطحابها بالقوة، الآن بالمداهنة، و الآن بالعنف.

تغلّبت آنا بسهولة على تقدماته الحمقاء. عندما حاول جذبها من وسطها دفعته بقوة لدرجة أن الفراش تقريبا قد تهاوى. قالت بطريقة فظة "كلا."

"ولكن لماذا؟"

"لأنه لا يجب أن تقوم بهذا، هذا كل ما في الأمر."

"استمعي إليّ..."

"هل تتفضل بتركي بمفرد. اذهب إلى الشابات الملائمات. وابقى هناك."

هل تصدق ذلك؟ إنها حتى لم تدعوه بسيدي أو سيدي الشاب. كان الأمر وكأنها أمسكت بزمام سيادة فراشها. دفن جانسزي وجهه في غطاء الوسادة، وعضّ أطرافها، وانسابت الدموع والبصاق على وجهه. كانت تستطيع أن تسمع نشيجه المرير. كان يرقد على بطنه.

ثم التفت ذراع فجأة حول عنقه واحتضنته آنا بقوة أشعرته بالألم. لم يستطع التنفس. غرق ببطء في تلك النشوة، وترك نفسه مغمورا في ذلك الدفء الواهن العذب حيث يمكن أن يغرق بعذوبة كما لو كان في حمام من الحليب المحلّى.

كانت قوية بشكل رهيب، تلك الفتاة الريفية، وأرفع مما كان يتصور. وبينما يطوّقها شعر كما لو كانت بدون لحم، عضلات فقط، وأعصاب وعظام: لقد شعر بهيكلها العظمي الضعيف وحوضها والبوتقة، منبع الخلق السري. ارتفعا وسقطا عدة مرات في نمط من الموت والبعث، ثم تحدثا لفترة من الوقت.

وبعد منتصف الليل بقليل توقفت عربة أمام المنزل. ورن أحدهم وفتح الحارس البوّابة. همسا لبعضهما البعض، وتساءلا من هذا الزائر القادم في وقت متأخر. أيا كان من هو فلقد مرّ أمام بابهم وأكمل طريقه إلى الطابق الثاني حيث طرق الباب. سمعا صوت الدكتور موفيسزتر. وبعد بضع دقائق نزل شخصان، وجلس الطبيب في العربة وانطلقا. لقد كانت مكالمة طوارئ، وعند الفجر لاحظ جانسزي الضوء على الجدار المقابل وسأل آنا عمن يعيشون هناك. ثم عاد إلى سريره الخاص، على طول الطريق الذي سلكه في الليلة السابقة.

كانت الشمس لم تشرق بعد. كان قلبه يرقص بسعادة وهو يلقي بنفسه على الأريكة. لقد فعلها أخيرا. كان الأمر لذيذ بشكل مخيف. كان مقتنعا بأن غزوته كانت فريدة من نوعها، أنه لا يوجد في تاريخ العالم من ارتكب خطيئة كتلك التي ارتكبها. ولكن لهذا كان مستمتعا بها، ولم يكن يخجل منها.

يجب أن تكون ايلونكا تاتار لا تزال نائمة. كان والدها ملتح. وفي نهاية كل حفلة كان يأتي دائما ويتحدث بلطف مع الشبان، وكان يترك قطعة من الكعكة. كانت والدتها تراقب الإجراءات

بحرص وتقيس التقدم الذي أحرزته تلك الاجراءات بلمحة من الموافقة أو عدم الموافقة.

ضحك جانسزي بصوت عال. ففي النهاية فهم لماذا كان خائفا جدا من الفتيات، ولماذا كان في غاية السعادة عندما انتهت تلك الطقوس الرسمية للغزل وأنه يمكنه أن يحطّم المنزل ويصفّر طوال الطريق. لكن علاقات هذه الفتاة كانت غريبة تماما بالنسبة له. لقد كانت منفصلة كطير على الشجرة.

وبينما كان يعبر في المنطقة النائية وهو بين اليقظة والنوم كان لا يزال يتعجّب من شيء وهو أن هذا كل ما في الأمر، أن هذا الشأن وهو أهم الشئون البشرية، والذي يحرص البالغون على اخفائه عن الأطفال، هو في حد ذاته طفوليا جدا وكوميدي جدا وكأنه لعبة.

بدأ يومئ برأسه كما لو أن يردد أفكاره، واعتلت وجهه ابتسامة انتصار قبيحة.

(١٣)

الحـــب

كان جانسزي يجلس في القبو المصفّح. وكان البنك قاتما. كان صباحا نموذجيا في المكتب. فبعث رئيس القسم إليه بملف يحتوي على قائمة طويلة من الأرقام والتي تبدو كناطحة سحاب. كانت مهمته هي الإضافة إليها. تسلّق قلمه الرصاص تلك القائمة بصعوبة، من طابق إلى آخر، ثم اختلط العدد عليه وكان عليه أن يبدأ من جديد من بضع طوابق قليلة في الأسفل. وفي النهاية شعر بالملل، ودفعها جانبا وأخذ يحدق من النافذة.

فكّر في فم آنا. فهو لم يقبّل شفتيها حتى الآن. فعندما تلامس وجهيهما المتوهجان أثناء الليل ابتعد جانسزي باشمئزاز من جراء فكرة فم خادمة. أمّا الآن فالأمر يبدو أكثر إثارة من امتلاك جسدها، التحقير من تقبيل تلك الشفاه المتشققة الشاحبة، وإبعادهما عن شفتيه ومنعهما من الاقتراب حتى تتحد الشفاه كلها في نفس واحد، حتى يتم سحقهما واعتصارهما كفاكهة غريبة.

تناول قبعته وتسلل بعيدا.

وجدها في الحمام المظلم، لهث قائلا "ابقي كما أنت"، وقبّلها. كانت القبلة باردة بشكل غريب فلم تشعره بمتعة. فمرارا وتكرارا داهم فمها ودفع بوابات أسنانها للعثور على لسانها الذي كان له طعما حادا غريبا بالنسبة له. فكانت رطوبته مسكرة.

صرخ "المزيد، المزيد والمزيد." فكان كالطفل الذي يلتهم كريمة الفراولة. وبمجرد أن انتهى أراد أن يبدأ من جديد.

أمّا آنا، والتي لم تره منذ أن كانا معا، احمرت خجلا واتكأت على الحوض، وهي تكاد تفقد وعيها من السعادة. فكان يمكن أن يفعل ما يريد معها. أعدت له الكاكاو في الكأس ذو الحواف المذهّبة في الثامنة كالمعتاد وتركته على المقعد: تجرعه وذهب إلى عمله. كان يمكن أن تعتقد أن هذا طبيعي تماما إذا كان قد فشل في التعرّف عليها مرة أخرى بعد لقائهما في منتصف الليل. ولكن فاجأها هذا الوضع الجديد أكثر من الزيارة الليلية الأصلية.

تمتم بمتغيرات الحب المطلقة مرة أخرى "لما لا تقبليني ثانية؟ لما لا تتكلمين؟ أنت لا تحبيني. أنت... وأنا... أنت." عندما ابتعدت شفتاه الراضيتان عن شفتيها، توقف عن التقاط أنفاسه وتركت آنا الغرفة.

"انتظري!"

أمسك جانسزي بها في القاعة وقبّلها مرة أخرى. ومن هناك ذهبا إلى المطبخ. وفي كل مكان كان للقبلة طعما مختلفا.

أمرها قائلا "اذهبي إلى النافذة. هنا في الزاوية. بجانب خزانة الملابس. في الضوء. أريد أن أنظر إليك. وانظري لي أيضا." والتهمها جانسزي بعينين متوحشتين.

العيون هي أبعد المراكز في الدماغ: متمركزة في الأسوار البارزة من الجمجمة، فهي تعتبر في حد ذاتها عضو مستقلا للمراقبة في جهاز المخابرات. وفي مكان ما في حمى الادراك، حيث تدفّق الوجود بذاته في الكون، صنعت العينان ثقبين في الجدران العظمية، وأطلّا من خلال شقوق ضيقة لاكتشاف الغرض من الخلق.

ولكن هذين الزوجين من العيون كانتا مثبتين تماما على بعضهما البعض، يكتشفان ويبحثان ويسعيان معا من أجل التنوير والبركة.

قال جانسزي "و الآن، لن تلمسيني، ولن ألمسك. هذا ما يجب أن تقومي به."

وضع يديه خلف ظهره. أصبحت شفاههم هي نقطة الاتصال الوحيدة بينهما.

أطاعته آنا بسهولة كما لو كان يسألها عن فرشاة أو لبيسة حذاء.

في اليوم التالي لم يذهب إلى البنك. اتصل هاتفيا ليقول أنه مصاب بالتهاب في الحلق. ارتدى قميصه الصوفي الآنيق وسرواله الأبيض الخفيف والذي يزيّنه حزاما جلديا أنيقا وتسكّع في الشقة دون سترته. كان لديهم اليوم بطوله لأنفسهم. ومن آن لآخر كان شخص ما يقرع الجرس ومعه فاتورة والتي تقوم آنا بدفعها، أو يكون معه خطاب ، ولكن على خلاف ذلك لم يتم إزعاجهما.

جاءت آنا ومعها فرشاة ووعاء. ارتدت حجابا فاخرا فبدت جميلة جدا. بدت كممثلة في أوبريت، امرأة لعوب، خادمة مثيرة نموذجية. طلب جانسزي يدها، يدها فقط.

قال "أعطيني يدك."

"لماذا؟"

"فقط أعطيني إياها."بررت ذلك "إنها غير نظيفة"، وبدأت تمسحها في مئزرتها.

أمسك بها على الرغم من ذلك. أمسكها بلطف كما لو كان يمسك بفراشة، داعب راحة يدها والتي لامست أشياءا كثيرة مثيرة للاشمئزاز أثناء تأديتها لواجبها، وأغلقت عليها يده الرقيقة

المدللة وضغطت عليها بشدة. كان هناك شيء في خشونة تلك الأصابع المتقرّحة التي كانت جميلة بدرجة لا توصف. فأخذ كل إصبع على حدة وبدأ يقبّله بارتباك، وهو لا يعلم ما يجب فعله مع وجود رغبته. وفجأة أغلق شفتيه عند يدها.

هتفت الفتاة بتعجّب وغضب "ماذا تفعل؟ ألا يخجل سيدي من نفسه؟ ينبغي أن يتركني وحدي!" انتزعت أصابعها من فمه، ووجنتاها يحمران بخجل شديد، وركضت إلى ملجأها وهو المطبخ، وسيطر عليها الاستياء. كان هذا كثيرا جدا بالنسبة لآنا. فهي لا تفهم.

وفي الليل عندما جاء إليها وهو حافي القدمين وأحدثت الألواح الأرضية صريرا تحته كانت سعيدة ولم تخشى من إظهار ذلك. فكانت قد تركت مساحة له بالفعل في الفراش. فهي لا تستطيع تحمّل تلك الخزعبلات خلال النهار فقط. فهي لم تفهم أن سيدها الشاب كان ينزل من على سلم الرغبة وأنه منذ أن نجح في امتلاكها بشكل كامل كان يحاول انتهاج طرقا مختلفة، كل نهج هو درجة أقل خلال رحلة نزوله من السماء إلى الأرض. كان هناك الكثير مما لم تفهمه آنا.

وبعد القبلات واحتضان اليد حانت اللحظة التي بدأ فيها أن يخاطبها كمرأة مساوية له اجتماعيا. وطلب منها أن تخاطبه بنفس المصلحات وأن تسقط كلمة "سيدي الشاب". كرر اسمها بهدوء وخاطبها بأجمل الإسماء المؤنثة، اسما غزليا مليئا بالوعود المشروطة. فيمكن أن يبقى معها لساعات ولا يقول شيئا غير ذلك. وقبل أن يقبّلها سألها أولا بتواضع عن الإذن بذلك.

أسرته أهواء سخيفة. فكان عليها تغيير ملابسها دائما من أجله. فأولا كان يرسلها خارجا كي ترتدي فستانها المصنوع من

قماش الجبهام لكن كان عليها العودة بقدمين عاريتين. ثم أمرها بارتداء فستانها المصنوع من قماش الكاليكو وحذائها ذو الرباط. لم يرضيه شيئا بشكل كامل. فبمجرد أن طلب منها فعليا ألا ترتدي شيئا سوى المعطف الليلي الخاص بالسيدة فيزي حول جسدها العاري، رفضت ذلك بشدة.

وفي وقت لاحق بدأ يتحدث كثيرا لدرجة أن رأسها قد بدأ يدور. ركع أمامها. اضطجع على الأرض. قال لها عند منتصف الليل، عندما يكون الجميع نائمين، سيتسلل إلى الحديقة وسينام معها حتى الفجر بين أشجار الدردار وشجيرات الليلك، وأنه في المساء سيستئجران عربة ويخرجان من المدينة ويذهبان لحانة في الأرياف لتناول العشاء وسيجعلان النادل يعتقد أنها عروسه، وبعد ذلك سيأخذها إلى أمريكا ويشتري لها حذاء بكعب عال وجوارب حريرية طويلة وتنورة متألقة من التول كتلك التي ترتديها الممثلات، وأنهما سوف يجوبان الطرق السريعة في نيويورك في سيارة كبيرة ورأسها على كتفه. هزت آنا كتفيها فقط وسخرت منه.

في يوم الجمعة أمرها السيد الشاب بإعداد الطاولة لشخصين. عندما أحضرت الدورة الأولى طلب منها أن تأكل معه، أو على الأقل تشاركه في صحنه وتجلس معه وجها لوجه. لم تجلس آنا معه، ولا حتى من أجل العالم أجمع.

استغرق الأمر منه فترة طويلة كانت كافية لإقناعها بأن تأتي إلى أريكته مرة واحدة خلال النهار. فعلت ذلك في اليوم الأخير، يوم السبت بعد الظهر.

أغلق جانسزي جميع المصاريع وأضاء الثريات كما لو كان الليل قد حل. أخذها أولا إلى الحمام ورذذ عطرا على جسدها كله. وقفت الفتاة بشكل رسمي وسط سحابة العطر؛ صرخت

مرة واحدة فقط عندما داعب الرذاذ ثديها وركض ناحية معدتها. ثم ذهبا إلى الصالون وأحاطا كل شبر منها بالقبلات والأحضان. وانتهت رحلتهم الطويلة على الأريكة.

وعند حوالي الساعة السابعة أشعل جانسزي سيجارة. كان يتوق لشيء جديد، تثائب وقال "آنا، أحضري الهاتف." أحضرت الفتاة الهاتف الذي يتبعه ملحقه الممتد لمسافة خمسين قدما كأفعى ضخمة ميتة.

قال جانسزي وهو يرفع السمّاعة بالفعل "شكرا لك، يمكنك الذهاب."

اتصل بجوسزي ايليكس.

"هل هذا أنت؟ ... لطيف منك، يجب أن أقول ... إنك لا تسأل أبدا عن صحتي ... لم أذهب إلى البنك لثلاثة أيام أمّا أنت ... كلا، أيها الرجل العجوز، كلا ... شيء أكبر من ذلك ... سأقص عليك الأمر كله ... كلا، ليس عبر الهاتف ... حسنا، تعال مباشرة إلى هنا ... حسنا ... أنا أنتظرك ... مرحبا، مرحبا ... ماذا؟ ... لا أفهم ... وأنت معي. اغرب عن وجهي."

وضع السمّاعة بقوة وابتسم عندما تذكّر اقتراح صديقه الوقح وشعر أنه راض بإجابته. عدل ملابسه وجلس على البيانو وعزف المعزوفة الوحيدة التي يعرفها، شعبية من نغمة واحدة. دندن الكلمات الانجليزية.

جعلتيني أحبك
لا أريد أن أحبك
جعلتيني أريدك
وأنت طوال الوقت تعرفين ذلك...

كان ايليكس يقرع جرس الباب ولكن جانسزي كان لا يزال يصيح ويطرق على البيانو:

جعلتيني سعيدا
أحيانا جعلتيني مسرورا
ولكن كانت هناك أوقات، عزيزتي،
جعلتيني أشعر بشعور سيء
تسائل صديقه "إذا؟ "لم تكن مريضا؟"
أجاب جانسزي "كلا."
"وفي ضوء ذلك يجب أن أقول أنك تبدو مخيفا جدا."
"حقا؟"
وقف جانسزي أمام المرآة. كانت عيناه محمرّتين، ووجهه شاحب. كان سعيدا. "ربما. فلدي صداع في الواقع."
"صداع، في رأس فارغة كرأسك؟" لم يضيع ايليكس فرصة لإظهار خفة دمه. "ماذا يمكن أن يؤلم في ذلك؟"
"كف عن ذلك، ايليكس، هذا أمر خطير."
"هل وقعت في الحب؟"
وكطريقة للإجابة قام جانسزي بعمل بعض النغمات العالية على البيانو والتي أصدرت ضوضاءا حادة قبيحة.
تسائل ايليكس "آنسة أو متزوجة؟ أين تعرفت عليها؟"
"في متجر للحلويات. في مقهى الجيربود."
"كعكة؟"
"ممثلة."
"آه. أي مسرح؟"
"هنا وهناك. إنها راقصة."
"فهمت. ومتى خدعتها؟"
"ليل الأربعاء. تحدثت معها في حانة صغيرة. لن تصدق، أيها الرجل العجوز! يا لها من قطة متوحشة! يا لها من شيطانة! جاءت معي من آن إلى آخر. في سيارتها. لديها سيارة. نحن

عشاق."

"وأين تلاقيتما؟"

"هنا."

قال ايليكس "امم، " وابتسم بغيرة. أيها البائس، إذا فأحضرتها إلى هنا."

"كل يوم، منذ أن غادر القوم كبيري السن. كل ليلة. وخلال النهار. لقد ذهبت للتو، في هذه الدقيقة. كانت لا تزال هنا عندما اتصلت بك. هنا." وأشار إلى الأريكة.

التقط ايليكس نفسا عميقا. فأمكنه شم رائحة العطر الرقيق ورؤية الغرف المضاءة. فربما لم يكن كل هذا مستبعدا.

"ممتلئة؟"

"رفيعة."

"شقراء؟"

"بني كستنائي."

"ما اسمها؟"

"وتعدني بعدم إخبار أحد؟" تصافحا على ذلك في حين كان جانسزي يفكّر في كذبة كبيرة، لكنه لم يستطع التفكير في أي شيء. تنهّد قائلا "ماريان، ليبي ماريان."

أدرك ايليكس ذلك وقال "حسنا، حسنا، لابد أنها فرصة." ثم حذّر جانسزي قائلا "ولكن من الأفضل أن تكن حريصا، لا تكشف نفسك تماما. فهي تبدو أنها من نوع هستيري."

"أعرف، ولكن يا لها من هيستيريا! فعيناها تدوران عندما أقبّلها. إنها تهذي. وهل تعرف، ايليكس ؟ فقط استمع إلى هذا ... هل تستمع؟ ...

ظل فم جانسزي مفتوحا: وقف كالأبكم. فبينما كان يتحدث دخلت آنا إلى الغرفة، وأعلنت أن الشاي جاهزا. حدّق فيها ثم

في ايليكس الذي أدار ظهره وكان ينظر أيضا إلى الفتاة. توقّع أن ينفجر ايليكس ضاحكا وأن يشير إليها، وأن يتعرّف عليها على الفور من خلال وصفه الدقيق للممثلة. سينكشف كل شيء.

لم يحدث شيء من هذا القبيل. أطفأ ايليكس سيجارته في منفضة السجائر وتبع آنا إلى الطاولة. تضائلت روح جانسزي المعنوية. فسيطر عليه شعور بالبؤس المضجر البشع، كذلك الذي سيطر عليه عندما كان وحيدا.

لم يستطع أبدا التأقلم مع الحزن، ولا حتى لمدة دقيقة، واحتج بشدة على فكرة محاولة فهمه، أو الاستسلام إليه والاستمتاع به. فسيتحوّل إلى أكثر تسلية صناعية. كان كمدمن المورفين: جرعة جديدة فقط ستخفف عنه. وعلى الفور سكب لنفسه خمرا قويا مصنوعا من الكريز، ورفع كأسه مع صديقه وتجرّعه وهو يصفّر. وبعد احتساء الشاي التقط كتابه المفضل وقرأ الباروديا المبتذلة الخاصة بالشعراء ذوي العقليات المتفرّدة.

حاولا بعد ذلك القيام بمزحة عبر الهاتف لكنها لم تلق نجاحا كاملا. لقد اتصلا بصديق مشترك لهما والذي تصادف وجوده خارج المنزل وكان عليهما أن يتصنعان السعادة وهما يتحدثان مع والدته الأرملة. طلبوا منها أن تخبر ابنها أن يحضر في صباح اليوم التالي في الساعة الثامنة لوحدة الأمن السياسي، فسيجد هناك ما يسره.

نظر ايليكس في ساعته، ورغم توسلات جانسزي، غادر المنزل. فهو أيضا على موعد. مع ممثلة أخرى ولا شك.

ظل جانسزي وحيدا وواصل احتساء الخمر وحده. وفي حركة خرقاء اصطدم بزجاجة الخمر التي انسكب منها السائل على البساط الفارسي الأبيض.

قامت آنا بتنظيف البساط، وأزالت رماد السجائر ورتّبت المنزل بوجه عام حيث أن هذان الوغدان تسببا في إحداث فوضى شاملة في المكان.

جلس السيد الشاب مستقيما جدا. فالمشروب لم يؤثر على رأسه رغم أنه كان في حالة سكر بالغة لا تسمح له بالتحدث بصرامة ورزانة. وفي كل الأحوال كان عليه أن يقول شيئا لها. قام من على الطاولة واقترب من آنا بثبات دون أن يتمايل. قال "انظري،" لقد حاول أن يضحكها من خلال الصاق زوج من النظارات الحمراء على أنفه والتحديق في وجهها من خلال قطعة من ورق البرشمان.

لم تضحك، لهثت قائلة "كم ذلك مفزعا! فكم تبدو قبيحا!"

أخرج جانسزي المسدس من جيبه وصوّبه إليها، حدد هدفا وأطلق النار. أخرج المسدس ماءا.

قال مضجرا "هل أخفتك؟" وتبع الفتاة التي تراجعت بعيدا عنه وهي تعقد ذراعيها أمامها. "لا تخافي. إنها مجرد مزحة. تعالي إلى هنا. أريد أن أريك شيئا آخر."

أخرج ورقة نقدية داكنة من محفظته.

"هل سبق أن رأيت واحدا من تلك؟ إنها أمريكية. فاتورة دولار. هل تعرفين ما تساوي؟ ثروة. تلك الورقة النقدية فرنسية. وهذه هولندية. إنها عملة حقيقية."

وعندما وضع العملات ثانية في محفظته شدّ قامته. فلقد شعر كما لو أن رأسه قد امتلأت بالهواء وبعموده الفقري كما لو كان مصنوعا من الزجاج.

قال "أعِدّي الفراش، فسآوى إليه مبكرا. فأصحاب المقام الرفيع سيصلون في الصباح. لا تخبريهم أنني لم أذهب إلى

المكتب. ولا تقولي كلمة واحدة عن السيد ايليكس. سأتولى أنا ذلك."

وعلى مدى الأيام الأربعة الأخيرة كانت آنا قد قامت بكل الوظائف التي طلبت منها. فلقد قامت برتق الكثير من الجوارب وأصلحت العديد من التنورات وجمعتهم في حزمتين منفصلتين. كما قامت بتنظيف الدرج الرئيسي. فكانت مستعدة لعودة سيدتها.

وفي هذه الليلة انتظرت عبثا سيدها الشاب. فلم يزورها. ولكن هذه الليلة دونا عن كل ليلة كانت خائفة من أن تبقى وحيدة. فظلت تتفحص الوجه الأبيض مع النظارة الحمراء. وبشكل ساخر رأت مسدسا مشهرا في وجهها.

وفي الثانية صباحا ارتجت نافذة المطبخ. نهضت وأغلقتها. فلقد هبت رياحا باردة بالخارج. كانت الأشجار تهمس. وفي وقت لاحق سمعت صوت المطر.

(١٤)

شيء شديد المرارة

عندما حلّ المساء كانت السماء لا تزال تمطر. كان مطرا منتظما مستمرا، انتحابا ثابتا في الفناء. وكانت المزاريب تخرج مياه قذرة.

عندما نظرت آنا إلى الخارج رأت أن السماء بأكملها عبارة عن كتلة واحدة من اللون الرمادي. لم يكن هناك أية رقعة زرقاء. اعتقدت أنه كم سيكون من الأفضل أن تمسك بممسحة طويلة وتقوم بتنظيفها كما لو كانت بيتا عنكبوتيا في زاوية الغرفة.

هرعت إلى الأسفل وانتظرت سادتها تحت مظلة متهالكة. دعهم لا يعرفون شيئا، دعهم لا يقولون شيئا من خلال مظهرها، لأنها بالتأكيد سوف تموت من العار. أنزلت حجابها ووضعته حول عينيها.

أمّا آل فيزي، الذين عادوا على متن قطار العشية، فلقد حضروا إلى الشارع في سيارة والتي أنزلتهم أمام المنزل. رأت آنا سيدتها أولا. كانت تميل بالفعل وتصرخ. كانت تريد أن تعرف ما إذا كان المنزل بحالة جيدة. أومأت آنا بأنه كذلك. وهل كان جيدا بالنسبة للسيد الشاب؟ أجابت آنا بعد قليل من التردد نعم، جيدا للغاية، ثم انتظرت كما لو كان لديها المزيد لتقوله.

كان السيد فيزي أول من قفز خارج السيارة. كان يرتدي قبعته الخاصة بالسفر وكان هناك قنينة من الجلد تتدلى حول عنقه. أخذت آنا الحقائب وشقت طريقها إلى الطابق العلوي. فالله يعلم أنها كانت سعيدة للغاية أنهما قد عادا، وأنهم سيعودون إلى نظامهم الروتيني الطبيعي. كانت السيدة فيزي سعيدة أيضا. فالخادمة التي تركتها كانت لا تزال هنا، وقامت بخبز رغيفا حلوا كمفاجأة، وأبقت الشقة في نظام رائع. كان هذا يوافق ما توقعته منها الآن. ومن ناحية أخرى، فلقاء العديد من الشخصيات الجديدة في ظل ظروف غير مألوفة أسفر عن تجارب جديدة، وأمكنها رؤية منزلها بطريقة أكثر وضوحا وموضوعية. لم تستغرق وقتا طويلا في سرد كيف أن الخادمات في إيجر يستقيظن يوميا في الرابعة ويساعدن في الأرض بلا أي أجر عمليا على الإطلاق.

قاموا بإفراغ الحقائب واحتسوا بعضا من الشاي. كانوا يشعرون بقشعريرة طوال الرحلة. كان جانسزي لا يزال نائما. استلقى على الأريكة، شاحبا كالجثة، جفونه نصف مغلقة وفمه مفتوحا.

هطلت الأمطار طوال يوم الأحد وعلى مدار الثلاثة أيام التالية. وفجأة – وبالأحرى مبكرا جدا – أتى الخريف. فأصبح المنزل الصغير في أتيلا أوتكا أصغر وأقرب وأكثر قتامة مما كان. أصبح الهواء أكثر برودة بمقدار كبير. كان الصباح البارد منظما. ونتيجة زيادة أرباح زوجها، اشترت السيدة دروما لنفسها زوج جديد من الكالوشات ومعطفا جديدا. وكان السيد دروما نفسه يصعد ويهبط الدرج وهو يرتدي معطفا انجليزيا شفافا واق من المطر. وكانت السيدة موفيسزتر تذهب إلى تجمعاتها الفنية أو

بروفاتها بأكثر من سيارة. وفي المنزل كانت تتلى الآيات في غرفة الجلوس وهي ترتدي مبذلا متهدلا وتلوّح بذراعيها.

ولم تعد ستيفي وايتال تضيعان الوقت في المعرض. بل كانتا تبعثان ببعض الدفء لجسديهما بالجلوس عند الموقد وكانتا تكتبان رسائل في المساء. وفي لحظات خاطفة تنتزعان المكواة الساخنة وتلوّحان بها وتقوما بعمل دوائر نارية في الظلام. عاش آل فيكسور مثل آكلي الحشرات في كوخهم الحقير بالبدروم. فالمرأة تطهي حساء البيض الخفيف عند الإفطار. ويظهر فيكسور كالشبح في الأروقة الضبابية وهو يرتدي ثوب ساعي البريد الغبي الخاص به، وهو يلعن الشخص الذي ترك باب العلية مفتوحا مرة أخرى. احترق الغليون في فمه فسعل. وكان الحذاء الأصفر الذي اشتهر بمصادرته لنفسه متهالكا بالفعل. تلك كانت نهاية صيف قصير. تجرّد الفقراء ببطء من الملابس، وارتدى الأغنياء المزيد منها.

عمل جانسزي في البنك. وعندما تحرر من الحبس الذي استمر أربعة أيام والذي فرضه على نفسه أخذ نفسا عميقا وهو يخطو إلى الشارع وهو ما يدل على ارتياح حقيقي. فلم يعد يشعر بالراحة في المنزل. ملأته ذكرياته بالعار وكان يتحدث مع نفسه بصوت عال عندما يكون عصبيا. كانت الفتاة لا تطاق. فمنذ زيارة ايليكس في ذلك المساء بدا الأمر برمته غامضا. فـالآن عاد عمه وعمته وفرض النظام القديم نفسه ولم يتمكن من النظر في وجهها، كما كان يشعر بألم جسماني في كل مرة تدخل فيها. وفي الوقت الحاضر لجأ إلى أقاربه وهرب منها.

قضى الكثير من وقته في الشارع يرمق النساء العابرات بنظرات غرامية. تبع كل واحدة خلسة بعينيه وجعلها تتعرى في عقله. أضاع وقته في حفلات آل تاتار وكان يقضي إجازته على

الطريقة الآنجليزية. اختار نادلة في متجر للحلوى. لم يجدها جذّابة لكنه أحضرها إلى أحد الفنادق الهادئة والمتواضعة في بودا والذي كان يسعد باستقبال الضيوف لمدة ساعة أو ساعتين. وبعد النادلة جاءت عارضة أزياء، وتلتها واحدة والتي أسمت نفسها ممثلة والتي سوف يقابلها في سيارة أجرة. كان بالكاد يذهب إلى المنزل لتناول العشاء. وبدلا من ذلك نصّب نفسه وايليكس في نادي الباريسيين حيث كانت هناك طاولة محددة محجوزة لهما.

كان ديكور هذه الحانة المفتتحة حديثا بالأحرى مبهرجا بالنسبة لتلك الأوقات، فكان هناك صفوف من المرايا والثريات المُدلاَّة والأعمدة المجصصة المذهبة. وكان هناك أيضا صراخ مستمر نتيجة لوجود فرقة لموسيقى الجاز والتي كانت ميزتها الكبيرة هي أنها تجعل الفكر والإحساس أيا كان نوعهما مستحيلين تماما. وكان هذا هو بالضبط ما يريده المتردد الآنيق على هذا النادي. لقد كان هاجس رجال الطبقة المتوسطة الأجانب وتجار الأسلحة الناجحين، وضباط الحلف الثلاثي وعاهرات الفئة الأفضل من أرامل جنود الحرب الصغيرات المبتهجات واللاتي كن عرائس الأبطال واللاتي سقطن فريسة للأوقات الصعبة وسعين هنا إلى الامتنان الذي يستحقونه من قبل الأجيال القادمة. كن سعيدات وهن يستمعن إلى الفرقة السوداء التي تنتحب مثل الحيوانات البرية كما كن سعيدات لسماع تقيأها الشجاع المريض والذي أنساهن اشمئزازهن ويأسهن. أصابتهن الموسيقى بالجنون قليلا، ثم رقصن معها.

كان أرضية قاعة الرقص في حد ذاتها شيئا مميزا. فكانت مغطاة بطبقة من الزجاج المضاء من الأسفل بواسطة مصابيح كهربائية وردية اللون والتي كانت مكللة بأنماط زهرية بحيث

بدت الأرض كلها وكأنها حلبة تزلج ساحرة. أمضى جانسزي كل ليلة هنا وكان يبقى حتى وقت الإغلاق. عرفته الفتيات واستولين على السجائر منه وبالأحرى أعجبن به. رقص رقصة الخطوة الواحدة مع مجموعة معينة من ذوي الأناقة الرسمية. كان يمكن رؤيته عادة وهو يدور وسط الدخان ويتشبث بإمرأة ووجهه الشاحب مائلا نحو الأرض مفتونا بالحذاء المطلي الرائع الذي يتزلج عبر الزجاج.

كان الفجر يحل قبل وصوله إلى المنزل. أدار المفتاح ببطء في القفل. خلع حذاءه في القاعة وتسلل إلى أريكته وهو يرتدي جواربه حتى لا يوقظ آل فيزي. كانت آنا دائما تشعر به. كانت لا تستطيع النوم حتى تسمع صوت خطى السيد الشاب في غرفة الجلوس. كانت تنتظره كل ليلة. وخلال اليوم أيضا، باستمرار. انتظرته، انتظرت شيئا ليحدث. ربما بالنسبة له فقط أن يقول بعض الكلمات الرقيقة لها، أن يبتسم في وجهها، أو عندما لا يكون هناك شيء آخر، أن يطلب منها شيئا. ولم يقل جانسزي شيئا. كان متجهما وفي عجلة من أمره. فبالطبع، لا بد أن يكون غاضبا منها.

ولكنها الآن كانت آنا تولي نفسها مزيدا من الاهتمام من أجله. فكانت تمشّط شعرها مرات عديدة خلال اليوم وكانت من آن إلى آخر تحدّق في المرآة وترتدى أفضل ملابسها، وهو فستانها المصنوع من قماش الجبهام، حتى وهي تعمل.

وبحلول نوفمبر كانت الليالي قد أصبحت أطول. كان صياح القطارات في المحطة الجنوبية يمكن سماعه بوضوح. كما كان يمكن سماع أنين محرك طائش بين الحين والآخر في الظلام، والذي يكون مؤثرا ومحزنا كأنين طفل.

ذهبت السيدة فيزي إلى الكنيسة يوم الأحد. كما غادر السيد فيزي في وقت مبكر جدا. استيقظ السيد الشاب في وقت متأخر. كان يعد سرواله أمام خزانة الملابس. فتحت آنا النوافذ حتى يمكن أن تبدأ في التنظيف. وعندما تجاوزت خزانة الملابس استجمعت شجاعتها وتحدثت معه.

"عفوا، سيدي ..."

"ماذا هناك؟"

"رجاء اغفر لي ..."

انفجرت باكية. بكت بصمت ولكن في مثل هذا الحزن ارتعش جسدها كله. حدق جانسزي في وجهها. ولفترة من الوقت لم يجد من الكلمات ما يقوله لها. هل من الممكن أن يكون قد أحبها، أن يكون في حالة حب مع تلك؟ مسحت دموعها بمفاصل أصابعها، وانخنخت وكان أنفها محمرا كأنف فلاح مخمور. كانت تعقد وشاحا طويلا حول خصرها والذي جلب رائحة خريفية رطبة داخل المنزل كتلك التي كان سيجلبها كلب ضال. كانت الرياح تصفّر من خلال النافذة المفتوحة وكانت دموع آنا تنهمر كالمطر والتي ظلت تتساقط. كما كانت تتمتم أيضا، على الرغم من أنه يتمكن إلا من تمييز كلمة واحدة: "... العار ... العار ..."

قال جانسزي "هذا مستحيل، مستحيل تماما. غير وارد على الإطلاق."

"ولكنه حقيقي ..."

توسّل إليها قائلا "توقفي عن البكاء. من فضلك توقفي عن البكاء"، وتوقف عن إغلاق أذنيه حتى لا يسمع بكائها كما فعل قبل ذلك مع ضحكها.

"لو فقط تتوقفي عن البكاء ..."

"أوه، سيدي ..."

"كوني هادئة. هذه ليست طريقة للنقاش. هلا توقفت! حسنا. إذا. فأول شيء هو: أن هذا ليس مؤكدا على أي حال. ليس مؤكدا على الإطلاق. لا بد من الآنتظار."

ارتجف باشمئزاز بسبب اضطراره لمناقشة أمور من هذا القبيل معها بتلك المودّة المروّعة.

كرر قائلا "وعلى أي حال يجب على المرء أن ينتظر." وهزّ كتفيه. فلم يصدّق هذا كليا. فقد تكون تحاول ابتزازه. ومع ذلك فمنذ ذلك الحين اهتم بالسؤال عنها كل صباح. وكانت آنا تهز رأسها فقط.

وفي نادي الباريسيين تحدّث جانسزي مع ايليكس في موضوع يخص ممثلة معينة. بدأ كلامه وهو يتكأ على كرسيه ذو الذراعيين "انظر، أيها الرجل العجوز، أنا في ورطة يا صديقي، ورطة كبيرة."

أجاب ايليكس ومال إلى الأمام ليهمس في أذنه "أهذا كل شيء؟"

"هل أنت متأكد؟"

"متأكد. لقد استخدمنا الطريقة مرة وأخرى."

وفي تلك الليلة وقف جانسزي بجانب سرير آنا.

"في حوض القدم. مع كثير من الماء الساخن، ساخنا لدرجة تمكّنك من تحمّله."

لقد جعلت الفتاة الماء ساخنا لدرجة تكفي لنزع ريش دجاجة وسلقها. أدلت قدميها في الوعاء وصفّرت من الألم.

سألها جانسزي بعد بضعة أيام "أكل شيء على ما يرام؟". ومرة أخرى، هزت آنا رأسها فقط.

غمغم جانسزي "شيء لا يصدق، لا يصدق حقا" وعضّ أصابعه.

كان في مأزق حقيقي، من قمة رأسه حتى أخمص قدميه. إنه حظه فقط! يا له من عمل مثير للاشمئزاز، ويا لها من فضيحة في الربيع المقبل.

اقترح ايليكس له اسم طبيب نساء، شخص كان متعاطفا بصفة خاصة مع الفنون، وتحديدا مع الممثلات. اعتقد جانسزي أنها فكرة طيبة أن يقوم بترتيب موعد لممثلته. قدّمه صديقه إلى صيدلي ودّي والذي يكسب رزقه حاليا من خلال تهريب الحرير من فيينا وتهريب الأسلحة المجرية إلى تشيكوسلوفاكيا. لقد أعطى جانسزي شيئا.

انتظر جانسزي لحظة ملائمة عندما خرجت عمته إلى الممر. همس إليها في عجل "هاهو."

"ما هذا؟"

"دواء". ووضع أربعة أكياس صغيرة من المسحوق في يدها. وأكّد قائلا "اخفيهم بعيدا" وذلك عندما بدأت تتفحص تلك الأكياس الورقية الصغيرة. "تناوليهم."

"هل يجب ابتلاع هذه؟"

"أنت لا تفهمين. الدواء في تلك الأكياس. افتحيها، وقومي بإذابة المسحوق في الماء واشربيه."

" الآن؟"

"قبل أن تخلدي إلى النوم. وبحلول الصباح يكون الدواء قد أتى بمفعوله. ولكن لا تدعي أحد يراه. لأنه غير قانوني. لو وجدوه يمكن أن يضعوك في السجن."

"ولكن بعد ذلك ربما لا ينبغي أن أتناوله يا سيدي؟"

"هراء. بالطبع يجب أن تتناوليه، ولكن لا تقولي شيئا لأحد. كوني حذرة."

قامت آنا بما وصّاها به. فعندما أصبحت الشقة مظلمة فتحت الأكياس التي كانت تحتوي على المسحوق الأبيض الذي يشبه الدقيق الناعم. تشممته. ولم يكن له رائحة.

أفرغت محتويات الأربعة أكياس في كوب من الماء. لكنها كانت خائفة جدا من احتسائه في المطبخ. ذهبت إلى دورة المياه. ثم أغلقت عينيها وتجرعت الكوب مرة واحدة.

عزيزي يسوع، كم كان مريرا، يا والدة الرب، يا والدة الرب المباركة، كم هو مرير. هي لم تتذوق أبدا في حياتها شيئا شديد المرارة والذي وصل إلى ذروة مرارته بمجرد أن ذهبت إلى غرفتها واستلقت على السرير. فمرارته الكريهة أحرقت سقف فمها وحلقها. السم فقط هو ما يمكن أن يكون في غاية المرارة. رفعت يدها إلى فمها ولامست لسانها بأصابعها كي تلمس المرارة، واندهشت أن يكون هناك شيئا بهذه المرارة والتي غمرت كل شعرة من رأسها على حدة.

نامت آنا حتى الساعة الواحدة أو ربما أكثر من ذلك. فتحت عينيها بشدة وحدّقت في النافذة. كان الضوء البرتقالي الساطع على الجدار المقابل يتنقّل بسرعة لدرجة أنها شردت بذهنها وهي متعجّبة. هل كانوا يقرعون الأجراس في مكان ما؟ لقد سمعت دوي الأجراس البعيدة والتي صمتت بعد ذلك، مع التذمر الشدي الذي كان يقترب أكثر وأكثر. قامت من الفراش لتعرف لماذا يقرعون الأجراس في هذه الساعة.

ثم دخل شخص ما، في صورة ضخمة، لم تر شخصا بمثل هذه الضخامة من قبل. كيف تمكّنوا من الدخول والباب مغلق؟ وقف الشبح عند فراشها كالحصان.

حس-حسنا، ماذا بك؟ يمكنك البقاء حيث أنت. والدي، والدي العزيز. الق نظرة. كانت رأسه كقطعة من لحم الخنزير. لن يضرها. فسوف يجلس فقط على المقعد، كالمكنسة. إنه مجنون. سيذهب بعيدا. .

ينبغي أن أقوم بالتنظيف على أي حال. فالمكان مليء بالقاذورات. سأفتح هذا الدرج، و- هل تصدق ذلك؟ - إنه مليء بالدخن.

آه يا صاحبة المقام الرفيع، كم أفزعتيني. ظننت أنك ستسقطين عند الجدار.

ماذا تفعل هنا؟ اذهب الى الجحيم ، أيها الأحمق. سأحرق الأومليت، ستجف المياه في المقلاة. دعني.

تسائلت السيدة فيزي "ما الأمر؟" وهي تنحني نحوها. "هل أنت مريضة؟"

نامت آنا بسرعة وأمكنها بالكاد سماع صوت تنفسها. هزتها "آنا، آنا. هل تسمعيني؟"

تقلّبت الفتاة.

"إنها مريضة" هكذا ظنت السيدة فيزي. لامست جبينها. كان باردا جدا. وكانت يديها وقدميها كقطع من الثلج.

تسائلت "هل ستموت عندنا؟". ركضت إلى الطبيب. كان موفيسزتر خارج المنزل لتلقيه مكالمة طوارئ وسيعود في الوقت المحدد فقط من أجل عملية جراحية.

وفي الوقت الراهن أعطت الفتاة كوبا من الشاي محلى بالسكر ونصحتها باحتسائه، فسيشعرها بالدفء. تحرّكت آنا وأشارت إلى شيء ما. طلبت من السيدة فيزي إشعال الضوء.

تسائلت السيدة فيزي "لماذا؟ " ثم قالت مذعورة "إننا في الصباح. في الثامنة والنصف صباحا."

لوحت آنا بذراعيها حولها في رعب ثم رفعت يديها أمام عينيها. إنها لا تستطيع رؤية أي شيء. فالعالم كله أصبح أسود: لقد أصبحت ضريرة.

سقطت مرة أخرى نائمة ولم تستيقظ إلا عندما وصل السادة إلى البيت وبدأوا في تناول وجبتهم.

كانت السيدة فيزي تشكو أن هذا هو كل ما تحتاجه، فتاة مريضة بين يديها، عندما ظهرت آنا في غرفة الطعام وهي تحمل صينية.

استفسرت منها السيدة فيزي "هل تشعرين بتحسن؟"

تمكّنت آنا من رؤية كل شيء الآن لكنها كانت لا تسمع. كانت تتمكن فقط من رؤية أفواههم وهي تتحرك.

قالت السيدة فيزي "يجب أن تكون قد أصيبت بالبرد."

وافق جانسزي قائلا "بالطبع، إنه برد."

قالت السيدة فيزي والقلق يعتريها "على أي حال، سأتصل بالطبيب في الأسفل."

قال السيد فيزي "كما ترين، ولكنك تعلمين ماهية فتيات الأرياف."

أضاف جانسزي "نعم، وعلى أي حال فهي أفضل."

وبحلول المساء كانت آنا أفضل بكثير لدرجة أنها طلبت بنفسها منهم عدم إزعاج الطبيب.

ظلت لأيام تعاني من ضعف البصر كما كانت أذنيها تقرعان. فذات مرة لم تستطع رؤية صندوق الثلج، وذات مرة سقطت منها ملعقة فضية ولم تسمع صوت رنينها. كما شعرت أيضا بضغط كبير على قلبها، تماما كما شعرت في تلك الليلة: شعرت أنها صغيرة جدا وكل ما حولها كبير جدا.

سألتها السيدة فيزي "ربما أجهدت معدتك. حاولي أن تتذكري. ماذا تناولت؟ يجب أن تكوني قد تناولت الكثير من شيء تحبينه."

وفي أحد الأيام عندما لم يكن هناك أحد جاء إليها جانسزي وسألها هل هي على ما يرام.

"نعم."

"أرايت. لقد أخبرتك بهذا."

أجابت آنا بابتسامة مريضة باهتة "لقد كان طعمه فقط شديد المرارة. شديد المرارة بشكل رهيب."

"شديد المرارة؟" كررها السيد الشاب. "كل الأدوية مرّة. فالشيء المهم هو الشفاء وأن تأتي تلك الأدوية بمفعولها. حسنا، إلى اللقاء."

ولكنه كان قد ضاق ذرعا بهذا الأمر، وبآل فيزي أيضا الذين يضايقونه دائما بسبب عودته ليلا في أوقات متأخرة. تولى بنفسه مسألة إيجاد سكن له. عرض بطاقة دعوة الوزير على مكتب الإسكان وطلب نقله إلى غرفة في مارفاني اوتكا والتي كان قد وعد ب الآنتقال إليها قبل أسبوعين. وفي غضون ثمانية وأربعين ساعة أصبحت الغرفة مخصصة له.

كانت الغرفة في الطابق الثالث، ليست كبيرة بصورة ملحوظة، لكنها تطل على الشارع - والأهم من ذلك - كان لها مدخلها الخاص. وفي ذلك اليوم جمع متعلقاته، وقبّل العمة أنجيلا والعم كورنيل، ولم يعد حتى في المساء.

جلس جانسزي في غرفته الجديدة وهو يرتدي معطفه المصنوع من فراء القندس. كان يتحدث إلى ايليكس. كان هناك حلقة عند الباب. أحضرت آنا متعلقاته ووضعتها أرضا.

قال السيد الشاب "شكرا لكي يا آنا." وأعطاها ورقة تساوي مائة كرونة في يدها. رافقها حتى الباب وطلب منها الآنتظار للحظة. وضع يده في جيبه وأخذ شيئا منه وأعطاه لها. "هذا لكي أيضا."

توقفت آنا في الشارع لترى ما هذا. ففي الحقيبة الورقية كان هناك بعض المكسرات المحمصة، كانت صغيرة ومحترقة وسوداء اللون، لكنها لا تزال مكسرات مجرية دافئة.

فهي مقتنعة الآن أن السيد الشاب لم يعد غاضبا منها.

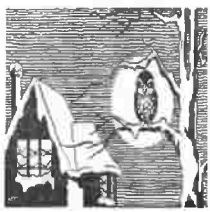

(١٥)
الشتـــاء

بدأ الرومانيون أيضا التعبئة في شهر نوفمبر. فلقد وصلت طليعة الجيش الوطني إلى نهر الدانوب في الساعة الثامنة من صباح يوم الجمعة ١٤ نوفمبر، ١٩١٩. كانت بست لا تزال تدار رسميا من قبل الشرطة العسكرية عندما قامت القبعات المزينة بريش النسور التابعة لسلاح الفرسان في هورثي بإسقاط أتيلا أوتكا وسطعت خوذات قوات المكافحة النظامية لامعة في ضوء الشمس في بودابست.

تجمّع الجميع للنظر من النوافذ، ولوّحوا بالمناديل في وجه الفتيان البدناء وقصار القامة الذين يعيشون في الأراضي المنخفضة والذين يسيرون بخطوات صارمة. وعلى الجانب الآخر من النهر سارع الناس إلى شرفات منازلهم وهم يمسكون بالتلسكوبات، آملين في اختطاف نظرة على جنود الطليعة.

ولأيام واصلت عربات هذا الجيش التي تحمل معدات الحرب إحداث ضجة في الطرق الرئيسية المدارية. وتردد صوت البوق القديم مرة أخرى؛ ففي التاسعة ليلا تبدأ النداءات عند الثكنات في فردیناند لاستدعاء جنود الوطن الفقراء. كان صباح الثامن عشر من نوفمبر ضبابيا كريها، وكان الجزء الأحمر من

قرص الشمس يحلق منخفضا في السماء القطبية ترافقه الأجراس وصفوف الأساقفة المكتظة، وكان القائد الأعلى بنفسه يمتطي جوادا في فيهيرفاري اوت. كان كورنيل فيزي هناك أيضا مرتديا قبعة عالية، وسط وفد من الخدم المدنيين. وكانت السيدة فيزي جزءا من وفد السيدات البرلمانيات اللاتي يوزعن الزهور وشرائط ثلاثية الألوان ملفوفة في قصاصات من الأوشحة الجنائزية.

كانت آنا تعمل بمفردها. وكان البيت فارغا وصامتا. لم يكن هناك صوت ليسمع. اتكأت على شرفة وهزت قماش التنظيف الخاص بها خارج الشرفة، ثم دخلت وكأنها تبحث عن شيء ثم خرجت مرة أخرى. وعندما كانت تقوم بتجديد هواء الشقة، واصلت رائحة دورات المياه اللطيفة التحليق في النسيم وشقت طريقها باتجاه كل قطعة أثاث .

قالت السيدة فيزي لزوجها وهما يستلقيان في غرفة الجلوس بعد عودتهم "هل يمكنك أن تسمعها؟ إنها تغني."

كانت آنا تدندن بأغنية قصيرة مرحة: "فى ليل الجمعة، في ليل السبت، سأخرج لمقابلة حبيبي تحت ضوء القمر الخافت .. "

علّقت السيدة فيزي "هذا غير عادي، إنها لم تكن تغني من قبل."

"وماذا في ذلك؟ إن مزاجها جيدا. هل تفضلين أن تبكي؟"

في صباح أحد الأيام كانت آنا تقطّع بعضا من اللحم على الطاولة. وكان هناك شهقة حادة.

لهثت السيدة فيزي والتي كانت تجلس في الجوار "ماذا حدث؟"

"لقد جرحت نفسي."

غطت الدماء يدها. فالسكين، سكين المطبخ الكبير، قد انزلق منها وجرح إبهامها مباشرة حتى العظام مما جعلها تشعر بألم رهيب في مفصلها. كان جرحا غائرا بشعا.

"لما لم تكوني أكثر حذرا؟"

"برجاء نسيان الأمر. سيكون على ما يرام."

غسلت إبهامها في الحوض، ووضعت الكثير من ملح الطعام وربطته بقصاصة من القماش والتي غرقت على الفور بالدماء.

أرسلوا بها إلى الطبيب الذي دهن الجرح ببعض المرهم كريه الرائحة، ووضع عليه ضمادة مناسبة، وداعب خدها، وأخبرها أنه سيلتئم حينما ستتزوج. كان الطبيب رجلا طيبا للغاية ومرهف الحس.

وتبع ذلك شتاء قارس. كان هناك صقيع رهيب وضباب كثيف لدرجة لا تمكنك من رؤية خطوتين أمامك. كانت السماء مليئة بالغربان. ثم جاءت الثلوج التي دفنت الشوارع؛ وتوقّف الترام، وحتى خدمة الحافلات عبر لانشيد، جسر السلسلة، قد علّقت. كانت الثلوج تهطل باستمرار. كان الشرطي البدين يوقظ النظراء المحليين عند بزوغ الفجر ويأمرهم أن ينظّفوا الأرصفة، ويهدد بالإبلاغ عنهم لو لم يفعلوا ذلك. وفي الخامسة صباحا والجميع نيام كانت آنا تخرج مرتدية فستانها المصنوع من الجبهام، وهو الشيء الوحيد الذي ترتديه في هذه الأيام، تحدّق في الثلوج الأرجوانية اللون الساقطة حولها. كان هناك صمت مطبق حولها. فالعصافير تقفز من غصن إلى آخر. كانت آنا تقوم بتكسير الجليد بفأس وتضع الثلوج في مجرفة وتنظّف الطريق.

لم يكن هناك أحد في الشوارع في ذلك الوقت. وفي الثامنة كان الموظفون يسيرون بتمهل بإتجاه أماكن عملهم في فار

والسيجار في أفواههم. كان موفيسزتر أيضا ينزل الدرج متمهلا وهو يرتدى قبعة الشتاء ذات الجنيحين المخصصين للأذنين والمربوطتين بإحكام حول أذنيه الحساستين. وفي بعض الأحيان كان يتوقف عند البوابة ويسألها عن حالها، ويتناول إبهامها المؤلم في راحة يده ويفحص الضمادة المتسخة ويخبر آنا أنها بحاجة إلى التغيير.

فكلما عملت في ذلك الشتاء كلما واصلت مساحة الجرح الازدياد وتألمت يدها وتجمدت وازداد أثر الجرح في يدها، كما استقر غبار الفحم في الشقوق الموجودة ببشرتها. كل النساء تفقدن جزءا من جمالهن في فصل الشتاء، ولكن الخادمات يزددن قبحا وسيصبح من الصعب التعرف عليهن وهن يرتدين الخرق الخاصة بهن بعد رؤيتهن عندما كان الطقس لطيفا. وأصبحت آنا أيضا عادية. كان شعرها يتساقط. ففي كل مرة تقوم فيها بتمشيط شعرها كانت المزيد والمزيد من العقد تبقى بين أسنانها. كانت لا تريد أن يراها الناس.

لأول مرة بدأت تشعر بالإرهاق، إرهاقا حادا للغاية بحيث أنها عندما تنتهي من عملها ليلا لا تستطيع تحمل الاستلقاء على الفور ولكن تظل تسير وهي تحرّك ذراعيها وتهز كتفيها، تظل تتجول صعودا وهبوطا في الممر وداخل وخارج الغرف المتعددة. وذات مرة سألتها السيدة فيزي عما تفعله في الظلام. ارتجفت آنا. فهي لم تكن تعرف ما كانت تفعله هناك، أو حتى ماذا بها.

فلم يعد السيد الشاب يأكل معهم، على الرغم من أنهم كانوا يدعونه كثيرا كي يحضر متى أراد، وخاصة أيام الأحد والأعياد الرسمية الأخرى. لم يأت إلا مرة واحدة. وبعد فترة لمحته

آنا في نافذة مقهى: كان معه عصا طويلة في يده وكان يتكأ على منضدة خضراء. وتلك كانت آخر مرة شاهدته فيها.

وكلما مرت الأيام ازداد شيئا ما بداخلها مخدرا وغير مباليا. لقد نست كل ما حدث. إلا أن معاناتها استمرت. وعلى الرغم من أنها نست كل شيء شعرت بخسارته. كانت كالحيوان الذي يعيش في الحاضر الأبدي، كلب جائع لا يعرف تماما ما الذي يؤرقه ولكنه لا يزال يتجول ويعود إلى وعاءه الفارغ، ويتشمم حافته، وعندما يرى أنه فارغ، يعود مكتئبا لشرذمة الكلاب التابع لها، ملقيا نظرة عرضية إلى الوراء.

وذات ليلة كانت تتجول خاوية اليدين والدوار يسيطر عليها قبل مدخل العلية.

قالت ستيفي "ادخلي للحظة. أريد أن أريكي شيئا."

أحضرت ثوبا ورديا، ثوبا ورديا جميلا والذي كانت صنعته لنفسها. أفشت السر ووجنتيها محمرتان من الإثارة: سيكون هناك حفلة راقصة قريبا، حفلة سيقوم فيها نحو مائة زوج بأداء الرقصة الدائرية المجرية أمام النبلاء المجتمعين. ستكون جميع الفتيات من ذوات الأصول، بنات المحامين والأطباء، ولقد أدرجت بينهم، لذا كان عليها الآن حضور دروس الرقص مع مدرب صارم للغاية. هذه الصدفة الحسنة وقعت في طريقها بسبب تودد أحد الحرس لها، وهو شاب صارم طويل القامة من النوع الذي يحترمه المجتمع كله، والذي اختارها لتكون شريكته.

استمعت آنا إليها، فكانت ستيفي سعيدة بوجود جمهور لها أخيرا. وبعد هذا كانت تدعو آنا كثيرا للصعود عندها، وكانت تقترح الذهاب معها إلى السينما، فسيكون هذا جيدا وستدفع ستيفي ثمن التذاكر لهما معا. تلعثمت آنا وترددت وقالت أنها ليس لديها ما تلبسه، ولكن في النهاية استسلمت

للإغراء. وكانت هذه هي المرة الأولى التي تشاهد فيها فيلما. انطلقت السيارات عبر الشاشة وسقط شخص ما في بركة وقبّل الكونت والكونتيسة بعضهما البعض فى الحديقة. تحدثت ستيفي عن حارسها الذي كان يلاحقها باستمرار لكنها أبقته على مبعدة. "دعيه يعاني. فلا يؤذي ذلك الرجال، الوحوش." وفي غضون ذلك شرحت الفيلم. أسرها ممثل نحيل والذي كلما ظهر لمست ذراع آنا. "انظري، هذا هو النوع الذي يروق لي. طويل القامة وشاحب. ما النوع الذي يروق لكي؟"

لم تعرف آنا بما تجيب عليها، إنها حتى لم تفهم ما الذي كانت تقصده ستيفي. على أي حال، لقد أربكتها الصور المتحركة والأشخاص في صالة العرض. شكرت آنا ستيفي على تلك النزهة القصيرة ولكنها لم تذهب مرة أخرى. فلم يكن لديها وقت على أي حال.

فلقد قضت اليوم بأكمله عمليا في إشعال المداخن. كان لديهم الكثير من المتاعب بشأن التدفئة. فكانت مداخن الشقة تتدهور من يوم لآخر. بدأت آنا في إشعالها بمجرد انتهاءها من جرف الثلوج بعيدا. أضاءت شمعة وتعثرت وهي تنزل إلى القبو الذي كان عميقا؛ فلقد زحفت الرطوبة على الجدران وسيطر عليها الدفء القديم. ملأت دلوين بالفحم ولم تجرؤ على النظر حولها. لقد كانت الفئران هنا بعد أن شقت نفقا من الشارع، كانت تصرصر من خلف أكوام الخشب فشعرت آنا بالرعب. كان من المفترض أن تكون غرفة الطعام دافئة من أجل وجبة الافطار. وضعت الفحم كله في المدخنة وأشعلت النار فيه ولوحت بمئزرها لكن النار ومضت فقط وملأت الشقة بالدخان الخانق. وكان هذا اليوم المبارك يتكرر في كل غرفة.

وكانت السيدة فيزي غالبا ما تمر. "لما لم تستدعي كاسح المدخنة؟"

"لقد كان هنا بالأمس."

"السيد باتوري!"

"نعم."

"إذا فهو خطأك. فأنت لا تستخدمين ما يكفي من المادة الحارقة."

السيد باتوري – أرباد باتوري، خادم شجاع ولديه ثلاثة أسماء – يعيش في الاتجاه المقابل ويقوم بعمل كسح المداخن في حي كريسزتينا. كان زائر منتظما للشقة، فكان يقوم يقوم بإزالة النفايات التي تسد المداخن وينظفها. وفي اليوم التالي يعيد الكرّة ثانية: الكثير من الدخان بدون نار.

وفي إحدى المناسبات عندما كانت سيدتها خارج المنزل، تولّت آنا زمام المبادرة بنفسها ودعته. فجاء على الفور.

"ما المشكلة الآن يا آني؟"

"لا أستطيع إشعالها."

"حسنا، سنصلح ذلك على الفور."

أسند سلّمه على الجدار، وألقى بخفّه جانبا وتفحّص المدخنة المقزز وهو حافي القدمين.

اشتكت آنا "لقد قضيت عمرا في ذلك."

هزّ كاسح المدخنة رأسه قائلا "سيئة للغاية، سيئة للغاية." تعاطف معها باعتبارها عاملة لكنه لم يبد اهتماما أكثر بها: فلقد صبّ تركيزه كليا على المدخنة. هزّ القضيب وأحدث ثقبا في البطانة وفي قمة انشغاله أدخل رأسه عمليا داخل المدخنة.

قالت آنا "لازال الهواء يدخل ثانية."

صاح فجأة "انتظري دقيقة، أين مفتاح العلية؟"

وفي طرفة عين كان السيد باتوري على سطح المنزل المغطّى بالثلوج وكان يشق طريقه بمهارة وقوة حتى وصل إلى الحافة. كان كالقط. وقف بجانب المدخنة ومعه مكسحته. اختلط سواد المدخنة بلونه الأبيض فبدا أشبه بالقط توم الأسود. ولّى مصراع التهوية اهتمامه. كانت آنا تراقبه من الفناء. وبعد برهة كان ينزل من على درجات العلية.

سألته "ألم تكن خائفا في الأعلى هناك؟ "

"ما الذي يثير الخوف هناك؟"

عادا ثانية إلى الشقة. وكانت آنا تريد إشعال النار مرة أخرى.

نصحها قائلا "اتركيها." اتجه بيديه الكبيرتين نحو المدخنة التي لازالت ساخنة، وأفرغها وأشعلها بنفسه بواسطة ورقة من جريدة.

جلسا القرفصاء وشاهدا ألسنة اللهب وهي تلتهم جدار المدخنة كما رأيا وابلا من الشرر وهو يتطاير ويطقطق.

قال السيد باتوري وهو يقف "ستشتعل بلا مشاكل." انتظرا تأجج المادة الحارقة قبل أن يضع بعضا من الفحم عليها. كان يعرف بالضبط الكمية التي توضع حتى لا تسبب دخانا خانقا. وبعد بضع دقائق تمكّنوا من سماع صوت الفحم والنار تلتهمه وتقضي عليه. قاما بتدفئة أيديهما عند المدخنة وانساب الهواء الدافئ من المدخنة. ثم بدأ الباب الحديدي في التوهج.

ضحك السيد باتوري "حسنا،" وبدت أسنانه ناصعة متناقضة مع وجهه الداكن. "ماذا قلت؟"

"شكرا لك."

"إنه من دواعي سروري، آنسة آني. في أي وقت. استدعيني كلما كنت في حاجة لي."

كانت المداخن الثلاثة في شقة آل فيزي تفرغ دخانها بمرح في السماء الكبريتية الصفراء. وفي كثير من الأحيان كان السيد باتوري يسأل إذا كان كل شيء على ما يرام.

"هل تحترق؟"

"إنها تحترق."

"هذا جيد. ينبغي أن تحترق."

في يوم الأربعاء هطلت أمطار غزيرة على المدينة وهبت الرياح واهتز المنزل. هاجمت العاصفة حقل فيرميزو بالخارج كالبالاتون في فصل الشتاء عندما لا يستطيع المرء أن يرى الشاطئ.

ذهبت السيدة إلى جلسات الروحانيات. وأدفأت آنا نفسها بالنار واستمعت إلى العاصفة. كان الجمر الذهبي في حالة هرج ومرج وسط وابل الماس. حدّق باب المدخنة الحديدي في وجهها بعيونه الخمسة الحمراء.

طرق شخص ما الباب بهدوء في الخارج. عندما فتحت آنا الباب وجدت كاسح المدخنة.

همست "لقد أفزعتني!"

"أنا؟"

"نعم."

"لماذا؟"

"أنت شديد السواد."

وقف كاسح المدخنة في الممر في سرواله الأسود وحزامه، وكان يحمل مجرفة سوداء على كتفه كما كان هناك حبل أسود في يده.

هتفت آنا وهي نصف خائفة، ويعتلى شفتيها شبح ابتسامة "كيف يمكن أن تصبح أسودا إلى هذا الحد؟ إنك تبدوكالشيطان."
قال السيد باتوري مازحا "تعالي الآن، لسنا فاسدين للغاية."

خطا إلى الداخل وقعقعت سلسلته في الضوء الخافت.
سألها "ألا يوجد أحد بالمنزل؟" اتجه نحو ضوء المطبخ. كانت عيونه زرقاء كبيرة، كبيرة جدا بصورة غير محتملة، فكان كالممثل الذي يضع مكياجا.
"ماذا تفعلين؟"
"كنت سأخبز بعض قوالب الخبز. وأنت؟"
"أعتقد أنني سأدخل." ولكنه ظل واقفا عند باب المطبخ.
تناولت آنا صينية ووضعت فيها خميرة وزبد وسكر وملح.
ثم سكبت لبنا دافئا ورشت طحينا عليهم. بدأت في مزج هذا الخليط. شاهدها كاسح المدخنة وهي تعمل. ظل يراقبها لمدة طويلة ثم قال "عليّ الذهاب."
"هل أنت في عجلة؟"
"عليّ العودة إلى المنزل ورؤية ما إذا كانت ابنتي هناك. إنها تميل للذهاب هنا وهناك."
"متى توفيت زوجتك؟"
"منذ عامين. في الخريف."
"ما السبب في وفاتها؟"
"كانت مصابة بداء السلّ."
وضع آنا الملعقة الخشبية جانبا وبدأت تتأمل الخليط، كمن يقرأ كتابا جيدا، مليئا بالحيوية.

قال الكاسح "تحتاج الفتاة إلى شخص ما كي يعتني بها. لا أستطيع التعامل مع هذا الأمر. فهي تحتاج إلى امرأة."

"ستجد واحدة. كم عمرك؟"

"خمسة وثلاثون."

"لازلت شابا. وتكسب مالا جيدا."

"كان لدي عروضا. هناك واحدة الآن. أرملة في حي ايرزسبيت. لديها منزل صغير."

"إذا لقد وجدت واحدة."

"ولكنني إلى حد ما لست مولعا بها. أمّا الآن فلو وافقت أنت ... "

قاطعته بحدة دون أن تعطيه فرصة للتودد "أوقف هذا العبث." فهي لا ترغب في أن يشيد بها أحد إذ أنها تعرف أنها ليست جميلة.

فلقد جذب شيء ما فيها كاسح المدخنة: ربما كان ذلك الشيء هو تعاستها وهذا الألم المفاجئ، فالرجل يستشعر دائما الجودة المتدهورة المستغلة في المرأة وغالبا ما يجد ذلك أكثر إغراءا من الجمال نفسه. اتكأ على عمود الباب. انتظر آنا حتى تنتهي من سكب الخليط في صينية الخبز.

كرر قائلا "لا بد أن أذهب الآن."

"من الأفضل حقا أن تذهب سيد باتوري، فسوف يكونون في المنزل في أي لحظة."

لم يبقى باتوري ليجادل في الأمر. فبمجرد أن التقي بها في الشارع عن طريق الصدفة، ذكر مرة أخرى بطريقة عامة أنه حقا بحاجة إلى امرأة من المحيط القريب، نعم امرأة. ثم، وكما ينبغي، بعث برسالة عن طريق السيدة فيكسور أنه سيسعد باتخاذه آنا زوجة لو كانت ترغب في ذلك.

نصّبت زوجة الناظر نفسها بشكل إيجابي كي تجلب الموافقة على طلبه. فتحدثت إلى الفتاة، وأخبرتها أنها محظوظة ويجب ألا تسمح، ولا حتى من أجل العالم أجمع، لهذه الفرصة أن تضيع منها، وأشادت بكاسح المدخنة وقالت أنه رجل رزين ومجتهد والذي كان جيدا للغاية في حق زوجته الأولى. لم ترفض آنا ولكنها طلبت وقتا للتفكير. ومن جانبه، طلب باتوري منها أن تأتي معه وتلقي نظرة على منزله.

وفي يوم إجازتها قابلها في فيرميزو ورافقها إلى شقته في الطابق الرابع، وقادها إلى غرفة تطل على الفناء. ارتعش ضوء القمر الشتوي البارد على النافذة المتجمدة، وأعطى جسديهما مظهرا معدنيا أقرب للموتى وهم يخطون إلى داخل الغرفة المظلمة. وقفا على مسافة من بعضهما البعض. اتجهت آنا مباشرة إلى النافذة ونظرت خارجها. تمكنت من رؤية منزل آل فيزي وتعرفت على شجرة، ثم نافذة غرفتها وتعجّبت كيف تبدو صغيرة من هنا. أشعل كاسح المدخنة المصباح وعلّقه على الحائط بجانب النافذة.

كانت الغرفة مليئة بالأشياء. خزانتان كبيرتان للملابس وسريران بفراشهما وجميع الضروريات وأريكة وخزانة مطبخ وطاولة. فتح السيد باتوري الخزائن. عرض عليها الكتان الأبيض النظيف والذي يبدو أنه لم يمس وستة بلوزات وثلاثة تنورات تحتية وثلاثة أثواب للنوم ووشاح أحمر ناري من جبال الهيمالايا. تحدث إليها باحترام كبير. بدأت آنا في التفكير واعترتها رعشة خفيفية من السعادة.

عادت ابنة الكاسح إلى المنزل في وقت لاحق، فتاة مراهقة متجهّمة تبلغ من العمر أربعة عشر عاما وكانت ترتدي حذاءا مفتوح موحلا. طلب منها والدها أن تلقي السلام ففعلت ذلك

ثم جلست في زاوية. أعدت آنا العشاء، البطاطس بالفلفل الحلو. وتناول ثلاثتهم العشاء في هدوء.

رافقها الكاسح إلى الطابق السفلي. سألها بقلق "ما رأيك؟"

"لم أتخذ قراري بعد."

أكّد السيد باتوري على أن الأمر طارئ.

أجابت آنا "فلننسى الأمر الآن، وسوف نتحدث فيه بعد الإجازات." ثم تركا المنزل عند هذه النقطة.

وقبل الإجازات مباشرة، عندما كانت آنا في قمة انشغالها بعمل الحلوى وكعك الفول السوداني، ظهر شقيقها، والذي لم تره منذ خمس سنوات منذ أن اعتقله الفرنسيون. لقد كبر ونما شاربه. كان لديه سوطا في يده. لقد تم ترحيله من بوسزتا وكان لديه هدية لسادة المنزل. سألها عن حالها، ثم ذهب مرة أخرى.

كانت إجازة مذهلة لعيد ميلاد في المنزل. كان آل دروما هم أول من حصلوا على رسول الهدايا، والتي كان معظمها للطفل. تلقت ستيفي ساعة يد ذهبية وحصلت ايتل على حزمة من قماش الكنفا من آل موفيسزتر.

كان آل فيزي هم آخر من أضاءوا شجرة عيد الميلاد بعد أن دعوا آل موفيسزتر وآل دروما لهذه المناسبة. قامت السيدة النبيلة وسعادته بتقبيل بعضهما البعض. فاجأت السيدة فيزي زوجها بعلبة من السيجار في حين أنه اشترى لها أربعة وعشرين منديلا، كما يفعل في كل عام. سلمت السيدة آنا هديتها والتي كانت ملفوفة في منديل رقيق من الورق.

لقد كانت سترة صوفية بنية ثقيلة. قدّموها لها حتى لا تشعر بالبرد وهي تجرف الثلوج.

وبينما كانت آنا تحل الهدية على ضوء الشموع، وكزت السيدة دروما السيدة موفيسزتر. فلقد تعرفت على السترة. لقد

كانت هدية كاتيكا سابقا، ولقد ارتدتها أيضا، ولكن عندما طردت تركتها وراءها بازدراء.

÷

(١٦)
المـادة، الشخص، الروح

في عيد الغطاس، كان آل فيزي عائدين عقب تناولهم الشاي مع آل تاتار حيث كان هناك وزيران من وزراء الدولة من بين الضيوف. ولدى وصولهما إلى المنزل توقفت المرأة فجأة أمام باب المطبخ.

فهناك كان يجلس شخص غريب، رجل لم تتعرف عليه. كان يجلس على الطاولة وبجانبه - على الرغم من وجود مسافة بعيدة نوعا ما - كانت آنا تجلس. وبمجرد أن لاحظها وقف الرجل غير المعروف بكل احترام وألقى تحية المساء عليها.

أمكنها رؤيته بوضوح أكثر الآن فالمصباح أضاء وجهه الشاحب وشعره الأشقر الحريري. كان يرتدي سترة رمادية ورباط عنق طويل. حدقت السيدة فيزي في وجهه في شك متنامي، وكانت تحاول وضعه في ذاكرتها.

قال الرجل بصوت رجالي جهور يحمل نبرة عدم رضا "أرى أن سموك لم تتعرفي عليّ." وابتسم. "أنا كاسح المدخنة."

"إذا فهو أنت. فهمت. لم أتعرف عليك. لم يسبق لي أن رأيتك بهذه الهيئة، سيد باتوري. مساء الخير."

لم يزعجهم الضيف غير المدعو لفترة طويلة. فكان ينتظر سيدة المنزل كي تدخل، ثم، بعد تردد قليل، ليس طويلا لدرجة

تجعله يبدو كما لو أنه كان يلوذ بالفرار، غادر بهدوء.

تفهّمت السيدة الآن ما كان يجري. هزت رأسها غير مصدّقة. لم تتوقع ذلك. لم تتخيل أبدا أن هناك شخصا آخر لديه رغبة في آنا، أو يمكن أن يكون له رغبة في مخلوق ينتمي بشكل وثيق إليها؛ أن يأتي أي شخص أيا كان ببساطة ويجلس على طاولتها. كان الأمر برمته فظا غير سار، اغتصاب واضح لنطاقها، كما لو كانت قد وجدت كاسح المدخنة يدخن غليونه بهدوء، ويتمدد على الأريكة البيضاء في غرفة نومها. أساءتها وقاحة الأمر لكنها لم تقل أي شيء، وتناولت الموضوع بلطف.

"أخبريني يا آنا، هل يزورك هذا الرجل من آن إلى آخر؟"

"إنه يأتي في بعض الأحيان."

"ماذا تقصدين ب "في بعض الأحيان؟" هل تقصدين أن هذه لم تكن المرة الأولى؟ لقد كان هنا من قبل؟"

"نعم."

"كم مرة؟"

"من آن إلى آخر."

"لا يعجبني هذا الأمر. أنت تعلمين أنني لا أحب ذلك. رجل غريب في بيتي. لا يتم ذلك في أي مكان في العالم."

"إنه يأتي. ولا أستطيع إخراجه."

"هلمّي، هلمّي، هذه ليست طريقة التصرّف في الأمور."

"بقدر ما أعلم فيمكنه البقاء في المنزل."

"إذا لما لا تخبريه بذلك؟ لما لا؟"

"لا أستطيع، سعادتك."

"في تلك الحالة سأخبره أنا. لديك أشياء أخرى لتقومي بها."

"أخبريه إذا أردت. فهذا الأمر لا يهمني حقا."

تحدثت السيدة فيزي مع كاسح المدخنة ولم يحضر مرة أخرى، ولكن المسألة لم تنتهي عند هذا الحد. فعندما كانت آنا تقوم بطهي الطعام واصلت السيدة فيزي ازعاجها. "هل كان يغازلك؟"

"كان يتحدث معي."

"لقد ملأ رأسك بالحديث. إنه يريد أن يدير رأسك."

"أين الزبد، سموك؟"

"هناك على حافة النافذة. احذري يا آنا، كوني حذرة للغاية. فإنه سوف يكدّر حياتك. ما هي نوعية الأشياء التي كان يقولها؟"

"قال ذات مرة ..." ولكن عند هذه النقطة ذهبت إلى الحوض لتضع بعض الماء في الإبريق فلم تسمع السيدة فيزي بقية الجملة.

ألقت السؤال ثانية بمجرد أن وضعت آنا الإبريق على الموقد "حسنا، ماذا قال؟"

"قال أنه لم يكن لديه أي شخص."

"لم يقل شيء آخر؟"

"وأنه في حاجة إلى امرأة من المناطق المجاورة."

"هذا مثير. وماذا قلت؟"

"لا شيء."

"هذا حكيم منك. هذا مضحك. إنه لا يناسبك."

اعترفت آنا علنا أنها كانت على حق، وربما تكون مقتنعة بهذا في صميم قلبها، ولكن حيث أن سيدتها لم تعط أي أسباب فكانت مضطربة.

أمّا الآنباء عن وجود معجب بآنا فلم تعد سرا: فالمنزل بأكمله سمع بذلك، وكان هناك رأيين واضحين حول هذه المسألة. فلقد

حرص السيد باتوري على تأمين بعض المدافعين في حالة غيابه من أجل التأثير على الرأي العام. أولا وقبل كل شيء اعتمد على الخادمات. كانت السيدة فيكسور، والتي كان قد وعدها بهدية إذا استطاعت اقناع آنا، بلا شك في صفه. وبدورها أشركت ستيفي في الأمر والتي شجّعت آنا بأن تكون ذكية وألا تختار وإلا سينتهي بها الحال مثلها، غير متزوجة ولا تزال خادمة وهي في الثانية والثلاثين من عمرها. أمّا خادمة آل موفيسزتر، ايتيل، فكانت غير مقتنعة على الإطلاق. فاعترفت بأن الزفاف قد يكون جميلا ولكنها ضحكت وتسائلت لماذا يجب على الخادمة أن تتزوج؛ فالفتاة تكون أسعد بكثير وهي آنسة. اعترض آل دروما على هذا الزواج بشدة. تبنت السيدة موفيسزتر لامبالاة حسنة وانتظرت لترى كيف ستسير الأمور.

كان الجميع تملأهم المشورة. فحثت أحدهم آنا بتعجيل الأمر، وحذرتها أخرى من اتخاذ قرار متسرع ومشحون حيث أن لديها متسع من الوقت. رنت آذان آنا؛ فلقد كادت أن تصاب بالصمم من النصيحة، وعندما حاولت قياس مشاعرها وجدت أنها أكثر من أي شيء تريد أن تترك في سلام. إذا دعهم يقررون فيما بينهم. فلقد كرهت الأمر كله. فهي في النهاية تتفق دائما مع كل من يتحدث معها.

فمن المستحيل تحديد الطرف المتكلم، من تحدث معها في الآونة الأخيرة، ومن لم يتحدث، ما هي النصيحة من ضمن النصائح المتضاربة التي استمعت إليها في النهاية؛ ومع ذلك، ذات يوم، حدث ما حدث.

كانت آنا تقوم بتقشير البطاطس عندما أخبرت سيدتها بمنتهى الهدوء والبساطة أنها ينبغي أن تبحث عن فتاة أخرى، نظرا لأنها ستتزوج في أسرع وقت ممكن، حالما تستطيع الخادمة

الجديدة تولي المسئولية، ويفضل أن يكون هذا في منتصف الشهر، وإذا لم يكن هذا ممكنا، يمكن أن يكون هذا في أول الشهر التالي. كان هذا الإشعار رسميا ولكنه ودي.

لم تقل السيدة فيزي شيئا لتثنيها عن ذلك، ولكنها أدركت هذا الإشعار الرسمي كما قالته آنا. فحدّقت في آنا بشكل حاد ولفترة طويلة، كما لو كانت غريبة، ثم خرجت بفخر من المطبخ.

كانت الضربة غير متوقعة، نظرا لأنها متحيّرة منذ أسابيع، ولكن ربما كان ذلك هو الأصعب.

فآنا تخدمها منذ ما يقرب من ستة أشهر، أي فترة أطول من أي خادمة سابقة. لقد اعتادت عليها لدرجة أنها لا يمكن أن تتخيل أي خادمة أخرى في مكانها، سواء كانت أفضل أم أسوأ. إنها حتى لم تبحث عن أي خادمة أخرى. وبعد الإثارة المبدئية استسلمت لضعف قدري، أمل لا أساس له والذي تعزز فقط من خلال زياراتها لجلسات الروحانيات. ففي جلسة استحضار الأرواح سألت روحها الحارس، بطريقة غير مباشرة، عما يتعين عليها القيام به؛ فكان الجواب أن ما تخشاه "سيتحقق تحت أي ظرف"، وأنه في الوقت الراهن ينبغي أن" تتصرف بطريقة صارمة". وطمأنها ذلك.

بعد ذلك بوقت قصير أصابها المرض. وجدها زوجها في ظهيرة أحد الأيام مستلقية في غرفة النوم المظلمة وكان هناك كمّادة باردة على رأسها. كانت رائحة جذر الشمندر تنبثق من زجاجة الدواء المفتوحة. فمرضها، والذي يتكرر على فترات زمنية أطول أو أقصر، دائما ما يتخذ شكلا هجوميا. ففجأة، وبدون سابق إنذار، تنتابها نوبة بكاء وتبدأ رأسها في الارتعاش ولا يمكن أن تهدأ لعدة ساعات في كل مرة، ليس حتى تجبرها

معدتها المضطربة على التقيؤ. فهذا يريحها ويبدأ الصداع في الزوال ببطء. يطلق الأطباء على هذه الحالة "هستيريا" ولكن لا يمكنهم أن يفعلوا شيئا حيال ذلك.

لم يلق فيزي عليها حتى التحية. ألقى نظرة رافضة سريعة باتجاهها ثم ولّاها ظهره. كان مرض زوجته يثير غضبه بدلا من خوفه. فكان يعتبر تجرأها على المرض بمثابة إهانة شخصية له.

وفي فترة ما بعد الظهر ازدادت حالة المريضة سوءا؛ فكانت تأن وتنتحب، وكانت تصفق يديها معا، ثم، بعد فترة طويلة جدا، يبدأ المرض. وظلت آنا تجلب لها الوعاء.

يمكن للطبيب يأتي فقط عند الآنتهاء من عمله بالمستشفى. علّق معطفه بتجهّم وذهب إلى غرفة النوم، وهو يرسم على وجهه، لأول مرة، تعبيره الاجتماعية الأكثر اعتدالا. وعندما أضاء المصباح الكهربي الصغير الموضوع على الطاولة الجانبية اشتكت المريضة أنها لا تستطيع تحمّل الضوء وأخذت واحدا من المناديل العديدة حولها لتغطي عينيها بإحكام.

كان أول شيء قام به موفيسزتر هو أن يقترح فتح النافذة حيث أن الغرفة خانقة. وقف فيزي عند رأس السرير مستعدا للعمل. خاطب زوجته ب "الملاك"، وهو الإسم الذي أُعطي لها وهي وفتاة كما أنه الإسم الذي يستخدمه دائما عندما يكون هناك غرباء. سأل بقلق عن صحتها. وبّخ الطبيب مريضته. تناول يديها في راحته وأمسكهما لبعض الوقت دون أن ينطق بكلمة. وبعد أن قام بقياس نبضها قام أيضا بقياس درجة حرارتها. أومأ برأسه: لم يكن هناك حمى وكل شيء كان على ما يرام.

وبعد ذلك، كان ينبغي أن يبدو وكأنه يقوم بشيء ما، قام بالفحص المعتاد. كشف جسدها ووقّع الكشف عليها. كان

يعرف جسدها بدرجة كافية؛ كمقسم البيانو الذي يعرف البيانو الذي تم ضبطه في كثير من الأحيان، كل مفتاح ومطرقة مألوفة له؛ لكنه يعلم أيضا أن هذه الآلية ليست كل شيء، وأنه من أجل أن تعمل المفاتيح والمطارق فهي تحتاج إلى قوة الموسيقى أو الحياة أو أية قوة أخرى، حيث أن هذا الكائن الملموس القائم بذاته ليس سوى جزء من مخطط أكبر من الأشياء، والذي لا يمكن عزله بسهولة كما قد يبدو، لأنه ليس مستقلا تماما كما أنه ليس جسدا أجنبيا ولكن يرتبط مصيره بكل شيء آخر يعيش على الأرض أو في السماء.

مضى بشك في طقوسه كما فعل مرات كثيرة من قبل. ضغط على معدتها، ولكز كبدها وكليتيها وطلب منها الجلوس والتنفس بعمق، استمع إلى رئتيها وقلبها وشكرها بأدب على كل مجهود قامت به.

توقّف زوجها عمليا عن التقاط أنفاسه خلال الفحص من أجل تسهيل مهمة الطبيب. ففيزي ينتمي إلى طبقة الرجال المتعلمين في القرن العشرين والذين تتساوى ثقتهم العمياء في الطب – الذي تم تدريسه في الجامعات بالإضافة إلى ثقتهم في الشهادات التي يتم منحها عادة من قبل نفس الهيئة العلمية كتلك التي منحت إليه – مع أي متعصب ديني. فهو ينظر إلى الأطباء على أنهم كائنات أرفع مقاما والذين يعرفون عنه أكثر مما يعرف عن نفسه، لذلك فهو يميل الى رؤيتهم في ظل ضوء صوفي مميز. راقب حركات الطبيب موفيسزتر بتوقير يستحقه. وعندما هز الطبيب ميزان الحرارة وأحدث الزر الموجود في طرف كمّه صوتا، اعتقد أن هذا هو الصوت الطبي الرسمي لميزان الحرارة. أيقظ الآنبوب المطاطي في سماعة الطبيب وجرس جهاز الاستماع رهبة مماثلة بداخله. انتظر بتحسب اللحظة التي

سيصرخ فيها الطبيب الذي ينحني على زوجته فجأة إلى أنه بعد كل شيء، قد توصّل أخيرا إلى أساس المشكلة.

على العكس. قال موفيسزتر "لا أستطيع أن أجد شيئا خاطئا."

"أليست معدتها؟"

"إنها على ما يرام."

"رئتيها."

"تعمل بشكل فعال."

"وماذا عن قلبها؟"

"قلبها في حالة ممتازة."

"ماذا يجب أن تأكل؟"

"كل ما يخطر على بالها."

"وماذا عن الحساء الخفيف؟ هكذا اقترح فيزي وهو يظنه مفيدا.

"يفي بالغرض."

"هل هناك أي وصفة طبية؟"

قال موفيسزتر بنبرة شاردة "يمكنني أن أكتب لك واحدة. وكتبها بالفعل. واصل فيزي كلامه بقلق "سأرسل من يأتي بها على الفور."

"ليس هناك داعي للاستعجال." أعطى موفيسزتر الوصفة الطبية للمريضة. "ستكونين بحالة جيدة عندما تتناولين عشر قطرات من هذا مع مكعب من السكر. يمكنك أن تأخذي ما يصل إلى خمسة عشر قطرة إذا كنت غير سعيدة، ولكن لمرة واحدة فقط. يجب أن تحصلين على قسط من الراحة وتستمعين بوقتك. هل رأسك لا زالت تؤلمك؟ أرايت، لقد توقّف الألم. لقد أخبرتك أن كل شيء على ما يرام."

رفع يده ليقول وداعا.

"إن مشكلتها هي أن ... " وهمل فيزي في زوجته، "أيتها الملاك، ألا تمانعين في أن أكشف السر الخاص بك؟ إن مشكلتها هي أنها شديدة التوتر. فلقد أعطتها خادمتها إشعارا وسوف تتزوج ..."

قال موفيسزتر "فهمت."

"هذه المشكلة تلتهم أعصابها منذ أسبوع الآن. إنها لا تستطيع النوم."

سأله الطبيب "هل تقصد ذلك بشكل جاد؟"

أجابت السيدة فيزي بصوت أجش "إنه ليس أمر لطيفا بالتأكيد، لقد درّبتها و الآن سوف تذهب."

"غالبا ما يكون الأمر بهذا الشكل."

"هذا لأنهم جاحدون وليس لديهم ضمير. لقد عملت معها لمدة ستة أشهر، أهدرت كل هذا الوقت. هل الأمر يستحق؟"

"انظري إليّ يا سيدتي. لدي مريضة تبلغ من العمر ستة وسبعين عاما والتي بدأت لتوها في تعلّم اللغة الآنجليزية. وبحلول الوقت الذي تكون قد تعلمته فيه ستكون على الأرجح على وشك الموت. ولكن دعونا نفترض أنها لم تمت حتى ذلك الحين، أي أنها ظلت على قيد الحياة حتى بلغت من العمر مائة عام – فسوف تموت بعد أن تعلمت اللغة الآنجليزية. ألا يستحق الأمر هذا العناء؟ ألا يستحق الأمر بالنسبة لنا أن نبدأ في أي شيء حتى عند سن العشرين؟ بالطبع يستحق: يجب على المرء أن يملأ الوقت بطريقة أو بأخرى."

همست السيدة فيزي "بالطبع كانت خادمة جيدة للغاية. لكن جن جنونها، مجنونة تماما، سيدي الطبيب."

"بالطبع لم يجن جنونها. إنها على وشك الزواج، هذا كل ما في الأمر. دعيها تمضي قدما في الأمر. ستجدين فتاة أخرى."

"واحدة مثلها؟ أبدا."

"حسنا، ليست مثلها. دعينا نفترض أن تجدي واحدة ليست جيدة تماما."

"ستسرقني."

"وسوف تسرقك. صدقيني، ليس من الجيد بالنسبة للخادمة أن تكون جيدة للغاية. فلتكن مثل البقية، جيدة وسيئة."

"مثل خادمتك ايتيل؟ اغفر لي أيها الطبيب ولكني لا أطيق واحدة مثلها في منزلي. فإنني أتسائل دائما كيف يمكنك ..."

"لست مغرما بها أيضا. فهي تكون في بعض الأحيان وقحة، حتى مع مرضاي. في الاسبوع الماضي طردت مريضا لأنه لم يمسح قدميه. ولكن ماذا يمكنني أن أفعل؟ فكلهم لديهم بعض الخطأ. هذا طبيعي. يجب على المرء تقبّل ذلك فقط. فليسوا في وضع يحسدون عليه. فهم ينخرطون في عناء كبير وينهكون أنفسهم، وطبيعة عملهم من النوع الذي لا يسمح لهم حتى بالاستمتاع بثمار عملهم، حيث أنهم بمجرد الآنتهاء منه تختفي تلك الثمار: يلتهمها الآخرون، أو نقوم نحن بتدّميره ونجعله قذرا، والفاعل نحن، نحن من نفعل ذلك. إذا دعونا نعتبر بعضا من تقصيرهم عزاءا لهم. يجب علينا أن نحاول أن نفهم."

أومأت السيدة فيزي برأسها قائلة "لكنني أفهم." وبدأت الدموع التي تجمعت في أهدابها تسطع. "هناك شيء واحد فقط لا أستطيع أن أفهمه. أخبرني أيها الطبيب، لماذا هم كالخنازير المطلقة؟"

رأى الطبيب أنه كان يتحدث في دائرة مفرغة فلم يكلّف نفسه حتى عناء الإجابة ولكنه تذمّر، "بالطبع، بالطبع. كما كنت أقول، من عشر إلى خمسة عشر قطرة ... "

ألقت السيدة عليه نظرة غاضبة بينما كان يغادر. قررت ألا تدعو ذلك الحمار العجوز مرة أخرى.

ولكن زوجها، الذي رافق موفيسزتر إلى الخارج، قال عند عودته "إن الطبيب على حق، على حق تماما. لا توجد بك علّة. لما تعقدين يدك على رأسك؟"

"هل يزعجك هذا؟"

"جدا. قضيت اليوم كله في المكتب قلقا حول شيء أو لآخر، وعندما عدت إلى منزلي وجدتك تعاملينني هكذا. تلك تفاهة محضة. ستجدين خادمة أخرى وذلك هو نهاية الأمر."

"ولكن ألا تستطيع أن تستوعب أنها هي وهي فقط من أريد؟"

"أنت تبالغين. أنت تبالغين دائما. إنها فتاة صالحة، أعترف بذلك، ولكن في النهاية لا يمكنك أن تجبري أي شخص على فعل أي شيء. يجب أن تدعيها تذهب."

"تحت أي ظرف من الظروف أسمح لتلك الفتاة بأن تذهب!"

"ما الذي تستطيعين فعله في رأيك؟ يمكنك الوقوف على رأسك لو كنت ترغبين في ذلك، فلن يمكنك منعها. أيجب أن تفعلي هذا الآن، فقط عندما أكون في قمة انشغالي؟ بالنسبة

لي، لقد انتهى أمر هذه الخادمة الآن وإلى الأبد، أخذها الشيطان. دعيها تذهب إلى الجحيم."

"لا تصرخ في وجهي!"

"كفي عن الصياح إذا. فالأمر مثير للسخرية. هل تعتقدين حقا أنه لا يوجد من يستطيع القيام بما تفعله؟ "

صرخت المرأة وهي تركع على ركبتيها ومرتدية ثوب النوم وتلوّح بذراعيها "كلا! كلا! لا يستطيع أحد أن يفعل ما تفعله."

أجاب فيزي بحزم "أنت غير طبيعية،" وحدّق في زوجته والتي، بعد أن شعرت بالخوف، تمددت مرة أخرى. "أنت حقا غير طبيعية."

"وأنت وقح وفظ كبطانية الحصان، هكذا أنت فظ وبغيض. لقد كنت هكذا طوال حياتك معي، فظا للغاية .. بغيضا للغاية..."

ظلت المرأة تمسح دموعها البطيئة بأحد المناديل الكثيرة حولها. جلس فيزي وحكّ أنفه. استمع إلى شجبها إياه بصبر واستسلام كزوج شارد يكفّر عن عدم إخلاصه. ثم رن جرس الهاتف فسارع إلى مكتبه. تحدّث بهدوء لشخص ما وهو ممسك بسماعة الهاتف، وكان يجيب فقط بنعم أو لا، ثم التقط معطفه وخرج.

أصبحت السيدة فيزي وحدها في الشقة الكبيرة. واصلت الشهيق لفترة من الوقت ثم زحف الإرهاق المتزايد مباشرة نحوها.

وفجأة كانت آنا تقف عند الفراش.

"لقد جئت فقط لأرى،" ارتعدت، "ما إذا كنت ترغبين في شيء يا صاحبة السمو؟"

لم تجب المرأة. فمنذ أن أخبرتها آنا بقرارها لم تتفوه بكلمة واحدة معها، كرهتها بشكل بالغ لدرجة أنها لم تعد تستطع النظر في وجهها.

ترددت آنا وسط الجو البغيض، لقد شعرت ببرودته تغلفها. شعرت بالأسف على السيدة الكريمة لأنها كانت مريضة وكانت تعاني ولأن ربما كانت هي السبب.

تنهدت السيدة فيزي. شعرت بأن ذلك الجو البغيض قد خف بعض الشيء. كانت الفتاة تنتظر لأنها لم تكن تريد أن تذهب. عدلت وسادتها، وتحدثت معها بصوت هادئ ولكن يحمل نبرة توبيخ.

"إذا، عدت إلى صوابك؟"

وكطريقة للإجابة أحنت الفتاة رأسها. فتجزأت كلمات السيدة فيزي بعناية.

"لأنني يجب أن أعرف ... مشهد كهذا كاف بالنسبة لي، لا أريد أخرى ... لا أستطيع أن أبقيك... فهذا من ضمن حقوقك ... يمكنك أن تذهبي ... اتركيني هنا وحدي في منتصف فصل الشتاء.. . لا يمكن لمرء أن يجبر أي شخص ... إذا كان لا يعجبك الحال هنا فمن حقك تماما أن تذهبي ... على الرغم من أنني لا أفهمك ... ما الخطأ هنا...؟ هل قام أحدا بإيذائك ...؟ ألم تحصلي على ما يكفي من الطعام ...؟ هل تحتاجين إلى المزيد من المال ...؟ أجورك في مصرف الادخار ... إنها تتراكم ... لما لا تقولين شيئا ... ؟ يمكنك أن تأخذي المال الخاص بك وقتما تشائين ... يمكنك أن تشتري شيئا ثمينا للغاية بهذا المبلغ ... أم هل تريدين زيادة ...؟ أنا مستعدة تماما لمناقشة ذلك أيضا ... ماذا تريدين؟"

خطت آنا خطوة إلى الأمام. لقد حانت اللحظة التي كانت السيدة فيزي تنتظرها لتجتاز حاجز المقاومة الأخير. كانت

الروح تتحدث إليها، وتطلب منها أن تكون صارمة، صارمة تماما.

"أنت لا تعرفين ماذا تريدين لنفسك ... هل تصدقين ذلك الأبله الذي سلبك عقلك ...؟ أعرف نوعه ... إنهم يعدونك بكل شيء ثم يتركونك ... إن قوت يومه حتى لا يكفي حتى يحتفظ بك ... كيف يعيشون ...؟ أين يعيشون ...؟ هل تريدين أن تضيعي حياتك في أحد الأحياء الفقيرة ...؟ مثل هؤلاء الناس لا يريدون إلا خادمة، خادمة بالمجان، تغسل لهم ملابسهم ... إنهم حتى لا يدفعون أجرا ... إنهم يريدون مغفّلة، وليس زوجة ... ربما لو كان شابا، لكان سيناسبك ... لكنه حتى ليس كذلك ... أرمل ... ابنته كبيرة مثلك ... أعرف تلك الكلبة الصغيرة ... سوف تنتزع عينيك ... هل تريدين أن تكوني زوجة أب ...؟ أوه، لقد رأيت هذا من قبل ... كان لدي خادمات تزوجن من قبل. .. وعدن بعد فترة وجيزة، وكانوا يقصّون كيف يقوم أزواجهن بالتعدي عليهن بالضرب، وكيف يعودوا إلى المنزل في حالة سكر، أو بدون عمل، و آه! باركك الرب، يا صاحبة المقام الرفيع، هل يمكنني أن أعود إلى وظيفتي القديمة هنا ... توسلن إليّ. .. ولكن بمجرد أن يغادرن المنزل لا أسمح لهن بالعودة ... إذا ماذا سيكون مصيرك. .. ؟ أين ستذهبين ...؟ إلى المنزل ...؟ يمكنك الذهاب إلى اليهود ... إلى رجل يهودي الذي سوف ... ماذا قلت؟"

همست الفتاة بشيء ما، وابتسمت. فقامت السيدة فيزي بهجوم أخير، أكثر اعتدالا.

"لا تدمرين حياتك، لا تضيعين شبابك ... هذا الشباب المبارك ... سوف تندمين بمرارة ... استمعي إلى شخص ما أكثر حكمة ... أكثر خبرة ... إذا كان ذلك شيئا يستحق كان الأمر

سيختلف ... ولكن هذا ...؟ سيكون هناك آخرون ... في وقت لاحق ... والذين سيكونون أزواجا صالحين، وسوف نباركهما ... لن أجبرك ... فكري في الأمر مرة واحدة فقط، للمرة الأخيرة ... أخبريني غدا ... ولكن فكري بعناية أولا ... "

مررت آنا أصابعها على شعرها. "لقد اتخذت قراري."

"إذا ستبقين؟"

"سأبقى."

تراجعت السيدة فيزي على وسادتها بعد أن استنفدت من قبل معركتها.

"هل ترغبين سموك في بعض من العشاء؟"

قالت "لا شيء. ربما قليلا من مربى الفاكهة. فأنا لم آكل شيئا منذ يومين."

ذهبت آنا كي تعدها وهي أكثر سعادة من أي وقت مضى. أحضرت زجاجة من الكرز الأسباني. لاحظت السيدة فيزي الكتابة على الغلاف. لقد كان خط كاتيكا الردي غير المقروء.

قالت "كان ذلك في آخر السنة. عندما صنعت كاتيكا هذا." ولأول مرة منذ وقت طويل فكّرت في كاتيكا. فعندما كانت تتناول السائل الأحمر الداكن بالملعقة وتبصق النوايا في الصحن، أسهب عقلها في التفكير في الخادمة القديمة، والتي كانت قوتها الجسدية تبدو وكأنها تركزت بأكملها في تلك الجرة المقفولة والتي، عندما فتحت، انفجرت، وطردت الطاقة المحاصرة. وبقى الكرز لبضعة أيام أخرى. وكلّما أكلت منه ومضت بعض الصور في عقلها ولكن بمجرد أن يتوارى في سلة النفايات لم تعد تلك الصور تزعجها.

على أي حال كان هناك سلاما مباركا. ذهبت آنا لكاسح المداخن، وأعطت رفضها بطريقة صارمة لدرجة أنها أهانته تماما،

وخلال أسبوعين كان قد تزوج من الأرملة التي تقطن في ايرزسبيتفاروس، والتي تمتلك منزلا صغيرا. لم تكن آنا منزعجة جدا. وعندما سئلت عما إذا كانت قد اتخذت القرار الصحيح أجابت أنها ربما تكون قد فعلت الصواب.

كان هناك إثارة أقل في المنزل. فحتى ستيفي لم تعد تهتم بالمجادلة. فكانت روحها المعنوية منخفضة. لقد كان هناك بعض الأحداث غير السارة في حياتها أيضا. فبعدما تعلمت الرقص واشترت لنفسها حذاءا مطليا من أجل الحفلة الراقصة حيث كان ينبغي أن ترقص مع بنات الأشراف، تلقت خطابا من اللجنة المنظّمة، "مع الأسف" "فلقد استغنوا عن خدماتها".

انخفضت قيمة الحديث عن آنا يومياً حيث أصبحت جزء لا يتجزأ من أهل البيت يوما بعد يوم لدرجة أنها اختفت عمليا، فلم يلاحظها أحد، ولم يتحدث عنها أحد. ومثل العديد من الخادمات بدأت في محاكاة سيدتها بدون وعي. فلقد اتبعت بدقة طريقة السيدة فيزي وهي تسوي شعرها، وعندما كانت تجيب على الهاتف، وجد المعارف بعض الصعوبة أحيانا في تحديد ما إذا كان الصوت الذي سمعوه هو صوت الخادمة أم صوت السيدة.

(١٧)
المهرجـــان

جلب أحد العاملين البريد اليومي إلى جوزيف ايليكس في قسم العملة. كان البريد عبارة عن مظروف واحد ذو حد أسود. فتحه وارتجف عند قراءة محتوياته لدرجة أن الإعلان سقط من بين يديه.

فالإعلان ذو الإطار الأسود والحروف الثقيلة كان يحمل اسم المتوفى، أفضل صديق له، يانوس باتيكاريوس.

لم يكن يعرف عنه شيئا منذ شهور. ودون أن يقول كلمة واحدة لأحد، اختفى ببساطة من البنك من يوم لآخر، لم يعط أي إشعار، أزيل اسمه من قائمة الكتبة. فكل ما استطاعوا قوله في شقة العزاب التي يقطن فيها أنه ذهب إلى مكان ما. اعتقد آل فيزي أنه كان في فيينا، لكنه لم يرسل خطابات لهم ولا إلى أي شخص آخر.

كان الإعلان يقول:

يشارك كل أقارب فيرينك باتيكاريوس وزوجته تيريزا جامبور حزنهما وحسرتهما في إعلانهما أن ابنهما الوحيد يانوس باتيكاريوس في السادس عشر من فبراير لعام ١٩٢٠، قد ترك هذه الحياة بكل ما فيها من المساعي الرسمية، واعتزم من

الآن فصاعدا أن يعيش فقط لتسلية نفسه والآخرين، ولهذا السبب تنتهز هذه الجثة الأكثر مرحا

هذه الفرصة غير الأصلية لدعوة اصدقائه في اليوم المذكور أعلاه، في منتصف الليل على وجه التحديد، في نادي الباريسيين لحضور استقبال طويل وودي من الشمبانيا حيث قد يساعدوه بشكل رسمي في دفن كل ما لديهم من هموم.

روح الدعابة إلزامية. إلى أسفل مع الكآبة!، من رماد إلى رماد. ارقد في سلام.

اتكأ ايليكس على خزانة لتساعده على الوقوف وسط ذهوله وظل يقلّب البطاقة في يده. كانت المزحة حقا أكثر مما ينبغي. وبينما يشعر بالرعب، ومضت ابتسامة باهتة أمام وجهه. قرأ الإعلان مرة أخرى، ولكن هذه المرة بإعجاب، وتعجّب من دماثة وكياسة النص الأكثر جرأة. فالفساد خدعه هذه المرة.

وصل يانسزي في ذلك اليوم في قطار فيينا السريع. استقل سيارة أجرة مباشرة من المحطة إلى مطعم الدانوب المطل على النهر، وسكن غرفة في الطابق الأول. أخذ حماما وذهب لتناول الطعام في المطعم. كان الوكيل العقاري الذي استدعاه ببرقية ينتظر بالفعل على طاولته. أنهوا الصفقة بسرعة. وقّع يانسي بيانا يفيد أن شقته، بكل ما فيها من تجهيزات ومفروشات، تنتقل ملكيتها مجانا وعلى الفور أظهر الوكيل ماله وقام يانسزي بوضع رزمة الدولارات الكبيرة في محفظته. كانت صفقة سريعة حقا، صفقة كبيرة على غرار الأسلوب الأمريكي. تصافحا وغابا وسط الزحام.

وبعد تألق فيينا وحجمها الهائل، بدت ابنة عمها بودابست الفقيرة الصغيرة حميمة لدرجة أن يانسزي بدأ يشعر نحوها بعاطفة. كان فترة ما بعد ظهيرة أحد الأيام معتدلة، حالمة،

شاعرية وعذبة، بعد ظهيرة أحد الأيام الشتوية عندما تنفتح شهية المرء للحياة أكثر من أي وقت مضى. فالبلدة مغطاة بمعطف من الثلج الهش. كان الثلج قد استقر على أعراف الأسود عند مدخل جسر السلسلة: فبدوا كما لو كانوا يرتدون أحجبة بيضاء. كانت المزلجات تجلجل في أيدي النساء وهن يسرعن إلى حلبات التزلج والتي قرعت أجراسها. أضفى الصقيع القاسي ولكن الصحي وهجا على وجوه الأفراد. تلألأت الثريات في محل جيربود للحلويات وشارع فاسي وشارع ولي العهد، وتوهجت جميع شوارع القرن التاسع عشر القديمة بوسط المدينة بالمحلات التجارية ونوافذ العرض حيث كان كل شيء يبدو مرغوبا فيه، رائعا أكثر من أي وقت مضى، الأحذية والكتب وكانت قوارير المياه المعدنية مرتّبة على صخرة مطحلبة بجوار نافورة مصغّرة، جرارات جيلي السفرجل، وأكوام صغيرة من البندق والجوز، وأكوام من التمر التونسي اللذيذ الذي لا يزال رطبا، كل شيء يعيد ذكريات الطفولة البعيدة وهدايا بابا نويل. كانت السماء تمد بيد المساعدة لهذا المشهد المسرحي والتي كانت تتغير لحظة بلحظة. ففي البداية كانت تلوح في الأفق كتفاحة خضراء وراء جبل جيليرت، ثم احمرت خجلا واتخذت لونا ورديا غامقا عند القصر الملكي، ثم ذابت مرة أخرى إلى اللون الرمادي الناعم الشاحب والذي تخللته نجوم الشتاء القوية الصغيرة بسرعة.

في المساء كان لدى آل فيزي زائرة. قادتها الخادمة إلى غرفة الجلوس حيث جلست وانتظرت بينما بدّلت السيدة فيزي ملابسها بسرعة من أجل استقبالها.

لفت الزائر فراء القندس حولها بإحكام وهي تنتظر. كانت تبدو وكأنها تشعر بالبرد. وبمجرد أن دخلت مضيفتها بدأت

تثرثر كتغريد الطيور، وتخاطبها بالألفة الخاصة بطبقتها الإجتماعية. تحدثت عن السيد فيزي والذي تعرفت عليه من خلال الوزارة، كما تحدثت عن آل باتيكاريوس الذين التقت بهم في إيجر، وظلت تثرثر وتحدّق في سيدة المنزل بوجه عام من خلال منظار الأوبرا الخاص بها.

تعاملت معها السيدة فيزي ببعض التحفظ. في البداية كان من الصعب الإدلاء بما كانت تريد. اعتقدت أنها ربما تكون عضوا في واحدة من تلك اللجان الشائعة في تلك الآونة والتي كانت توظّف الأشخاص وتحاول جمع الأموال لأسباب خيرية غامضة. واصلت اسقاط لقب الكونتيسة. ثرثرت بهدوء وبطريقة عامة وسطحية والتي كانت تقترح شيئا زائفا. كان حذائها الأخضر وجوربها الحريري يظهران من تحت الفراء. بعد ذلك، أزاحت ريشة الأفعى ونزعت معطفها وكشفت صدرها المنبسط والتي كانت تنثر عليه مسحوقا كما كشفت ثوبها الخاص بالغداء والذي كان عبارة عن قطعة من الحرير التقليدي مطرزا بالعديد من اللؤلؤ الذهبي.

كانت السيدة فيزي تجيب فقط على بعض الأسئلة وأثيرت شكوكها فكانت على وشك أن تطلب منها تقديم بعض ما يثبت هويتها وبعد ذلك غيّرت رأيها. فبدلا من ذلك ألقت نظرة واحدة عليها، خطت خطوة إلى الأمام وانتزعت قبعتها لتكشف عن وجود شعر مستعار ضعيف له تقريبا نفس لون شعرها الأشقر.

قالت "أيها الوغد، ماذا تفعل هنا؟"

"إنني ذاهب إلى حفلة ملابس تنكرية، أيتها العمة أنجيلا. هل تسمحين لي بتقبيل يدك؟"

"من أين أتيت؟"

"فيينا. أخبريني،" سأل عمته وهو يطوف حول الغرفة وهو يرفع معطف الفرو قليلا ليكشف عن ساقيه، "ألا تظنين أنني أصلح لأن أكون فتاة جميلة؟"

"آه، نعم. زخرفي للغاية. والدك المسكين ليس لديه فكرة عما حدث لك. ماذا تفعل في فيينا؟"

"أعمال."

"تاجر!"

"في الفحم. هل تحتاجين إلى أي منه؟ كم عربة تريدين؟"

"أبله. كم من الوقت ستقيم في بودابست؟"

"اليوم فقط. سأرحل من جديد صباح الغد. كيف حالك على أية حال؟ وكيف حال العم كورنيل؟"

"ألم تعرف؟ من المقرر أن يكون وكيل وزير الخارجية."

"تهانئي. ربما يمكنه فعل شيء لهذه الدولة. إذا أتي العم كورنيل إلى فيينا لا بد أن يبحث عني. لدي شقة جميلة في روثترم ستراس، عقار رقم واحد. حسنا، يجب أن أذهب أيتها العمة أنجيلا، فأصدقائي ينتظرونني، ايليكس والعصابة كاملة. إلى اللقاء الآن. اسمحي لي أن أقبّل يديك."

"هل ستخرج إلى الشارع بتلك الهيئة؟"

"هناك سيارة تنتظرني."

نصحته السيدة فيزي قائلة "اعتن بنفسك يا عزيزي يانسزي، وارسل خطابا إلى والدك المسكين."

دخل نادي الباريسيين من خلال باب جانبي.

فاجئته وضاعة تلك المداخل الجانبية. فكان هناك بعض المعاطف والعصي معلّقة على الرف، ولا يزال النوادل بقمصانهم ذات الأكمام ويمشطون شعرهم. جاء المالك بنفسه لتحيته. فقد كان يعلم أنه ينتظر حضور قطب الفحم في فيينا.

انحنى أمامه بشكل بالغ وقاده إلى الغرفة الخاصة ذات الستائر حيث خصصوا له عشرة أماكن. ناقشوا بقية الترتيبات باللغة الألمانية. تفحص يانسزي القائمة بعد أن طلب وضع باقات على الطاولة وأن يكون هناك نادل تسند إليه مهمة بيعها. كان كل شيء مرتبا. كان طلبه النهائي أن يتم قيادة الضيوف إلى الغرفة وألا يعلم أحد بوجوده.

ارتدى قناعه المصنوع من الحرير الأسود وخطا إلى داخل قاعة الرقص. كان النادي على قدم وساق. كان فرقة موسيقى الجاز تعمل بكامل طاقتها على الرغم من أن عدد قليل من الأزواج هم من كانوا يرقصون بالفعل. أفرج الموظفون عن ثلاثين بالونة ضخمة والتي صعدت ببطء في الضوء البرّاق ثم استقرت عند الأقواس المضاءة المكللة بأوراق الكريبي القريبة جدا من السقف حيث تحّدق في الأسفل كما لو كانت قد تفاجئت. بدأ المقنّعون الآخرون يحضرون ببطء. بيروت مع نظيرته، آنسة غجرية، فلاح بحذاء طويل يحمل مجرفة من الصلب وبعض الأعشاب ومهرج أخضر الشعر وآخر أحمر الشعر، الآنوف الحمراء المعتادة والشوارب البرتقالية واللحى الرمادية وقبعات الأبله ذات الأجراس والقبعات الورقية. أمّا أعلى ضجة فقد تسبب فيها سمسار البورصة البدين المعروف الذي ظهر في زي الجلاد الأحمر القاني كما كان يرتدي صليبا أحمر وقناعا أحمر وكان يحمل فأس الجلاد الضخم.

وقف يانسزي في زاوية وكان يراقب من وراء مروحته الكتلة البشرية التي تغلي وتزداد. بحث عن رفاقه، الضيوف التسعة المدعوين. في البداية تمكّن من التعرّف على ايليكس فقط والذي كان يرتدي معطفا صوفيا طويلا بدون قناع، وكانت ترافقه فتاة شقراء رقيقة. أصبح الرقص صعبا بالفعل. فالطابق

أصبح مزدحما للغاية لدرجة أن الأزواج لم يعد يمكنهم التحرّك بشكل عمودي، وهم يتكئون على بعضهم البعض. دخل في وسط الجموع. دعاه رجل لا يعرفه والذي فقد رفيقه في وسط الزحام في مكان ما بالقرب من الفرقة. كان ايليكس يتسكع هناك واضعا ذراعيه حوله، ويميل معه ويحكم قبضتيه عليه ويراقب عينيه من خلال ثقبي القناع. رقص معه بخشونة مرة أو اثنين في القاعة واعتصر يديه بلطف في راحتيه الفاترة الرطبة. كان الأمر كله غريبا جدا لدرجة أن يانسزي بعد ذلك انتهز الفرصة لاختيار الرفقاء، رجال ونساء بالتناوب.

وبحلول ذلك الوقت كات ايليكس يمكنه أن ينتظر تناول العشاء بالكاد حتى يستطيع الاسترخاء وسط أصدقائه القدامى المهملين. وفي منتصف الليل، عندما أزال الجميع الأقنعة، تطلع حوله. فتحت الأقنعة، كانت الوجوه غريبة. نزع قناعه وشعره المستعار، واتجه نحو الغرفة الخاصة وهو يحل أزرار فستانه.

فهؤلاء السادة الذين لوّحوا بإعلاناتهم ذات الحد الأسود كانوا قد سمح لهم بالدخول وأجلسهم النوادل وحيّوا مضيفهم وهم في أوج سعادتهم، في حين أنه، بسترته متعددة الألوان، حدّق فيهم باستنكار زائف. غمره ايليكس بالقبلات ورفع الآخرون تنورته وتلمّسوا صدره. كان هناك أربعة منهم معا. وبعيدا عن ايليكس، كان هناك داني توتوسي وبيستا إنادالي والذي يشعر ايليكس نحوه بشعور غامض من الصداقة لأنهما حضرا العديد من الحفلات معا. كما كان هناك جالوفيتش الذي كان يحمل رأس ثور ضخمة في يديه والذي كان بالأحرى أحد المعارف البعيدة التي لم يقصد دعوتها. أمّا هؤلاء الذين اهتم بحضورهم، وهم أشخاص من البنك، فلم يحضروا على الإطلاق مما أصابه بالحزن. بدّل ملابسه بسرعة ولعب دور

المضيف المناسب واتصل بأصدقائه الخمسة الغائبين ولكن في كل حالة تم إخباره أن السيد المحترم ليس في المنزل.

انتظروهم لفترة طويلة ولكن في النهاية اضطروا إلى بدء العشاء. كان هناك الكثير من الطعام والشراب: حساء صاف في فنجان، أسماك الفرخ وأسماك الكراكي عالية الجودة (من بحيرة البالاتون)، الديك الرومي المشوي مع الخوخ القادم من كاليفورنيا، والنبيذ عالي الجودة القادم من باداكسيوني وراجنا. أحضر النادل الرئيسي دلاء الشمبانيا الفرنسية المثلّجة، المنثورة بخفة فوق الثلوج.

جلس يانسزي على رأس الطاولة، وإلى يساره – وأقرب ما يكون إلى قلبه – جلس ايليكس بشعره المتفرّق الجميل ونظارته الأحادية وبشرته الكريولية والذي يعهد إليه بمغامراته الأخيرة، وكانت رأسه من الناحية العملية مستقرة على صدره. ولأنه لم يتحدث بلغته الأم منذ فترة فكان بصفة خاصة ثرثارا. فكل الأشياء التي كان يريد أن يقولها منذ شهور انهمرت منه من أجل جمهوره، فلقد كان تمرّغ في المال، ليس فقط الدولارات التي حصل عليها نتيجة بيع شقته، ولكن مضافا إليهم مائتي دولارا، فضلا عن الوثائق والسندات النمساوية والألف كرونة المجرية ذات القيمة المنخفضة. أخبرهم كيف كان يعيش في شقة مكوّنة من خمس غرف مع حبيبته، راقصة بولندية تدع ديزي،والتي ساعدته في تسيير شئون عمله. ومن محفظته أخرج صورة موقّعة ومهداة من فتاة الاستعراض محور الكلام وخطابات متعددة منها باللغة الألمانية، فقط كدليل. تناقلت هذه الأشياء من يد إلى يد والتي كانت من المؤكد مقنعة.

وعلى الرغم من ذلك، واصل جالوفيتش، جالوفيتش البغيض، إزعاجه.

"لقد احتجزتها، أليس كذلك يا يانسزي؟ كيف؟ كما تحتجز براغيثك؟"

احتمل يانسزي هذا لفترة من الوقت ثم رمقه بنظرة مصعوقة وزمجر في وجهه قائلا "أحب البراغيث، وخاصة النوع المغرّد." وأدار رأسه بعيدا.

لم يسر العشاء كما كان يتصور. فلقد تناولوا كعك الكرنفال المحلّي عندما بدأ الغرباء في الظهور. قدّم جالوفيتش أحد أصدقائه الذي كان يجلس معهم وبدأوا في احتساء الخمر. وعندما حان وقت تناول الحلوى تطفّلت امرأتين على الحفل وألقيا الحلوى على يانسزي. شعر بمذاق النشارة في فمه بعد ذلك.

وعندما تم تنظيف الطاولات وبمجرد أن قام النادل الرئيسي بالمرور حول السيجار والسجائر كي يشعلها باستخدام شمعة تهتز شعلتها، نحّى ايليكس يانسزي جانبا. كان يانسزي سعيدا بأن سمح له بالحصول على خمسين دولارا. كما قدّم شيئا أيضا لتوتوسي وإندالي وذهبا إلى قاعة الرقص. أمّا الفتاة الشقراء، نصف الاجتماعية ذات النمش الذي يظهر من خلال ماكياجها الأصفر، فوضعت رأسها عند الباب وبحثت عن ايليكس. ملأ جالوفيتش كئوس الفتيات بالشمبانيا، وأمتعهم من خلال ارتداء رأس الثور الكبيرة من آن إلى آخر.

وبحلول الفجر تقريبا كان النذل قد نقل الكئوس إلى طاولة أخرى حيث واصل احتساء الخمر مع رفيقته، تاركا يانسزي وحده. كان المكان ممتلئا بالوجوه غير المألوفة. لم يكن ذلك مفاجئا حيث أن زبائن الحانة يتغيرون من أسبوع لآخر.

عاد ايليكس من قاعة الرقص وياقته غارقة. جذبه يانسزي من يده ولم يدعه يذهب.

تنهد قائلا "عبثا، دون جدوى ..."

أكمل ايليكس الحديث قائلا "يهطل المطر في إسبانيا بصورة رئيسية في السهول ..."

سكت يانسزي. فلم يكن يعرف ما يقول. لقد قال كل شيء عن نجاحاته، عن دولاراته، عن شقته ذات الغرف الخمس، عن ديزي، عن كل شيء. شعر بنوع من الاستياء. لا يمكنك قول أي شيء كي يسرق الرياح من على أشرعة الرفقاء.فرّك جبينه بيديه الجافتين.

قال فجأة "هنا يا ايليكس، لدي صديقة أخرى هنا. صديقة لا تعرف عنها شيئا. عندما ذهبت إلى بست لأول مرة."

"الممثلة؟"

"كلا. في الوقت الصحيح، الفتاة الخطأ. هل تعرف من هي؟ خادمة."

"ماذا؟"

"هنا يا ايليكس؛ خادمة، خادمة عادية،" ووقف وصاح بأعلى صوته حتى يعلو فوق صوت الساكسفون. "كم هي شخصية محبوبة! بشرة رائعة. عذراء."

"حقا؟"

"هنا أيها الرجل العجوز؛ كانت خادمة، كان كعباها متشققين. كانت متسخة وقبيحة. ولكنها كانت مادة ساخنة، أقسم بالرب أنها كانت كذلك."

اتكأ ايليكس على الأريكة وهو يعبث بحقيبة سجائره الفضية. كان يشعر بالملل من صديقه وشعر بالسعادة عندما ظهرت الهرة الشقراء من جديد من وراء الستارة وطلبت منه أن يرقص معها.

صرخ يانسزي بأعلى صوته "ايليكس! ايليكس!" ومد يديه إليه متوسلا.

لكن صوته ضاع. فكانت الطبول في فرقة الجاز تقرع بعنف: فربما كانت محاكمة عسكرية تستعد لإعدام شخص ما عند الفجر.

ظل واقفا لفترة من الوقت، مادّا ذراعيه، ثم تهاوى بعد ذلك على مقعده. كان وحده تماما، كانت الغرفة خالية، لم يعد يتبقى له شيء. أشعرته فكرة العصابة بالاشمئزاز. تحسس طريقه إلى دورة المياه وجعل المياه تنهمر على رأسه. وفي طريق عودته إلى الممر طلب الفاتورة من النادل الرئيسي الذي سوى حسابه بسرعة البرق. كانت الفاتورة قيمتها كبيرة لدرجة أنها أيقظته تماما. حذر يانسزي النادل الرئيسي أنه لم يكن في حالة سكر. فلقد تناقشا حول كمية الشمبانيا التي تم استهلاكها. فجمع مالك المكان كل الزجاجات الفارغة وأوضح أن السادة المحترمين قاموا باستضافة السيدات على طاولات أخرى أيضا. كما كان هناك خلاف حول سعر صرف الدولار، وعند هذه النقطة قاموا بتقديم طبعة الليلة الماضية من بستر لويد كدليل. فألقى يانسزي إليهم بالمال.

كانت الساعة الخامسة والربع عندما عاد إلى الفندق. وبعد أن دفع فاتورة هذا أيضا لم يعد لديه عمليا أي مال. فطلب من البواب إرسال حقائبه إلى المحطة حيث قطار الثامنة صباحا المتجه إلى فيينا.

لم يذهب إلى الفراش ولكنه قرر الحصول على نسمة من الهواء المنعش على الجسر. فسار بطول جسر راكوسزي اوت المهجور. لم يكن هناك أي شخص. وكم تعتبر بست مظلمة لو قورنت بفيينا! تزايد شعوره بالملل من جديد، وبدأ في البحث عن مقهى، ولكن لم يكن أي منها مفتوحا. فواصل طريقه إلى حي جوزسففاروز، ومشي متمهلا في تلك الشوارع المتوازية الملتوية التي طالما أحب استكشافها. كانت تلك الشوارع صامتة أيضا: بلا حركة مرورية وبلا موسيقى. فتلخّصت تلك الشوراع في بعض الحانات القليلة في الزوايا حيث ارتشفت فتيات الشوارع قهوتهن الحليبية بعد أن استطعن النجاة من الليلة شديدة البرودة. فكان هناك فقط العاهرات الأكثر يأسا أو الأكثر اجتهادا واللاتي كن يطفن في الشوارع.

تجوّل يانسزي في واحد من تلك الشوارع الضيقة والتي بدت وكأنها تقوده إلى الأمام، رفع وجهه إلى السماء وصفّر في الهواء. فالسماء، والتي كانت خلال فترة ما بعد الظهر ممتلئة بالألوان المبهرة، أصبحت الآن سوداء تقريبا من جراء سحب الثلوج. كان الصقيع يتجمّع ببطء على ياقة معطفه المصنوعة من الفرو. وفي مكان ما، تقريبا في منتصف الشارع، في مقابل قطعة أرض شاغرة والتي ظلت فارغة لسنوات، كان هناك امرأة لا تزال تقف أمام أحد المباني الفقيرة؛ لم تكن امرأة شابة ولكن تجاوزت الأربعين عاما، تستند على الباب ووجها الكبير الضخم يحمل تعبيرا من الملل غير البشري. كانت يديها، واللتان كانتا تقوم بعمل الخيار المخلل من أجل كسب الرزق، تقفان إلى جانبيها. كان الشيء المدهش هو أنها كانت ترتدي مئزرة ووشلحا منقوشا من أوشحة الفلاحين. اقترح مظهرها الشعبي نعيما محليا كما كان محسوبا كي يوقظ رغبة شخص غير

الملبّاة بشأن الزوجات الصغيرات الآنيقات. كانت ملحمة تهدف إلى اجتذاب الخيال المريض للفلاحين المهجّرين وهم في طريقهم لمصانع المدينة، أو إلى المبتدئين العائدون إلى منازلهم ليلة السبت. ففي الأمور العادية فهي لن تجرؤ على إغواء شاب أنيق يختلف كثيرا عن زبائنها المعتادين.

فكّر يانسزي وهو يجتازها "إلهي، كيف سيكون غريبا. ولكن،" فكّر مرة أخرى "إلهي، كم هو مثير للاشمئزاز."

لم يبطء أو يسرع من خطوته، ولكن المرأة التي تتلكأ عند الباب خمّنت فكره وبكل جرأة تسللت وراءه وهمست بصوت لا يوصف، تعال، لن تأسف على ذلك."

كان هناك شيء فظيع جدا بشأن هذا الأمر – بشأن الغزل والثقة المثيرة للاشمئزاز في نبرة صوتها – لدرجة أن الصبي توقّف. كان لا يزال يوليها ظهره، ولم ينظر حتى حوله ولكن سمع وقع خطاها عند باب المبنى الذي كان مفتوحا الآن. تبعها يانسزي.

كانت تلك المرأة تعيش مباشرة في الجزء الخلفي من الساحة بجوار امتداد المبنى أو مخزن الحطب. كان بابها، الذي يطل على الفناء، يصرصر من الصقيع. كان هناك مصباح واحد يتوهج في منتصف الطاولة على قماش مخمل كستنائي. وعندما أضاءت المرأة النور رأى يانسزي أريكة ومنشفة ووسادة وعلى الجدار لوحة لقيصر فيلهلم وهو يرتدي مجموعته الكاملة من الميداليات.

وفي وقت لاحق عندما بدأ النور الصباح يزداد وفرض صباح فبراير الرمادي وجهه الكئيب على النافذة، خطا يانسزي إلى الأمام وإلى الخلف وأشعل سيجارة نمساوية من نوع دريت وألقى واحدة إلى المرأة أيضا والتي انحنت لتلتقطها من على

الأرض ومسحتها بواسطة قميصها وقامت بتخزينها بعيدا. فهي لا تدخن أبدا.

شعر يانسزي بالفضول يتزايد بداخله وأحصى متعلقاتها.فعلى الطاولة اكتشف كتابا ملفوفا بقطعة من المخمل الأخضر البالي، وأطرافه تميل إلى اللون النحاسي، والتي ألقت الضوء على بضع صفحات الكتاب وهو يفتحه. كان كتابها المألوف. قلّب صفحاته بسرعة. كانت معظم صفحاته تنطوي على رسائل بأطيب التمنيات، والقليل من شذرات الحكمة التي تم جمعها من الكلاسيكيات، ولا سيما تلك التي تستحضر صورا رمزية على نطاق واسع مثل فجر الحياة ومرساة الأمل وهكذا دواليك.

قرأها بشكل أو بآخر. فكان يجب عليه إضاعة الوقت بأية طريقة قبل رحيله.

سألها وهو يشير إلى صفحة "من كتب هذا؟"

"صديق لي."

"متى؟"

"منذ زمن بعيد."

"وهذا؟"

"أحد معارفي من جيونجيوس. وفي بعض الأحيان يقوم الضيوف بكتابة أشياء أيضا. لما لا تكتب شيئا؟"

"ماذا؟"

"ابتكر شيئا."

أحضرت له الحبر في زجاجة وقلما صدئ. نحّى يانسزي تلك الأشياء جانبا وأخرج قلمه المائي الجديد. أرهق عقله وهو يبحث عن شيء ليكتبه. "ما اسمك؟"

أجابت المرأة كما لو كانت في مركز الشرطة "سيدة بيسكيلي."

"أأنت أرملة؟"

أجابت "كلا"، وكررت اسمها "السيدة بيسكيلي، السيدة جوزسي بيسكيلي."

"هل زوجك لا يزال على قيد الحياة؟"

"إنه نجاد. في ترانسيلفانيا. لم يطلّقني."

"لا يهم. فهذا ليس ما سألتك عنه. ما هو اسمك المسيحي؟"

"إيلونا."

عبس يانسزي بعمق وواصل تفكيره وقلمه الذهبي مرفوعا في يده. ثم بدأ في كتابة شيء ما بشكل مستدير ومزخرف بعناية كما لو كان دفترا. فكتب.

التقطت زهرة بنفسج من الغابة
فوقفت الزهرة أمامي
وهمست بصوت منخفض حتى أسمع،
أطيب التمنيات لك، عزيزتي إيلي!

ووقّع على ذلك باسمه كاملا، ولسبب ما، لم يستطع حتى أن يوضحه لنفسه، أضاف علامة تعجب من هذا القبيل، يانوس باتيكاريوس!

جفف الحبر بحرارة المصباح وأعطى الكتاب المألوف للمرأة التي شكرته.

قالت"يا له من خط جميل، يجب أن تكون كاتبا أو محاميا."

ولحق يانسزي بالقطار على التو.

(١٨)

الهلـــع

كان هناك المزيد من الحديث أكثر من أي وقت مضى عن تأجيل تولي كورنيل فيزي لمنصب وكيل الوزارة. فالمرشح يتمتع بثقة الحكومة الكاملة. وفي مرات عديدة كان التعيين يبدو وكأنه سينفّذ في اليوم التالي ولكن كان هناك دائما بعض العقبات القليلة التي تؤدي إلى التأجيل. ثم يثار الناس بالنيابة عنه ويبدأ الأمر كله من جديد. كان مؤيدوه الأساسيون هم جابور تاتار وأصدقائه. كانت الرسالة الآتية من البرلمان وممن يتولون مناصبا في الحزب أن كل شيء معد.

وفي غضون ذلك حلّ الربيع. فازدهرت الزهور البيضاء على أشجار الكستناء في كريسزتينا، كما أشرق مدخل بيديرمير البيضاوي المؤدي إلى نفق ألاجوت في إطاره المكوّن من الأغصان الخضراء من خلال الغبار الذهبي لإبريل واتخذ الاسكافيون في مآزرهم الجلدية القديمة مواقعهم المعتادة أمام ورش العمل الخاصة بهم.

وفي يوم السبت قبل أحد الفصح، انضمت السيدة فيزي بعد الظهر إلى مسيرة للاحتفال بالبعث. ومن حيث تجمعوا في شارع أتيلا أمكنها رؤية الكنيسة القديمة حيث أقسم الكونت سزيشيني بالإخلاص الأبدي لكريسينتيا سيليرن. بدأت الرايات

ترفرف فوق الحشد كما لو كان رفرفت من تلقاء نفسهما عندما اقترب منها جابور تاتار لتقديم التهاني: لقد أصبحت الآن زوجة وكيل الوزارة الجديد.

وفي اليوم التالي نشر الخبر في الصحافة وتحقق حلم فيزي الأكثر إثارة: لقد أصبح وكيل وزارة الخارجية - مساعد وكيل الوزارة، فهذا صحيح - ولكن ذو نطاق واسع من المسئولية التي أشبعت طموحه تماما.

كان لديهم سيلا مستمرا من الزوار الحريصين على تقديم المجاملات خلال عطلة عيد الفصح. ولقد قوبلت تلك المجاملات بطريقة مناسبة. فلقد استغل آل فيزي فترة الترقب الطويلة لتجميل الشقة. فألقت الثريا الكريستالية المدلاة من السقف بالإضافة إلى المصابيح الهلالية الجديدة والظلال الحريرية الحمراء وهجا مسرحيا على ورق الحائط الجديد. واتخذت قوارير الكونياك وصناديق السيجار والسجائر مكان إقامتها الدائم على الطاولة. وكان هناك سيارة حكومية بالفعل مخصصة لفيزي.

لا يعد من الممكن تأجيل الحفل أكثر من ذلك. فكان عليهم دعوة جميع الأصدقاء الذين شعروا نحوهم بالتزام. كان يجب أن يكون ذلك أكبر حفل يقام عندهم منذ الحرب. عندما أعدّوا قائمة المدعوين الذين لا غنى عنهم على الاطلاق وجدوا أن هناك حوالى ثلاثين منهم. وأكد فيزي، بطريقته البرلمانية الفضلى، أن الليل يجب أن يكون ملائما لهذه المناسبة.

ومن جانبها، فكّرت السيدة فيزي في مشاركة خادمة أخرى، ولكن في الوقت الحاضر لم يكن هناك غرفة أخرى متاحة للخادمة والمطبخ صغير جدا لدرجة لا تمكّنه من استيعاب اثنين.

وأقيم الحفل أخيرا في يوم معتدل ومشمس في نهاية شهر مايو. ومن الآن كان المنزل قد تحوّل بأكمله إلى مطعم مثل

الكونديتوري. فتطوعت ايتل بخبز فطائر وستيفي بإعداد الكعك. استمرت الدفعة الأولى من النشاط لعدة أيام وأعلنت عن نفسها بعد الظهر، فقط لتتبعها الدفعة الثانية. لقد وجدوا حلا لمشكلة إجلاس الضيوف عمليا عن طريق إفراغ غرفة المكتب وغرفة الطعام وغرفة المعيشة وترتيب الطاولات في ثلاثتهم. أقرضهم آل دروما وآل موفيسزتر مقاعدهم وفضياتهم. فتلألأ المنزل بأكمله.

وعندما فتح فيكسور، بزيه الرسمي، البوابات للضيوف في ذلك المساء أعطى الدرج المضيء المنزل شعورا بالقلعة الفاتنة. فلقد كان البساط الأحمر على الدرج يصل إلى الطابق الأول، حيث، على أعلى درجة منه، وقف المضيف وهو يرتدي سترة العشاء الخاصة به، وكان يحيي الضيوف بحرارة لدى وصولهم؛ بدا أصغر من عمره بسنوات وأكثر وسامة، عندما علم أنه وصل إلى ذروة حياته المهنية.

كان هناك أصدقاء من الوزارة، ومعارف الأعمال التجارية وبعض ضباط الجيش وقليل من القساوسة مع آل تاتار وابنتيهما ويانسزي بفراكه. أحضر سلة كبيرة من الزهور للعمة أنجيلا. وفي التاسعة تماما، صعد الوزير ونائبه وزوجته الدرج. فسارع فيزي لاستقبالهم بالنزول درجتين إلى الأسفل وقبّل يد السيدة الجليلة الممتازة، وذكر بعض التعليقات إلى الوزير والتي ضحك عليها كل منهما، ثم رافقهم إلى داخل المنزل. أمّا باقي الضيوف فقام دروما، والذي تصرّف كممثلا له، بتحيتهم.

قامت ايتل وستيفي بخدمة الضيوف وهما ترتديان زي الخادمات من الطبقة الأرستقراطية، مآزر بيضاء وقبعات أنيقة. ظلت آنا في المطبخ وكانت تعد الدجاج المقلي وتنثر الزبد على فراخ الأوز الهشة. أما الخادمتين الأخريين، واللتان كانتا تأتيان

وتذهبان بالصواني، فكانتا تخبرانها من حين لآخر بأخبار مسيرة الحفل. أمّا صاحبة المقام الرفيع، فكانت تجلس إلى جانب الوزير مرتدية فستانها المخملي البنفسجي وقرطها الذهبي الكبيرة، في حين كان سعادته يتحدث مع زوجة الوزير ويانسزي، بعد إذنك، كان يمزح مع زوجة الطبيب. قام الوزير أولا بإلقاء كلمة، ثم سعادة السيد تاتار، ثم دروما وأخيرا فيزي نفسه.

تكرر التصفيق والهتاف.

وعندما أحضرت ايتيل نبيذ شهر مايو وأعادت الصينية أبلغت ستيفي أن فخامتهم قد ذهبوا إلى غرفة الجلوس.

"ماذا يفعلون؟"

"يتحدثون."

"عما يتحدثون؟"

"عما يتحدثون؟ عن الخادمات."

عبست ستيفي وقالت "هذا كل ما يتحدثون عنه دائما على أي حال."

اقترحت ايتيل "هيا بنا نأكل."

تناولت صحنا من الأوز المشوي، ووضعته على ركبتها، والتقطت أنف الخوري وبدأت في مضغها. تناولت ستيفي طعامها ولكن بطريقة أكثر لباقة، بسكين وشوكة.

سألت ايتيل آنا "لما لا تأكلين شيئا؟"

"في وقت لاحق."

حثتها ايتيل "لما ستبقيها لهم؟ أنت لا تحتاجين أن تشعري بالأسف من أجلهم."

وأضافت ستيفي "وهناك الكثير في المنزل الآن."

أومأت ايتيل برأسها "هذا صحيح. هنا مكان التنظيف بالنسبة لهم. فالخرق والعظام لديهم وقت حقيقي هنا. وسوف يحتاجون إلى طاه وخادم قريبا."

أضافت ستيفي بابتسامة ساخرة "نعم، وكبير الخدم، كهذا الذي لدينا في بيت الكونت."

وضعت ايتيل المزيد والمزيد من الطعام في فمها وحدّقت ستيفي في النار.

"حيث عملت كبيرة للخدم كان عليّ تدفئة الصحف."

"لماذا؟"

"لأنها أحضرت في من الجو البارد. ذات مرة طلب الكونت العجوز من كبير الخدم أن يقوم بتدفئتها وأصبح عرفا بعد ذلك. ايتيل، هل تعلمين ما كان يستخدمه الطاه في الحرب عندما كانت هناك حاجة إلى نيران عنيفة حقا؟ شحم الخنزير. كان يلقى بمغارف كبيرة من شحم الخنزير على النار. تماما بهذه الطريقة."

سألتها ايتيل وفمها ممتلئ بالطعام "لم يسبب ذلك ضررا لكي، أليس كذلك؟"

مضغت رقاب الدجاج وكسرت جماجمهم كي تمتص العقول. غمست كتلا من الخبز في الصلصة.

قالت "لقد كانوا محقين في القيام بذلك، كلما كان ذلك في وسعهم. فعلى الأقل ستحصلين على بعض من الفائدة. الشيء الرئيسي هو أن يكون هناك ما يكفي من الطعام. كل ما عليك حقا هو أن تأكلي."

كانت ايتيل لم تنته بعد من تناول الطعام. قضمت وامتصت العظام القليلة المتبقية. لم تكن تهتم بالصحة العامة في ظل

تلك الصحبة عالية المقام. سكبت بقايا النبيذ من مختلف الكئوس واحتسته.

وفي الداخل كان هناك شخص ما يعزف على البيانو. فتحت ايتيل باب المطبخ حتى يتمكنوا من سماع ذلك بشكل معقول. أومأت برأسها مع الموسيقى، وكانت قبعتها البيضاء تتمايل صعودا وهبوطا. فكانت تبدو كملاك عجوز ممتلئ.

وبدأ الرقص. قامت ايتيل وستيفي بسحب الطاولات بعيدا عن الطريق لكن كانت المساحة لا تزال غير كافية وخرج بعض الأزواج إلى القاعة. قاد يانسزي السيدة موفيسزتر إلى الخارج. وعلى سبيل المزاح رقص معها في أرجاء الشقة، من غرفة النوم ويعودان بعد ذلك. وعندما كان يمرّان عبر الحمام في واحدة دوائرهم اعتصرها السيد الشاب بين يديه وقبّل رقبتها. فانفجرت زوجة الطبيب الجميلة ضاحكة بشدة.

سمعتهما آنا، والتي كانت تكنس القاعة. احمرّت أذنيها من جراء النار في الموقد. ألقت نظرة خاطفة باتجاههم. أرادت أن تركض عائدة إلى المطبخ ولكنها اصطدمت بالجدار. توهجت المصابيح كما لو كانت تحدق في وجهها.

استمرت البهجة لبعض الوقت. قام موفيسزتر بهروبه الإنفرادي المعتاد بعد العشاء ولكن بقى الجميع. حتى الوزير لم يغادر. شعر بأنه مستمتع. شعر الجميع بالمتعة أيضا. ربما لأن الوزير كان مستمتعا.

كانت هناك ضجة عامة مرحة. لم يجادل أحد، فذابوا وتمددوا ببساطة في الجو الإنتصاري. تدوالت قطعا صغيرة من النميمة: من انفصل، من مات، من زاد وزنه، من فقد وزنه. شعر هؤلاء الذين أخطأوا أحد المعارف الغامضين بدلا من الآخر بالراحة بمجرد أن أدركوا خطأهم، أن الشخص الذين تم

إخبارهم أنه انفصل كان في الواقع قد تزوج من جديد، أن من على قيد الحياة قد مات، وأن من فقد الوزن قد ازداد وزنا والعكس صحيح.

أصاب ابتهاج الضيوف السيدة فيزي تدريجيا بمزيد من العصبية كلما انقضى المساء. فظلت تقمع بعض التثاؤبات القليلة القلقة. لقد شعرت بالإرهاق من قبل واجباتها كمضيفة، والأهم من ذلك كله من قبل التهانئ الفارغة والتي كان عليها أن تقابلها بكلمات لا معنى لها على حد سواء. شاهدت زوجها من خلال الدخان، بعيدا عنها في الغرفة الثالثة، وهو يرفرف حول الوزير وينحني للسيدات ويساعده على ذلك الاحتياطي اللامتناهي من المودة الكاذبة والتي تتزايد بدلا من أن تتناقص مع انقضاء الوقت.

وفي مكان ما عند تجويف النافذة قابلت فتاة نمساوية شقراء جميلة والتي لم تشارك بعد في الحديث. إنها زوجة رجل أعمال كبير. وبما أنها لا تتحدث المجرية فلم تتمكن من الاشتراك في الحديث العام، وبالتالي شعرت بعزلة. جلست السيدة فيزي بجانبها. أخبرتها بقصة وفاة ابنتها بقدر كبير من التفصيل. ولكنها ذكرتها في كثير من الأحيان لدرجة أنها كانت على علم فقط بدفق من الكلمات الفارغة، بدون حتى حزن مصاحب. شاهدت ساعة جدها، وأمكنها بالكاد أن تنتظر رحيل الجميع.

وفي الساعة الثالثة وقف الوزير. كان الهواء مليئا بالدخان والتي حجبت سحبه الزرقاء ضوء الثريا، فكان بصيصها خافتا كضوء مصباح في الشارع في ضباب أحد أيام شهر نوفمبر. كان فيزي يغفو على الطاولة وكان رأسه يتدلى. سمع صوت سيارة الوزير وهي تسرع، وثرثرة الضيوف المغادرين البعيدة الضعيفة.

اعتقد أن كل شيء سار بشكل جيد. لقد بدأ الأمر لطيفا جدا، و الآن انتهى كل شيء. لكنه بدأ التجشؤ. فتناول بعض بيكربونات الصودا وذهب إلى الفراش.

ظلت زوجته جالسة عند الطاولة. تطلّعت إلى الخراب حولها. حدقت بقعة من مربى المشمش الأصفر بشكل غريب في وجهها من صحن زجاجي، وجزء من الطلاء المستقبلي والذي اشتمل على مقبض السكين وقطعة من الحلوى الملفوفة وكومة من الجبن ومسواك وبعض المايونيز وقطعة من التمر الرطب وبقعة من نبيذ مايو وغصنا من الجويسنة العطرية. كانت تود أن ترتب، أو تكسح كل شيء من على الطاولة بيديها. كانت مرهقة للغاية لدرجة أنها بدأت تسأل نفسها لما كان من الضروري تناول الطعام.

دخلت الخادمات الثلاثة وأمرتهن بتهوية المكان. أرسلت ستيفي وايتيل إلى الطابق العلوي. وواصلت آنا الاهتمام بالطاولة المجاورة لها. فالتقطت إبريقا ثم وضعته مرة أخرى.

صرخت السيدة فيزي "اتركيه،" وغطت وجهها بيديها. "لا أطيق رؤيتك، لما لا تذهبين فقط. بحق السماء، توقفي عن إحداث ضجة. أغلقي النوافذ واذهبي إلى الفراش. يمكنك التنظيف في الصباح. أريد أن أحظى بقسط جيد من النوم."

كان زوجها يشخّر بالفعل على الرغم من أن الضوء كان مضاءا. خلعت ملابسها وألقتها على أي حال وسقطت تقريبا على الفراش.

وبعد مرور خمس دقائق بالكاد – ربما أقل – فتحت آنا باب غرفة الطعام وخطت إلى الداخل. وبدون أن تشعل المصباح عادت إلى الاهتمام بالطاولة. فربما كانت مصممة على القيام بالتنظيف على أي حال حتى يتبقى لديها القليل لتقوم به في

الصباح. بعد الصراخ والصياح عاد الهدوء مرة أخرى. وكان شخير سيدها في الغرفة الأخرى فقط يؤكد الصمت.

وفجأة كان هناك جلبة كبيرة والتي تردد صداها خلال الغرف غير المرتّبة. كان الأمر يبدو كما لو كان شخص ما يعد بندقية. لم تتعرف آنا على الأثاث الغريب واصطدمت بمقعد البلوط، التابع لآل موفيسزتر، فسقط وانقلب أرضا. انتظرت لترى ما سيحدث. ولكن أرباب عملها كانوا يغطّون في نوم عميق، ولم يسمعوا شيئا.

كان هناك كلب قريب ينبح مع اكتمال القمر. لقد كان سوان، الكلب الأبيض الكبير الذي شاهدته في كثير من الأحيان في شارع تابور. كانت آنا تتجول. ركضت عائدة إلى المطبخ، واختطفت شيئا في الظلام، أيا كان ما في متناول اليد. قدم دجاجة، أو الكثير من الفطائر.

ثم اتكأت على باب القاعة كما لو كانت تريد أن تخرج. ولكنها فكّرت بشكل أفضل وركضت بصوت عال جدا إلى دورة المياه ومن هناك من خلال الباب المغطّى بورق أصفر إلى غرفة النوم.

استيقظت السيدة فيزي لتجد شخصا ما يجلس على الفراش. رفعت رأسها قليلا من على الوسادة وحدّقت في الشخص أمامها. ففي ضوء القمر الغامض كان الشخص يبدو كالشبح، وتحيط به هالة من الضباب الفضي. أيا كان من هو فلم يكن خائفا. مد يده اليسرى وأمسك بها. تلاقت عيونهما الواسعة المفتوحة وحدّقا في بعضها البعض.

همست السيدة فيزي "ماذا تريدين؟ أهو أنت آنا؟ اذهبي إلى الفراش."

لم يجب الزائر ولكن ظل جالسا هناك ممسكا بيديها ولم يتركها لتذهب. كانت تتحرك ببطء شديد، وكان هذا هو الشيء المخيف الخاص بها، بطء تحركاتها العجيب. فلقد اشتاق المرء لرؤية ماذا ستفعل.

مدت السيدة فيزي ذراعها الحر لتقبض على عنق الفتاة وتدفعها بعيدا، لكنها فعلت ذلك بطريقة خرقاء حتى أن الفتاة شدّدت قبضتها عليها. لقد كانت في الوقاع تحتضنها.

صرخت فجأة "كورنيل! كورنيل! من هذا؟ النجدة! كورنيل! النجدة، النجدة!" شعرت بعد ذلك بضربة على صدرها، ضربة هائلة لم تتلقى مثلها من قبل. "إنها مجنونة،" قالتها بصوت ضعيف قبل أن تتهاوى ثانية على وسادتها.

أمّا فيزي، والتي كانت رأسه ممتلئة بالنبيذ والنوم، فغمغم بشيء، ثم قفز من السرير ووقف في وسط الغرفة في ثوب الفراش الطويل والذي يتجاوز ركبتيه.

صرخ "ما الذي يجري، من هنا؟ النجدة! قاتل! قاتل!"

فلقد رأى وميض النصل، نصل سكين مطبخ كبيرة. كانت الفتاة تلوّح بها حولها. ولكن من وقف هناك، ماذا فعلت، من كان في طريقها سواء كان رجلا أو امرأة فليس لديها أي فكرة. فكل ما رأت هو شخص يتحرك بحذر نحو الباب محاولا الهرب. ثم دخلا في معركة سويا. كانت آنا مرعوبة من رغبته في إيذائها كما كانت خائفة لأنه سيدها. أمّا ذراعها، والذي ازداد قوة من العمل الشاق، فأمسك بخصره. حاولت أن تلقيه أرضا. تصارعا لفترة من الوقت. وعند الأريكة البيضاء فقد فيزي توازنه وسقط، أولا على الأريكة ثم على الأرض. وركعت الفتاة، التي يعتريها غضب شرس، على صدره وطعنته أينما

استطاعت، في صدره وبطنه وحنجرته. ثم ألقت بالسكين بعيدا في زاوية وترنّحت حتى وصلت إلى غرفة الجلوس.

غسلت يديها بالماء والصابون في الصنبور ثم عادت إلى غرفة الجلوس. كان شيء ما يقطر في الغرفة الأخرى، يقطر يقطر كالصنبور الذي لم يغلق تماما. تدفقت الدماء. كان الرجل يغرغر ويتحرك، ولكن كانت الغرغرة تزداد خفوتا. استلقت آنا على الأريكة واستسلمت للنوم...

في السادسة صباحا قرع عامل النظافة جرس البوابة. قامت آنا وهي تنوي إنزال صندوق القمامة لإعطائه إياه كي تتمكن من التنظيف. كان فجرا مشرقا. فركت عينيها وتفحصت الفوضى التي خلّفها الحفل، فوضى الألوان، وكانت لا تزال تجهل مكانها، وكيف وصلت إلى هنا. ثم توقفت، وقفت ثابتة. كانت أبواب غرفة النوم مغلقة، أقل شق متبقيا بينهم. يبدو أنها أغلقتهم وراءها وهي خارجة تترنح. لم تجرؤ على النظر إلى الداخل. أصغت. لم تسمع شيئا سوى الصمت المطبق، المطبق.

وبعد ذلك، وضعت يديها على وجهها، وشعرت بموجة من احتقار الذات. كانت تخاف أن يكون قلبها قد تحوّل إلى جليد. هرعت هنا وهناك كي تجمع خرقها وتحزم حقيبتها. يجب أن تخرج وتهرب، يجب أن تخرج. كان أصحاب المنزل لا يزالوا نائمين بعد احتفالات الليلة الماضية. كان من الممكن أن تصعد إلى العلية أو تهبط إلى القبو أو تختفي وراء المجففة. ولكنها

كانت تخاف أن يكون شخص ما في انتظارها في بئر الدرج. فألقت أمتعتها على الأرض.

فتحت جميع النوافذ المطلّة على شارع أتيلا كي تشعر بوحدة أقل. كانت الطيور المغرّدة مشغولة بالفعل بالغناء لتحية صباح الصيف الجميل. وقرع الترام أجراسه، وكانت نساء شفابن يحملن الحليب إلى المنزل المجاور.

وحتى الحادية عشرة لم يزعجها أحد. جلست بظهر منحني على الأريكة ومرفقيها على ركبتيها. وبعد الحادية عشرة، قرع شخص ما جرس الباب الخارجي، وواصل الرنين ولم يذهب.

صاح فيكسور من الأسفل "إنهم نائمون، توقّف عن قرع ذلك الجرس. أعطه لي، وأنا متأكد من أنهم سيحصلون عليه."

لقد كان الفتى المتدرب في بقالة فياتوريسز. وكان هذا هو الوقت الذي اعتاد فيه على توصيل الأعشاب.

أضاف الناظر قائلا "كان هناك حفل كبير هنا الليلة الماضية."

جلست السيدة موفيسزتر على البيانو كما هي عادتها، وبدأت بالعزف والغناء بالأعلى. رن جرس الهاتف. أمسكت آنا بسماعته ثم وضعتها مرة أخرى. ظل الهاتف يرن بعد ذلك.

وفي حوالي الثانية بعد الظهر قرع شخص ما الباب.

"افتحوا. ألا يمكنكم سماعه؟ افتحوا بحق السماء. لا يمكنهم ألا يزالوا نائمين، أليس كذلك؟ مستحيل. لنرى ما إذا كنا نستطيع رؤية أي شيء من الشارع."

ذهبوا بالفعل ونظروا إلى الأعلى من الشارع.

"مهلا، هل هناك أي شخص! من هناك؟ هناك شخص ما. بالتأكيد هناك شخص ما. انظر، لقد فتحوا النوافذ."

كان هناك المزيد والمزيد من الأصوات التي يمكن سماعها، هنا، هناك وفي كل مكان.

"ولكن يمكنني أن أقول لك، يا صاحب السعادة، أنهم لم يذهبوا. فلو كانوا خرجوا لكنا قد رأيناهم. آنا! آنا! هل أنت نائمة. يجب أن نوقظها، هيا بنا، اقرعوا بصوت أعلى. حطموا زجاج النافذة! حطموا الباب، نعم الباب. افتحوه بواسطة عتلة."

سمعت صوت السيد دروما يقول "يجب ألا تفعلوا ذلك، اذهبوا مباشرة إلى قسم الشرطة."

وصل الشرطي. كان قد سمع عن الحفل الكبير في الليلة الماضية. حاول أيضا قرع الجرس ثم حاول فتح مقبض الباب بواسطة مفتاحه، ولكنه شعر بالشك فأرسل في طلب قفّال الذي وصل وكسر القفل. طلب الشرطي اثنين من الشهود، وبعد أن أتي سعادة السيد دروما والقفّال، رافقاه إلى الداخل ومعهما فيكسور.

تفاخر الناظر عندما وقع نظره على آنا التي تقف عند الأريكة "لقد قلت لك أنه يوجد شخص ما هنا. إذا فأنت هنا؟ لما لم تفتحي الباب؟ هل أنت صماء؟"

لم يبد الشرطي أي اهتمام بها لكنه سارع بخطوات عملاقة نحو غرفة النوم. دفع الباب المزدوج وواجهه مشهد مباشر من غرفة الأهوال. فتراجع إلى الخلف. فتلك كانت المرة الأولى التي يواجه جريمة قتل من هذا القبيل.

ركض عمليا نحو الفتاة وأمسكها من كتفها وهزّها بعنف دون أن يستطيع السيطرة على نفسه.

"هل فعلت ذلك؟"

أغلقت آنا عينيها كما لو كانت تعترف.

صرخ الشرطي "لما فعلت ذلك؟"، وهو فاغرا فمه الكبير تحت شاربه الفظ، وكانت عيناه تكاد تخرجان من محجريهما. صرخ وهو لايزال غير قادر على السيطرة على نفسه "أنت سوف تعدمين!"، وكان يصدر حكما كما لو كان في محكمة الاستئناف الأولى.

كانت آنا تعرف ذلك. وفجأة شعر قلبها، الذي ظل في حالة من الحيوية المجمدة خلال التوترات المميتة ليلا، بنوع من الدفء يسري فيه، نسمة صيف دافئة والتي استجابت لطريقة مخاطبته الحميمة. فالشرطي كان فلاح مثلها، مثل فتيان القرية. فلقد خاطبها طبيعيا بأنت؛ فما رأته فيه لم يكن أدوات المكتب، ولكن الشخص الذي يستخدمها، من كان من دمها، والذي يمكن أن يكون شقيقها.

كانت القاعة مليئة بالناس، مزيج من الغرباء والمستأجرين الزملاء. كانوا يختلسون النظر إلى غرفة الطعام. فصرخ الشرطي فيهم كي يظلوا خارجها.

قال "انتهى الأمر الآن، إنها جريمة قتل. فليترك الجميع الشقة. باسم القانون. هل أنت زوجة الناظر؟ أغلقي البوابة. فلا يجوز لأحد ترك هذا المنزل. وأحمّلك مسئولية ذلك."

لقد كان انتال العجوز، انتال سزوكس الشرطي المحلي، من تحمّل المسئولية. كانت آنا تعرفه جيدا. نظر الجميع في وجهه وشعروا بالاطمئنان. لقد كان من الجيد، في خضم هذا الكابوس المرعب وغير المفهوم عندما كان الدم يهرع بشكل مسمم لرأس المرء، رؤية ذلك الهدوء والصلابة في أحد ممثلي القانون والنظام، كان من الجيد رؤيته وهو يخطو ويلوّح بثقة في الذات. لقد كان شريحة ضخمة وصحية من الحياة مع كتفيه الكبيرين

العريضين وبطنه الممتلئة، شرطي ارتفع فوق هذا الوادي من المرض والألم، وكان دعامة حقيقية للمجتمع.

سأل آنا "أين الهاتف؟" فأشارت إلى مكانه بإيماءة من رأسها.

قال الشرطي "مرحبا، مقر مقاطعة رقم واحد ...؟ مرحبا ... مرحبا ... أنتال سزوكس، ضابط رقم ١٣٢٧ يبلغ الضابط بكل احترام، سيدي ... هناك جريمة قتل ... جريمة قتل مزدوجة ... ٢٣٨ بشارع أتيلا، الطابق الأول ... فيزي ... اسمه الأول ...؟ جورنيل ... نعم، سيدي ... كورنيل ... كلاهما لقيا حتفهما ... لقد ألقيت القبض على الجاني ... لقد سيطرت على المبنى ... نعم، سيدي،" ودوّن ملاحظات الضابط، "نعم ... نعم ... نعم ... نعم ... نعم ... نعم ... نعم ..."

قاد الفتاة إلى مكان المدفأة بغرفة الجلوس وطلب منها مواجهة الجدار حتى لا تحاول الهرب. ومنذ ذلك الوقت كان يراقبها بعين والباب بالعين الأخرى. خلع قبعته ومسح جبينه. كان يلتقط أنفاسه بصعوبة بسبب كل هذه الإثارة. حدّق فيكسور محبطا في الأرض. و كان دروما والقفّال يتهامسان مع بعضها البعض.

وفي غضون بضع دقائق قرعت صفارات الشرطة في شارع أتيلا. تم إرسال سيارتين. في السيارة الأولى جلس الضابط المسئول يرافقه مفتش الشرطة من المقر الرئيسي والمأمور والطبيب الشرعي. أمّا السيارة الثانية فكانت ممتلئة برجال المباحث.

حيّاه انتال سزوكس محاولا لفت انتباهه "أرجو تقرير الواقعة إلى سعادة المفتش، فلقد قام الضابط هنا بقرع الجرس في الثانية من بعد ظهر هذا اليوم ..."

تسائل المفتش مقاطعا "هل هذه هي القاتلة؟"

"نعم، سيدي." وأشار الشرطي إليها بالخارج. "الخادمة."

بدا الذهول عليهم. فلم يشهدوا أبدا في تجربتهم الطويلة ألا يحاول القاتل الهرب من مسرح الجريمة. كان الأمر مميزا. حاصروها بسرعة كما لو كانوا يخشون أن تحاول الهرب الآن. كانوا كما لو أنهم على وشك قتلها.

قال المفتش "جيد"، وأشار إلى المأمور بأنه يمكن أن يتفحص المبنى الآن.

اكتشف خبير البصمات بصمتين مفيدتين وواضحتين. وتم بسرعة إرسال اللحاف وكيس الوسادة كي يخضعا لمزيد من الفحص. واستمر المصورون في التقاط الصور. قدّم دروما نفسه إلى المفتش والذي سمح له وللشاهد الآخر للذهاب.

انتقل الطبيب الشرعي يرافقه المفتش والمأمور والضابط إلى غرفة النوم.

كانت السيدة فيزي تستلقي على ظهرها في الفراش بدون قطرة دم عليها. كانت تبدو كما لو كانت نائمة فقط. لقد اخترق السكين قلبها مباشرة فكان هناك جرح واحد كبير فقط. فيجب أن تكون قد ماتت على الفور بدون ألم نتيجة لنزيف داخلي.

أمّا فيزي فقد استلقى عند الأريكة في بركة سوداء من الدم المتحجر.

كان لديه تسعة جروح. خدش ظفر حنجرته، وكان هناك خدش أطول تحت عينه. كان من الواضح أنه قاوم حتى لفظ أنفاسه الأخيرة. لقد مات بصعوبة - وكما أعلن الطبيب - بعد زوجته بفترة طويلة. فسكرات موته استغرقت وقتا طويلا. كان فكاه مضمومين معا، وارتفعت أنفه المعقوفة بصرامة

وغضب عن وجهه الأبيض الناضب، وكانت قبضتاه مضمومتين. لقد بدا نبيلا في قوته التي عقبت وفاته، كان هناك شيء رفيع وقديم فيه، شيء كان موجودا، ولن يعد له وجود.

كان الضحايا يحملون بالفعل علامات التحلل. وعلى الرغم من أنهم قد شاهدوا العديد من المشاهد المروعة في وقتهم انكمش الضباط من جراء هذا الاعتداء الوحشي منعدم الرحمة. ففي كل مرة لم يمر أحدهم عند غرفة المعيشة إلا وبدت عليه علامات الرعب. كل وجه يحمل نفس العلامات لأنهم لم يفهموا ما حدث وكانوا يسعون جاهدين لفهمه. ظل وجه آنا وحده واضحا. إنها لا تفهم، لم تفهم أكثر مما كانوا يفهمونه، لما فعلت ذلك، ولكنها تعرف أنها فعلت ذلك، وحيث أنها فعلت ذلك، فكانت تعرف في قرارة نفسها أنه يجب أن يكون هناك سببا عاجلا ملحّا لذلك. فالمشهد بالضرورة أكثر وضوحا من الداخل مقارنة بالخارج.

عثروا على السكين في الزاوية ووضعوه كدليل. جردوا الأثاث وقاموا بقياس الغرفة بالسنتيمتر ورسموا رسما تخطيطيا ووضّحوا عليه مواضع الجثتين. وأملى الطبيب التقرير.

ثم ظهر المفتش وأمر رجال المباحث بفحص كل الغرف.

كانوا في انتظار هذا. وكمثل قطيع يسير وراء صافرة صيّاد ساروا بتتابع، وعاثوا فسادا في كل غرفة من غرف الشقة، تفحّصوا كل شيء وصفقوا جميع الأبواب. مزق أحدهم غطاء الأريكة وانحنى برأسه إلى الأسفل كما لو كان يبحث عن شخص ما. رفعوا غطاء البيانو وتفحّصوا حتى الطعام المتبقي، فلقد بحثوا بفضول في الكعك المثلج ونقّبوا في الكريم بواسطة ملعقة طويلة. فمن المؤكد أنهم كانوا يبحثون عن نقود وأشياء قيمة مسروقة. لم يجدوا شيئا.

حطموا سرير آنا في المطبخ ووجدوا أمتعتها ملفوفة في منديل على أحد المقاعد. وجدوا في تلك الحزمة كل ما جلبته معها إلى المنزل، زوج من المناديل الممزقة وبعض الأحجبة ومرآة اليد والمشط الحديدي والبوق اللعبة وحقيبة ورقية مليئة بالجوز المحروق، كل ما كان مفقودا هو فستانين وزوج الحذاء الرجالي ذو الأربطة. كانت تلك الأشياء قد بليت منذ فترة طويلة.

ذكر أحد رجال المباحث للمفتش "فراشها منظم."

قال المفتش "هذا مهم، دوّن ملاحظة على ذلك. فلم تكن تنتوي الذهاب إلى الفراش. فلقد خططت لذلك مسبقا."

أحضر آنا أمامه من مكانها بجانب المدفأة، وجعلها تقف أمام النافذة لتواجه ضوء الصيف القوي.

سألها "هل فعلت ذلك؟"

"أنا ..."

"لما فعلت ذلك؟"

"أنا ... أنا ..."

تذمّر المفتش قائلا "ما كل هذه ال 'أنا'؟ 'أنت تعيدين نفسك. لقد سألتك لما فعلت ذلك؟ لما؟"

"أنا ..."

"هل تحملين ضغينة ضدهم؟ أردت الإنتقام؟ هل أضرّوك؟ لابد أن يكون هناك سبب."

قطبت آنا جبينها المتجعّد الصغير ولكن الذي نضج قبل أوانه. ظلت تهز يديها بقوة وتتنهد. قالت "آه يا عزيزتي، آه يا عزيزتي،" ومررت يديها مرتين على شعرها بالطريقة الذاهلة المتكلّفة التي تعلمتها من سيدتها.

قال الطبيب الشرعي شيئا للمفتش. لقد جعلها الطبيب تقف بالقرب من النافذة. رفع كفه أمام عيني الفتاة ثم أبعدها،

مرة، مرتين، ثلاث مرات كما لو كانت لعبة. وضع يديه وراء أذنيها وضغط بقوة على المنطقة التي تقع خلف فصي أذنيها. سألها عن هذا وذاك. أجلسها على مقعد ونقر على ركبتها. لاحظ في ذلك الوقت أن هناك بقعتين من الدماء مثل زهرتي الخشخاش الصغيرتين على فستانها.

أوضح الطبيب "إنه وقت عادتها الشهرية." اختلس حشد الرجال نظرة خجولة على آنا ثم نظروا بعيدا بسرعة.

"ومن ناحية أخرى ليس هناك أية آثار من الدماء على ثيابها." قالها المفتش حينما كان الطبيب يواصل فحصه برفع يديها وتركهما يهبطان مرة أخرى.

"هنا فقط. وهنا. هل ترى؟" سألها "هل اغتسلت؟ أين اغتسلت؟" وقال للآخرين "سيجردوها من ملابسها في المحطة على أي حال."

تحدّث السادة مرة أخرى فيما بينهم. يتحدثون ويكتبون. كانوا دائما يتحدثون ويكتبون.

ضايقها المفوض "ماذا كنت تعملين في وقت النظام الشيوعي؟ أين كنت تعملين في ذلك الوقت؟ لحساب من؟ ماذا كانوا يعملون؟ ألم يكن لديك حبيب شيوعي؟ بعض الإرهابيين الذين يكونوا قد تركوا بعض المستندات معك؟ مستندات ثورية؟"

كان عليهم العودة إلى دافع السرقة، على الرغم من أن ذلك كان على الأرجح صعبا حيث أن النقود والأشياء الثمينة ظلت دون مساس.

واصل المفتش تحقيقه "ماذا سرقت؟ كوني فتاة جيدة وأخبرينا. أين أخفيتي المسروقات؟ سيكون هذا من الأفضل

بالنسبة لكي يا عزيزتي. فسوف نعرف كل شيء في النهاية على أي حال."

أمر بتفتيشها.

قال الشرطي بصوت عال "ارفعي يديك." رفعت آنا ذراعيها بشكل غير متقن فكان مرفقاها مائلين قليلا.

قال الشرطي "افردي ذراعيك."

ففردتهما ولثانية ذكّرتهم القاتلة الصغيرة بتمثال ديني قديم أخرق، وهو يرفع السماء عاليا.

قام رجال المباحث بالتفتيش الجسدي. كانوا يبحثون عن السكاكين والبنادق. ركضت أصابعهم على صدرها وتنورتها. من الأمام والخلف.

قالوا "لا شيء، لا شيء."

وفي ذلك الوقت كانوا قد انتهوا من تفتيش المبنى وكان يمكن للسيارة أن تأتي وتأخذ الجثث. كان الطبيب الشرعي والمفتش يوقّعان على بعض الاستمارات على الطاولة. التفت المفتش لرجال المباحث وأمرهم بإدخالها.

كانت آنا لا تزال رافعة ذراعيها إلى أعلى. لم يكن هناك أي منطق في ذلك حيث أنهم قد نسوها. أشار إليها رجال المباحث كي تخفضهما.

"هيا بنا."

لم تتحرك. فأمسك أحدهم بذراعها لكنها دفعته بعيدا بشكل عفوي. توقّف المفتش الذي كان يسير هنا وهناك.

أمر رجل المباحث "كبّلها." فوضع معصما فوق الآخر وطوقهما بالمعدن، ثم أغلق القفل بهدوء. دعته آنا يفعل ما يشاء، وحدّقت بفضول في يديها المكبّلتين.

كان زوجا جديدا من القيود، لا يزال لامعا، كانت السلسلة رخيصة ونحيلة لكن قوية. كان من المستحيل كسر الروابط. تصورت أن القيود ستكون أكثر سمكا وصدءا وبها كرة خرقاء في طرفها. ومع ذلك بدا الأمر وكأنها تعرفت عليها من مكان ما، من الماضي المظلم، ربما من الأساطير الشعبية، قصة فيها القصر الملكي يحيل دائما إلى السجن. فلم تعد تستغربها. حدّقت فيها بلا مبالاة ووقفت هناك كما لو كانت قد اعتادت عليها، وكانت ترتديها دائما.

ارتدى رجل المباحث سترته السوداء وقادها إلى الخارج. كان الناس يتهامسون في الممر: "... القاتلة ... انظر إنها القاتلة ..." كانت ستيفي وايتيل تستندتان على معرض الطابق الثاني، وهما شاحبتان، صفقتا بأيديهما في دهشة. كان المنزل بأكمله يهتز.

وفي وقت لاحق كان هناك تابوتان أسودان يحملان على نفس الدرج إلى الطابق الأعلى.

رفعوا الجثتين وأخذوهما لمستودع الجثث كي يتم تشريحهما، ثم ينتقلان إلى التخزين البارد.

ولكن مفاجأة قادت إلى الأخرى. فبعد نصف ساعة عاد رجال المباحث وألقوا القبض على آل فيكسور حيث اشتبهوا في كونهم شركاء في الجريمة. وفي سياق التحقيق كان هناك بعض

التلميحات بأنهم قد يكونوا متحدين مع القاتلة، وأن أقاربهم قد يكونوا متورطين أيضا.

وفي المنزل المدمر اضطلعت ايتيل بواجبات الناظر وتولّى دروما القيادة العامة. أرسل ستيفي إلى مكتب البريد ومعها برقيتين: إحداهما لشقيق الراحلة السيدة فيزي في إيجر، والأخرى ليانسزي الذي عاد بالفعل إلى فيينا. كان على اتصال دائم بالشرطة. فهو الذي قابل الصحفيين الذين بدأوا يتوافدون بأعداد كبيرة بمجرد انتشار الخبر. أرادوا محاورته ومحاورة الخدم أيضا، محاورة أي شخص قادر على توفير أي دليل حقيقي.

ومن ناحية أخرى تدمّر كل شيء. فلقد بذل موفيسزتر مجهودا ضئيلا للغاية من أجل الحفاظ على عيادته ثم ذهب بعد ذلك ليزور دروما. أمّا النزلاء، والذين كانوا يعانون جميعا من آثار حفل اليوم السابق، فلقد تجمّعوا معا خاملين ومرتعشين. قدّمت السيدة دروما القهوة بالحليب وأقراص الخبز للزوار، والذين كانوا جميعا مشغولين طبيعيا بالأحداث المروعة.

قالت السيدة موفيسزتر باكية "لا أفهم، ومع ذلك أحاول، لا أفهم، لا يمكنني حتى استيعاب ما حدث. فتاة من هذا القبيل، مثل هذا المخلوق اللطيف ..."

قالت السيدة دروما "كان لدي شكوكي تجاهها لبعض الوقت، كان هناك نظرة خبيثة في عينها. كان لديها وجه ماكر."

"ولكنها ظلت معهم لما يقرب من عام كامل. وعرفناها جميعا. لقد كانت تبدو جديرة بالثقة."

"انتظر!" وضعت السيدة دروما يدها على جبينها. "لقد تذكرت للتو. كان لدي مقصا صغيرا للأظافر. كنت مولعة به جدا. لقد اختفى بعد عيد الميلاد. لقد بحثت عنه أنا وستيفي

لأسابيع. هل تذكر عندما أخبرتك أنني لم أجده؟ لم يكن لدينا فكرة عمن يكون قد سرقه. على كل حال لا يأتي أحد إلى هنا. ستيفي لا تسرق، وايتيل أيضا. إذا فهي الحقيقة: لقد أخذتهم."

"هل تظنين ذلك؟"

"نعم يا عزيزي. أنا مقتنعة بذلك. فالشخص الذي يستطيع القتل يستطيع فعل أي شيء. هذا ليس مجرد لهو؛ فأنتم تعرفوننا، فلسنا كذلك، شكرا للرب. لكنني أراهن بحياتي على ذلك: لقد أخذت ذلك المقص."

تمتمت السيدة موفيسزتر "ذلك لا يصدق، إنه لمخيف حقا بالنسبة للمرء أن يدرك أنه لا يعرف الأشخاص الذين يعيشون معه تمام المعرفة. هذا يجعلني أرتجف."

كان هناك جو عصبي مهيب في الغرفة. أجلست السيدة دروما طفلها الصغير على ركبتيها وقبّلته وارتجفت وهي تتطلع إلى غرفة الطعام الآنيقة بكل ما فيها من وسائل الراحة التابعة للطبقة المتوسطة. وقف زوجها. فهو لم ينس تجربته التي مر بها في فترة ما بعد الظهر، ما شاهده بعينيه. بدأ في إلقاء خطبة.

"لقد سموا روح الأمة المجرية كلها. الحقراء الأوغاد. كان لا يمكن تصوّر ذلك من قبل. مثل هذا الفعل الوحشي. ولكن هذه هي نتيجة كل تلك الدعاية الشيوعية، كل تلك المذاهب التحريضية. تلك هي آخر قذائف البلشفية."

أضاف موفيسزتر "والحرب."

بدأت السيدة موفيسزتر كلامها قائلة "أعتقد أنها يجب أن تكون مجنونة. فالشخص العاقل لا يتصرف بتلك الطريقة. ففي النهاية ليس لديها دافع وهو أمر لا يمكن تفسيره."

أجاب دروما بحجة معاكسة "لا يمكن تفسيره؟ أستميحك عذرا يا صاحبة المقام الرفيع. فمن السهل قول ذلك. وماذا عن

روحين بشريتين؟ ينبغي أن يعدموها. وأنت يا ميكلوس؟ هل تعتبر ذلك أمرا لا يمكن تفسيره؟"

"في الوقت الراهن فهي التي ارتكبت ذلك، بالتأكيد. ولكن على أي حال ..."

"هل سمعت ذلك؟ حتى زوجها يعتقد ذلك، على الرغم من أنه طبيب. حسنا، دعونا نذهب جميعا لنقتل! كلا، اعدموها، حتى ولو كانت مريضة. يجب أن نقتلعها كما لو كانت نبتة سامة. لقد اشتركوا في الأمر جميعا: فيكسور، ذلك الوغد البلشفي، وزوجته، والعصابة كلها. لن يمكنك علاج هذا بشيء من الخرافات الطبية من خلال الزعم بأنها حامل، أو أنها عصبية للغاية؛ أنت تحتاج إلى بصيرة قانونية مناسبة. فكّر فيما يمكن أن يحدث للمجتمع. أنا أصر، يجب علينا أن نحرق بيت الأفاعي هذا، يجب علينا إبادتهم، كلهم. لو أعاق شخص ما النظام الاجتماعي فيجب عليه أن يدفع ثمن ذلك. يجب ألا يكون هناك رحمة. اشنقوها، أقولها. اشنقوها ..."

بدأ صبي عائلة آل دروما الصغير في التباكي بين ذراعي أمه. أوقفته على الأرض وسارت معه جيئة وذهابا لتهدئته. كان دروما متوتر أيضا. أين كانت ستيفي طيلة هذا الوقت؟ فعلى أي حال كان يجب عليها فقط أن تركض إلى مكتب البريد في الشارع الرئيسي.

تسللت الآن فتاة إلى داخل المنزل وصعدت الدرج المظلم. ركضت بصمت كالشبح إلى الطابق الأول. ظلت على مقربة من الجدار. لم يرها أحد. توقّفت أمام باب شقة آل فيزي والتي تحمل الآن ختما كبيرا تابعا للشرطة، وقرعت الجرس مرارا وتكرارا.

انتظرت لدقائق، وعندما لم يأت أحد جلست أمام الباب وانفجرت في بكاء مرير. ركضت ايتيل إلى آل دروما.

لهثت قائلة "برجاء النزول، كاتيكا هنا."

كرروا "كاتيكا؟"، كانوا مندهشين إذ بدا كل شيء في هذا اليوم المشئوم وكأنه ينذر بكارثة. "من هي كاتيكا؟"

"إنها الفتاة التي كانت تعمل خادمة لدى آل فيزي."

همهم دروما بعصبية "ماذا تريد من هذا المكان؟" لما لم تكن البوابة مغلقة؟ من سمح لها بالدخول؟"

تجمّعوا في الممر. فلقد تحرّكوا جميعا إلى هناك كي يروا الخادمة، الخادمة السابقة، في تنورتها البيضاء وقميصها الوردي وحذائها المذهون وهي تجلس أمام باب مخدومها المتوفى وكأنها تمثال حي يرمز للإخلاص، شبح يتباكى بصوت عال.

همست ايتيل "إنها ترثيهم،" ونزلت دموعها أيضا من زاوية عينها. ففي الواقع كان المشهد مؤثرا بشدة، جميلا جدا وغير عادي، فربما كان الفصل الأخير من رواية جيب رخيصة. فحتى الحشد المتنوع من الغرباء الذين شقوا طريقهم إلى الدرج وجدوا المشهد رائعا.

أمر دروما ايتيل أن تذهب إلى الأسفل وأن تطرد المتسللين وأن تغلق البوابة وتحضر الفتاة إلى الأعلى. كانت كاتيكا شديدة الحزن. فظلت الدموع الساخنة تجري على خديها. ربتت ايتيل على ظهرها.لقد كانت بحاجة إلى مساعدة جسدية هائلة لتصعد الدرج ومنه إلى مطبخ آل دروما. وهناك أجلسوها. ولكن لم تكد تفتح فمها لتتحدث حتى بدأت تنتحب مرة أخرى. وفي النهاية، ومع بعض الصعوبة، تمكنت من توضيح كيفية وصولها إلى هنا.

أخبرتهم أنها قرأت الخبر في الصحيفة المسائية، فبدّلت

ملابسها على الفور وركضت بأسرع ما بوسعها كي تلقي النظرة الأخيرة على سعادتهما. فالأفراد الصالحين لا يعيشون أبدا.

لهثت قائلة وهي تتلهف للحصول على بعض الهواء "كنت أعرف أن ذلك سيحدث، شعرت به، وحلمت به."

سألتها ايتيل "ما الذي حلمت به، عزيزتي كاتيكا؟"

بكت قائلة "حلمت أنها كانت عروس."

"السيدة الشريفة؟"

"كانت عروس جميلة شاحبة. بوشاح أبيض وإكليل على رأسها."

"هذه علامة سيئة. فحفلات الزفاف دائما ما تعني أخبارا سيئة."

"وكنا منشغلين بالطهي والخبز، فلقد ذبحنا الكثير من الدجاج فكانت الدهون تقطر إلى حد ما."

"والإستقبالات أسوأ من ذلك."

"كنت أريد حقا أن آتي وأحذّرها. آه لو كنت أتيت! آه لو لم أترك العمل أبدا! أفضل مكان في بودابست بأكملها."

مسحت كاتيكا أنفها. كان منديلها مشبّعا كقطعة قماش الغسل.

ولكي تلهيها عن حزنها، سألتها السيدة دروما "وأين تعملين الآن يا كاتيكا؟"

"قريبا من هنا. إنه مهندس في مصنع الغاز." وانفجرت باكية من جديد.

"تعالي إلى هنا الآن، تعالي إلى هنا. لا دموع ثانية. انظري، ها هي ستيفي."

سكبت بعض القهوة بالحليب في كوب ووضعت فوقها كريمة سميكة غنية وقدّمتها لها.

"احتسيه، عزيزتي كاتيكا. هناك أيضا بعض أقراص الخبز اللذيذة الطازجة. عزيزتي ستيفي، اسكبي بعضا من القهوة لكي، فلم تتناولي حتى الشاي بعد. أحضري بعضا من الفاكهة، ستجدينها في البوفيه. ماذا عنك، ايتيل. ألا ترغبين في فنجان من القهوة؟ هيا، جميعكم، احتسوا شيئا. ماذا يمكننا أن نفعل؟ للأسف، ما حدث قد حدث."

تركوا الخادمات مع بعضهن البعض. جلست الخادمات الثلاث صامتات وعيونهن محمرّة. كان الحزن متملكا من كاتيكا. كان دقيق الأرز السميك على وجهها قد امتص وبدأ في التخثر. ولكن حينما سال لعاب الخادمتين الأخريين وهما يصفان جريمة القتل أثير اهتمامها. فحتى مع خيالها المحدود أمكنها متابعة الأحداث، وارتبطت ارتباطا وثيقا بمسرح الجريمة. فلقد ظلت تسأل عن تفاصيل أكثر وكان فضولها لا يشبع. وفي وقت لاحق، عندما لم تجد الفتيات شيئا لتقوله، كررت بنفسها القصة كلها، ودخلت في روحها إلى الحد الذي جعلها تعيش تلك التجربة كلها بالرسوم والصور، وشعرت برعب واضح كما لو أنها كانت هناك. كانت تشعر بالأسف فقط لأن الجثث المسكينة تم نقلها بعيدا قبل وصولها. كانت تود أن تراهم مرة أخرى، أو على الأقل السيدة الشريفة، المتجمدة في دمها، في فراشها الذي أعدته لها بنفسها في كثير من الأحيان.

قال دروما "أترون، هذا يدل على ماهية هؤلاء البشر. فحتى لو كانت خادمتهم السابقة مبتلية بكل هذا الحزن، فلا يمكن أن يكونوا بمثل هذا السوء. على أي حال، ما هي ماهية كاتيكا؟"

أجابت زوجته "فتاة صالحة، تعمل بجد، وبقدر ما أعرف، كانت جديرة بالثقة من الناحية الأخلاقية. كانت أفضل خادمة لديهم. لا أفهم لِما سمحوا لها بالذهاب في المقام الأول. فلو كانت قد بقيت فالأمر كله بالتأكيد لم يكن ليحدث. ألا تعتقد ذلك، سيدي الطبيب؟"

أجاب موفيسزتر وهو يفكّر بعمق "ربّما، ربّما."

(١٩)

لمـــاذا

سرعان ما نسيت تلك الأحاسيس. فلبضعة أيام عندما كانت الأخبار ساخنة كان الجميع يتحدثون حول هذا الموضوع، ثم تبخرت حرارته.

كان هذا هو الحال في هذه القضية. في البداية كان الموضوع يناقش بشكل حاد في جميع أنحاء المنطقة، بدون أي نتائج واضحة وفقا أسبابه. أصبح متجر فياتوريسز للخضروات والفاكهة موطنا للنميمة. فيوم بعد يوم تناقش السيدات والخادمات هذه الواقعة مع أحواض الصودا الكاوية وأكياس الفول. كان السؤال الذي يسأله الجميع لأنفسهم ولغيرهم هو "لماذا"؟ لكن لم يكن لدى أحد إجابة مرضية، لا لنفسه ولا لغيره.

أظهر المجتمع تضامنه من خلال حضور الجنازة بأعداد كبيرة، والتي في نهايتها رقد الضحايا بجانب ابنتهم الوحيدة، بيروسكا. ونظرا للزحام أحضرت الشرطة كي تحافظ على النظام. ركض أولاد الشوارع خلف النعوش على أمل أن ينجحوا في انتزاع زهرة من أكاليل الزهور المتعددة، يزيحون بعضهم البعض في تلك المهمة. اتخذت الخطب التي ألقيت في ساحة القبور نبرة سياسية معينة. وقد لوحظ وجود عدد من

المشاهير في الموكب، ناهيك عن الضيوف الذين حضروا الجنازة وأقارب المتوفين والسيد والسيدة باتيكاريوس القادمين من إيجر. يانسزي فقط لم يكن موجودا. فعلى ما يبدو لم تصله البرقية. ومن ناحية أخرى، كانت ايتيلكا فيزي، شقيقة كورنيل المبعدة، والتي اعتادت على بيع السجائر المصرية الزائفة، تنتحب من وراء حجابها، وترثي شقيقها بصوت عال، شقيقها الناجح القوي.

اعترفت آنا في قسم الشرطة وألقي القبض عليها. أخذوا بصماتها، وجعلوها تجلس من أجل التقاط ثلاث صور فوتوغرافية لها، ثم اصطحبوها لمكتب المدعي العام في السجن الكائن بشارع ماركو. وبمجرد أن خطت إلى الداخل شعرت بالجدران تنهار عليها.

رأت صرحا حديديا شاهقا يتلألأ في ضوء الفجر الرمادي. كان مليئا بالأبواب والدرج الحديدي والذي يرن ويقعقع باستمرار مثل طاحونة ضخمة تقوم بمهمتها إلى الأبد. أخذها حراسها إلى الطابق الثالث وحبسوها في زنزانة والتي كانت تحتوي على سرير وكرسي وطاولة وخزانة، لكنها كانت نظيفة نسبيا، وأكثر نورا واتساعا من مطبخها. أمكنها بالكاد أن تصدق أن هذا سجن. فكانت تعتقد أن السجن عبارة عن مكان ينام فيه السجناء على خيش، بينما تحملق فيهم الثعابين والضفادع في الظلام. جلست على الكرسي. لم تبك لكنها قضت وقتا طويلا في التفكير. وفي المساء ركعت عند سريرها وصلّت.

وحتى بعد دراسة تقارير الشرطة بدقة، لم يكن لدى قاضي التحقيق فكرة أوضح عن أسباب ودوافع الجريمة أكثر من تلك التي لا تتألف معلوماتها من شيء سوى النميمة العارضة.

أمّا مكتب المدعي العام فاعتقد أنه من المهم الحصول على صميم هذه القضية المعقدة، والتي قد يكون لها عواقب سياسية بعيدة المدى، وخصوصا الآن، بعد فترة وجيزة من انهيار البلشفية، عندما لم يتم استعادة النظام بعد بشكل قاطع. قام قاضي التحقيق بمهمته تعتريه رغبة كبيرة. ولكن كلما زادت معلوماته كلما أصبح فهمه أقل. كانت مجموعة من الطرق مسدودة، واحدا تلو الآخر.

كان الشأن الأول هو فهم دور النظراء. لقد وضعتهم الشرطة في الحبس الاحتياطي. أقسم آل فيكسور بأنهم أبرياء؛ كانت احتجاجاتهم محتدمة لدرجة أنه في اليوم التالي لم يعد لديهم شيئا ليقولوه. تألف دفاعهم من تشويه سمعة آنا: لقد كانت ماكرة، فتاة كتومة، قادرة على فعل أي شيء. على أي حال لم يكن هناك أي دليل ملموس ضدهم. شهد الصبي المضطلع بتوصيل البضائع إلى المنازل في متجر فياتوريسز أن فيكسور أخرجه بغضب، وأخبره ألا يقرع الجرس لأنهم كانوا لا يزالوا نائمين. وبعد سهرة كبيرة لم يشر رد فعل فيكسور بالضرورة إلى سوء نية. وبعد يومين أفرج عنهما قاضي التحقيق، لكنه كان يفحص المتهمين كل يوم.

عندما جاءوا إليها في المرة الأولى صلبت آنا نفسها واستعدت لتسلّم روحها إلى السماء معتقدة بأنهم سوف يأخذونها مباشرة إلى منصة الإعدام. فعلى العكس، أحضروها إلى رجل أصلع قليل الجسم والذي يضع دبوسا في رباط عنقه المطاطي ويرتدي خاتما ذهبيا كبيرا في إصبعه المشعر. اعتقدت آنا أن ممثل العدالة المرهق هذا والذي يتقاضى أجرا قليلا هو رجل عظيم جدا وغني للغاية. بعد ذلك رأت أنه لم يكن رفيقا سيئا. لقد تحدّث معها بلطف ورقة وتعوّدت عليه، أو بالأحرى

أرهقت من الحديث معه، لأنه ظل يزعجها بأسئلته. كان عليها أن تكرر مرارا ما كانت تفعل في هذا الوقت وفي ذلك الوقت. شجّعها أن تتذكر الأشياء الأخرى التي كانت صعبة للغاية، وأخبرها أنه سوف يساعدها في كثير من الأحيان لأنه يتذكر كل شيء بشكل أفضل بكثير. كانوا قد صنعوا الآن صورة لتسلسل الأحداث في تلك الأيام الأخيرة، من ساعة إلى ساعة ومن دقيقة إلى أخرى.

نظرت آنا مباشرة في عينه، كانت لا تبدو موهنة ولا متحيّرة. لم تنكر شيئا، على العكس، فأحيانا كان يبدو أنها تتهم نفسها. أنهى قاضي التحقيق تقريره في التحقيق، مع إيلاء اهتمام خاص بشركاءها المحتملين، على الرغم من أنه لم يعد من المرجح أن لديها شركاء. توافقت الحقائق ولم تغيّر المتهمة اعترافها منذ أن أخذت إلى السجن. كان السؤال الوحيد الذي لم تستطع الإجابة عليه هو لماذا فعلت ذلك.

استجوبوا سكان المنزل بدورهم. بدت كلمات دروما الأكثر أهمية. لقد رأى الفتاة في ليلة وقوع جريمة القتل، وهي تبحث في البوفيه والجارور والذي، وفقا إلى شهادته، أخذت منه السكين، كما رآها تندس في دورة المياه بينما كان الضيوف يغادرون.

ألقت ايتيل بخطاب مطوّل ومتخبط والذي كان يحتوي على تفصيلة لافتة للنظر. ففي بعد ظهر أحد أيام الأحد في فصل الربيع خرجت مع آنا لزيارة قلعة على جبل جيليرت. استلقت آنا على العشب واستسلمت للنوم. وبعد دقائق قليلة استيقظت، مذهولة، وبدأت تركض وهي تلوّح بذراعيها وتصرخ كالمجنونة. لم يعرف أحد ماذا أصابها. لقد توقفت فقط

عندما صرخت ايتيل في وجهها، وحتى ذلك الحين ظلت ترتجف لفترة طويلة.

ومن جانبها، كانت ستيفي قد قابلتها قبل اسبوعين من ارتكابها جريمة القتل في شارع مارفاني وهي تحوم حول المنزل الذي كان السيد يانسزي يعيش فيه. لاحظتها آنا وركضت على الدرج، وعندما سألتها ستيفي فيما بعد عما كانت تفعل هناك لم تستطع إعطاء جواب مترابط منطقيا. فحتى الآن آنا غير قادرة على تفسير الحادثة. استدعى قاضي التحقيق يانوس باتيكاريوس لكنه لم يكن في شقته في فيينا، ووفقا لشرطة فيينا، "لم يترك عنوان تتم مراسلته عليه". كان يقطن مع راقصة بولندية، لكنها تركت المسكن ذو الخمسة غرف، وعادت إلى وارسو. لم يبد أي من هذا ذو أهمية خاصة حيث أن يانوس باتيكاريوس لم يزر بودابست لأكثر من ستة أشهر.

قاموا باستدعاء والدي المتهمة أيضا. وصل استفان ايدز في القطار عند الفجر، ومعه حقيبة ودجاجتين. تلته فلاحة أنيقة، أصغر سنا منه بكثير وكانت ترتدي خفا جلديا أحمر.لم تكن تحمل أي شيء. وحيث أن الوقت كان مبكرا وأنهم لا يعرفون طريقهم في البلدة، استفسروا في فيرميزو حيث يقع منزل آل فيزي، واستقروا أسفل الدرج، في انتظار استيقاظ آل دروما. قدّموا الدجاجتين ووعاءا من الكريم وبعض اللبن الرائب الطازج للمحامي الشريف قائلين أنه من الجيد إخفاء شيء عند وجود ركود في مهنة المحاماة. أوضح دروما لهم من أين يجب أن يحصلوا على الوثيقة الرسمية.

تفحصهم قاضي التحقيق أيضا. كان والد آنا عاملا يوميا نحيلا ومقوّس الظهر إلى حد ما، اجتاز الخمسين من عمره بكثير ولكنه لم يكن أشيب. كان شعره الأشقر قد بهت فقط، وأصبح

إلى حد ما رماديا كالهشيم مع مضي الوقت. لوّى قبعته في يده وهو يجيب على أسئلة قاضي التحقيق، ولكنه ظل يلقي نظرة خاطفة على زوجته بعين معتلّة والتي تحمل تعبيرا يتناوب بين التواضع والمكر. ولكونه فلاحا لم يدهشه شيء. فمآسي الحياة الكبيرة مثل جريمة قتل، يتقبّلها بشكل طبيعي كما يتقبل الولادة والموت. ولكن الثعلب القديم حاول تغطية هذا الأمر. فتحدث بشفقة بالغة، كان صوته يئن ويتملّق كما لو كان يرتّل الطقوس الأخيرة في جنازة. فذكر كيف تزوج زوجته الثانية منذ أربع سنوات، وكيف أن ابنته، تلك الفتاة الفاسدة الشريرة، كانت دائما هكذا، عنيدة ومتمردة، وكانت سبب الكثير من المتاعب في المنزل أيضا، وهذا هو السبب وراء إرسالها بعيدا إلى بست لتكون خادمة. ظلت زوجة الأب، النظيفة، المجتهدة، ذلك الشيء الصغير الجذّاب، تومئ برأسها. كان لديها شيء لتضيفه إلى شهادة زوجها. اتكأت بثقة نحو القاضي ووصفت برعب كيف ضربتها آنا ذات مرة بمنجل، وربما كانت ستقتلها أيضا لولا تدخل والدها. كانت تثرثر بلا كلل أو ملل، بطاقة لانهائية واضحة. لكنها بعد ذلك بدأت تناقض نفسها. قيّم قاضي التحقيق الوضع وأرسل كلاهما إلى المنزل.

درس الحالة العقلية للمتهمة. أحضر الاستشاري الطبي المسئول آنا إلى عيادته وأعدّ شهادة جاء فيها أن المتهمة كانت تعاني من فقر الدم لكنها مسئولة عن أفعالها تماما. وبعد وضع هذه الوثيقة في ملفه جنبا إلى جنب مع المستندات الأخرى كان قاضي التحقيق قد أكمل تحقيقه، وأرسل الملف إلى النائب العام الذي أعدّ الاتهامات. فكانت آنا ايدز ستحاكم على ارتكابها جريمتي قتل مع سبق الإصرار والترصد.

عيّنوا شخصا ما للدفاع عنها، وهو محام تافه مؤهل مؤخرا، تنحصر كل تجاربه حتى الآن في الموروثات ودعاوي الملكية والذي أقحم نفسه الآن في القضية عازما على تأسيس مهنته كمحام جنائي. قام بزيارات متكررة إلى موكلته في السجن. أراحها بإخبارها أنها لا ينبغي أن تيأس، وأنه سيعتني بهذه المسألة. تحدثت آنا إليه كما فعلت مع ضابط الشرطة وقاضي التحقيق. وفي وقت لاحق زارتها الأخوات ذوات الأحجبة الزرقاء من البعثة الدبلوماسية الدينية واللاتي قاموا بحثها على التوبة والاستسلام لمصيرها، وتركوا بعض الكتيبات الدينية والتي قد تكتشف فيها سلوى الإيمان.

عقدت المحاكمة في منتصف نوفمبر، ونظرا للاهتمام بهذه القضية استخدموا قاعة المحاكمة المركزية الكبرى.

كان يوما شتويا باردا مظلما. ارتفت أدخنة حرائق الغاز عاليا وصنعت غبارا أخضر في القاعة الكبرى. هتف الكتبة بأسماء الشهود بصوت عال والذي كان عددهم أحد عشر، ستة للمقاضاة، وخمسة للدفاع.

امتلأت مقاعد العامة المخطمة بالقاعة بفيضان من أصدقاء الضحايا ومعارفهم إلى اليمين. جلس جابور تاتار مع زوجته مباشرة وراء صف الصحفيين، وحيّا الشهود وهم يجتازوه كي يتخذوا أماكنهم في المقدمة. كانوا جميعا سكان عقار رقم ٢٣٨ بشارع أتيلا، سادة وخدم والكل.

وفي تمام التاسعة دخلت هيئة المحكمة: القاضي الذي سيرأس الجلسة (أو رئيس المحكمة) ومساعداه. قرع الرئيس جرسه. "أعلن افتتاح هذه الجلسة. سننظر قضية آنا ايدز المتهمة بالقتل. أين المتهمة؟ أدخلوها،" وأمر أحد الحراس بذلك.

أحضرت آنا إلى الطابق السفلي في الساعة الثامنة وكانت

تنتظر بصبر في زنزانتها. فتحت الأبواب، ووقفت هناك بفستانها المصنوع من قماش الكاليكو والذي أصبح رثا للغاية. اصطحبها حارسان ومعهما حرابهما الثابتة. لم تسر بل تعثرت بدوار حتى وصلت إلى مقاعد المتهمين أمام القضاة. تأكد الحراس الذين كانوا في أعقابها مباشرة من أنها كانت تجلس بشكل صحيح ثم ولّوا المحاكمة اهتمامهم.

استوعبت آنا الحشد والصور والأضواء وشعرت بدفء شديد. فالأشهر الستة التي قضتها في السجن لم يكن لها تأثير سيء عليها. أصبح وجهها مستديرا إلى حد ما كما هو الحال مع العديد من السجناء، وبدت بشرتها مثل الرخام بشحوبه الجوفية. فعكست جوا كبيرا من الهدوء.

سألها رئيس المحكمة "ما اسمك؟"، كانت عيناه تتحركان بالفعل أمامها لتتجه إلى واحد من زملائه على مقاعد هيئة المحكمة. "هل هذه أوراقك؟" وقرأ التفاصيل بنفسه على عجل. "عشرون عاما، غير متزوجة، ليس لديها أطفال، بلا صحيفة جنائية." أمرها دون أن ينظر إليها "اجلسي."

جلست المتهمة، وجلس الحارسان على كلا الجانبين، وأعقاب البنادق بين أقدامهم.

تمت قراءة نص الاتهام من ورقة قرمزية. بدأ النص: "آنا ايدز، كاثوليكية رومانية، ليست ذات أملاك، مجرية ..." كانت قائمة طويلة والتي استغرقت قرائتها نصف ساعة. وفي غضون ذلك تفقد العامة القضاة الذين جلسوا على مقاعدهم العالية بدون شعر مستعار أو لباس القضاة، فكانوا يرتدون سترات عادية وأربطة عنق وياقات ثابتة، ولكن كان لديهم سلطة معينة غير شخصية. لو كانوا يبدون دائمي الشباب فهذا لأن موهبتهم الدنيوية الخارقة تتيح لهم رؤية الحقيقة بشكل أكثر

وضوحا مقارنة بغيرهم؛ تلك كانت دراستهم ومعيشتهم، وعندما يتوفون ستحمل شواهد قبورهم كلمة: قاض.

كان رئيس المحكمة يبحث في كتاب، وكان زميله الأكبر المقرر، الرجل طويل الأنف ذو الشارب والذي يرتدي منظارا يجمع الوثائق، في حين كان الرجل الأصغر القصير الممتلئ – والذي يسمى قاضي التصويت – مستندا بكوعيه على الطاولة وأراح رأسه الثقيل على يده اليمنى. فإلى يسار الرئيس بقليل كان هناك رجل صغير الحجم مشغولا بشكل واضح. لقد كان محامي الدفاع. حيّا والده ووالدته والأقارب الآخرين الذين جاءوا بأعداد كبيرة لمشاهدة مرافعته الأولى الرئيسية. ضلت الدعوة القضائية طريقها في أفكاره.

وبمجرد قراءة الاتهامات طلب الرئيس من آنا أن تقف. "آنا ايدز! هل تفهمين الاتهامات؟" حدّثها بصوت عال وواضح بالشكل الذي قد يتحدث به المرء مع رجل أصم أو مع شخص ما لا يحظى بنفس قدرة المرء الفكرية. "النيابة تتهمك بقتل ربيبي عملك. هل تقرين بأنك مذنبة؟"

أجابت آنا "أنا مذنبة." كان هناك همس في القاعة. حدّق المقرر في وجهها، وأسند قاضي التصويت رأسه على يده اليسرى بدلا من اليمنى.

واصل الرئيس كلامه بطريقة قصصية "في هذه الحالة، أخبرينا بالضبط ماذا حدث. بالتفصيل من فضلك. قبل أن تبدأي، اسمحي لي أن أذكرك أنك إذا اعترفت بجميع التهم فسيكون هذا في صالحك، ومن ناحية أخرى إذا أنكرت أيا منهم،" ورفع صوته مرة أخرى،"فستضرين فقط بموقفك، لأن لدينا ما يكفي من الأدلة لإدانتك بها جميعا. إذا، يمكنك أن تبدئي."

أشار المحامي لموكلته أن تبدأ. ولكنها وقفت هناك دون أن تتكلم، كانت غير قادرة على الكلام. بادر الرئيس بمساعدتها.

"أعتقد أنك كنت خادمة، وعملت لعشرة أشهر عند آل فيزي. ربما يمكننا أن نبدأ بمساء الحفل في الثامن والعشرين من مايو، 'الحادثة الكبرى'،" وحاول أن يثير العامة. "قضيت المساء في العمل."

"كنت أطهي."

"صحيح"، وأومأ الرئيس موافقا. "كنت تقومين بأعمالك المنزلية الروتينية. حضر الضيوف لكنك لم تخدميهم. و الآن، مضت فترة طويلة بعد انتهاءهم من تناول عشاءهم. كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل. أين كنت في ذلك الوقت؟"

"في المطبخ."

"هذا صحيح، هذا هو المكان الذي كنت موجودة فيه. كنت تبحثين بالفعل في خزانة الملابس وتفتحين الأدراج، وتبحثين عن السكين."

"لا أتذكر ذلك،" وارتعد صوت آنا وهي تحملق في محاميها الذي أومأ برأسه في وجهها وهو راض.

"سيؤخذ ذلك قرينة ضدها. ماذا فعلت بعد ذلك؟"

"ثم ذهبت إلى غرفة النوم."

"لا تدعي الأمور تختلط علينا. لم تذهبي إلى غرفة النوم بعد. حدث ذلك في وقت لاحق. غادر الضيوف أولا. في ذلك الوقت كنت تندسين في دورة المياه، تنتظرين، وتعدين للواقعة. ألا تذكرين أن السيد دروما قد نظر إلى الداخل ورآك هناك؟"

"كلا."

"لا يهم، سيتم إثبات ذلك أيضا في وقت لاحق. لدينا شاهد. دعونا نواصل. دعونا نعود إلى النقطة التي قمت فيها بتهوية

الغرف وأمرتك سيدتك بالذهاب إلى الفراش. ولكن بعد ذلك، بدلا من الذهاب إلى الفراش، انتظرت حتى يخلدا إلى النوم."

"وبعد ذلك ذهبت إلى غرفة النوم."

صرخ الرئيس بتلك الكلمات وهو يقرع بيده على الطاولة "كلا، كلا. لم تذهبي بعد إلى غرفة النوم!"

نقلت آنا قدميها وبحث عقلها جيئة وذهابا في محاولة لتذكر الماضي. وبدأت تشعر بدوار بسيط من جراء تلك الرحلة التي قام بها عقلها.

التصقت بمكانها فلقد وقف محاميها.

"أيتها الهيئة الموقّرة، هيئة المحكمة الموقّرة! فمع كل الاحترام أطلب من المحكمة استدعاء طبيب نفسي مرموق حتى يتسنى له من الآن فصاعدا تقييم الحالة العقلية للمتهمة. فاعترافها مفكك، غير مترابط، مرضي لدرجة أنه في رأيي الخاص فلا يمكن أن تتحمل المسئولية عن أفعالها."

تشاور الرئيس بهدوء مع زميليه القاضيين وأعربوا عن وجهة نظرهم.

"هيئة المحكمة ترفض الطلب. فالمستشار الموقّر بنفسه يعرف أن المتهمة قد تم فحصها عدة مرات من قبل متخصصين وأعلنوا أنها مسئولة عن أفعالها. على أي حال، أطلب من المحكمة تسجيل جميع مطالب المستشارين."

قال المحامي "بكل تواضع أسحب الطلب."
عاد الرئيس إلى الموضوع محل المناقشة، وواصل بعناية الاستماع إلى شهادتها ومساعدتها كي يقودها إلى الحقيقة، حتى ضل بنفسه الطريق في الظلام، وكان عليه أن ينتظرها حتى تقوده إلى أي مصدر للضوء على أمل أن يقوم هذا المصدر بتسليط الضوء على القضية برمتها. واصلا الحديث سويا مثل رجلين ضريرين مرتبطين بشكل وثيق، يقودهما الأول ثم الآخر، دون أن يريا أي شيء.

بدأ الحديث "إذا، فقط حاولي أن تتذكري. لما التقطت السكين؟ ماذا كان شعورك وأنت تفعلين ذلك؟"

كانت آنا صامتة. حاول الرئيس تفسير صمتها ووصف مشاعرها التي لا توصف وتوضيحها بمفردات صريحة.

"لقد شعرت بالغضب منهم، واندفعت الدماء فجأة إلى رأسك، فلم تعد تستطيعين السيطرة على أفعالك. يمكنك أن تكوني قد تذكرت كيف قامت المرأة بطردك، فأردت الإنتقام. ولكن لماذا؟"

مرة أخرى كان عليه الاستمرار.

"أو لم يثر ضميرك، ألم ترفع روحك صوتها احتجاجا، ألم تقدري ما كنت تفعلين أو ما هي العواقب المترتبة على أفعالك، والتي يتعين عليك أن تفسريها أمام الآنسان وأمام الله؟ فعلى كل حال، فأفعالك كانت خاطئة."

عند هذا النقطة، شعر الرئيس بأنه قد يكون هناك سر خفي، سر لا يعرفه أحد، ربما لا تعرفه المتهمة نفسها. لكنه استمر. كان يعلم أن الفعل لا يمكن تفسيره بواسطة أي دافع شخصي، ولا حتى مجموعة من الدوافع، وأنه وراء كل فعل يقف الشخص بحياته كلها، والتي لا تستطيع المحكمة فحصها. وحتى مع ذلك،

ففي حين أنه يعرف جيدا أن الناس غير قادرين على معرفة بعضهم البعض بشكل كامل، فلديه واجبه الذي يتعين عليه القيام به.

حث المتهمة قائلا "تكلمي، عندما دخلت غرفة النوم كان ربيبي عملك نائمين بالفعل. ماذا فعلت في ذلك الوقت؟"

"بعد ذلك ..."

قال الرئيس بصرامة "أكملي حديثك. تكلّمي. بعد ذلك ذهبت إلى فراش المرأة، وبينما كانت لا زالت نائمة قمت بطعنها في القلب بسكين. بهذا السكين هنا."

رفع السكين العملاق من بين المعروضات، ولوّح به في الهواء فخرجت صيحة رعب من أفواه الحضور في المحكمة، ثم رفعها أمام المدعى عليه، وسألها وهو لا يزال يقلّب السكين في يده مرارا وتكرارا "هل هذه هي السكين؟"

أجابت آنا "نعم"، وتراجعت إلى الخلف لأنها شعرت أن السكين قد التوى في قلبها.

وفي النهاية تمتمت موضّحة الطريقة التي وقعت بها الجريمة، ليس بكلماتها إلى حد كبير بقدر ما بالكلمات المستخدمة من قبل الشرطة وقاضي التحقيق. كانت متماسكة إلى حد بعيد بحلول نهاية محاكمتها.

كرر الرئيس "لقد قتلت سيدتك، قتلت المرأة التي تعطيك أجرا، المرأة التي لم تؤذيك. دعونا نكمل. ماذا فعلت بعد ذلك؟"

"ركضت إلى غرفة الجلوس."

"كلا، لم تركضي بعد. دعونا لا نتسرع. دعونا الآن نظل في غرفة النوم. لقد طعنت سيدك أيضا، شأنك شأن القتلة العموميين، طعنته تسع مرات بالسكين. هل هذا صحيح؟"

"نعم. ولكني لم أكن أريد أن ألحق الضرر بسعادته. لقد أفزعني."

"ما أفزعك كانت جريمتك، وضميرك، وبالتالي ارتكبت جريمة قتل أخرى. ماذا حدث بعد ذلك؟"

"ثم جاءوا ليأخذونني."

"كلا، بالطبع لم يفعلوا. كلا، لقد استلقيت على الأريكة الكبيرة وهناك ..."

"استسلمت للنوم."

"وأمكنك أن تستسلمي للنوم بعد قيامك بهذا الفعل البغيض؟! هل حتى ذلك الحين، لم تكوني واعية بما فعلت؟ بذنبك؟! لم تقولي شيئا لأحد ولكنك ظللت مختبئة هناك حتى تم كسر الباب. هل على الأقل، تشعرين بالأسف على ما فعلت؟ معذرة؟ هل تفعلين ذلك مرة أخرى؟"

صرخت آنا وهي مندهشة "كلا! كلا!"

قال الرئيس "يمكنك الجلوس."

كان شاهد الادعاء الرئيسي هو سزيلارد دروما، المحامي ذو الوجه الأحمر. وعندما وقف واقترب من هيئة المحكمة ازداد شعوره بالفخر بشكل واضح.

تجاهل القاضي الشكليات وقال "ألم يكن لديك خلاف مع المتهمة؟ "ألا تنتمي لعائلتها؟"

لم يجب الشاهد أبدا بل ابتسم بطريقة متعالية ردّا على هذا الاقتراح المسلي أنه قد يكون لديه أي صلة قرابة مع مخلوق مثلها.

وبشكل منهجي، لخّص الحقائق الموضوعية التي محت أية شكوك بشأن سبق الإصرار والترصد. فلقد أجاب على أسئلة النيابة العامة بإيجاز مستخدما مصطلحات تقنية مناسبة. فلقد

وصف كيف أثار سلوك الفتاة العصبي شكوكه بالفعل، وأنه منذ ذلك الحين راقبها بعناية، وأنه في الساعة الثانية صباحا فقط أمكن للمتهمة أن تسعى للحصول على سكين من درج المطبخ، سكين يجب أن تكون قد خبأته في مكان ما. ثم وصف كيف رآها للمرة الأخيرة عندما كانت تندس في الحمام، وأنه حتى عرض عليها بقشيشا لكنها تراجعت إلى الخلف وهي مذهولة واختفت في غرفة النوم.

وعندما تمت مواجهتها بتلك الأدلة، انهارت آنا واعترفت بذلك.

ولكن دروما لم يكن قد انتهى من كلامه.

قال "أطلب السماح لي بإلقاء بعض الضوء على الخلفية السياسية للمتهمة، والإشارة بشكل عابر"، وأشار إلى فيكسور وزوجته الجالسين وسط الشهود الآخرين، "إلى دور النظراء، فهؤلاء الناس معاليك، قد تصرفوا بطريقة بلشفية متطرفة إبان الشيوعية فكان آل المنزل جميعهم يعيشون وهم يشعرون بالرعب منهم. ومن ناحيتي أستطيع أن أرى كل ما يدعو للشك في أنهم كانوا المحرك الرئيسي والفكري ..."

قاطعه الرئيس "عفوا، كان هناك تحقيق بالفعل في هذا الاتجاه أيضا ولكن النتائج كانت سلبية. فالنيابة رأت أنه ليس من المناسب بحث ذلك." وألقي بنظرة خاطفة على وكيل النيابة الذي هز رأسه. "فليس لهذا صلة بالموضوع."

وقف دروما بجملته غير المكتملة معلقا في الهواء.

كان هناك جدال قصير بين مستشاري الدفاع والنيابة. فلقد طلبت النيابة العامة أن يؤدي الشاهد اليمين، واعترض الدفاع. فتحرر دروما من قسمه. وطلب الدفاع مرة أخرى أن يتم محو ذلك من السجلات.

ووصف أنتال سزوكس، الشرطي المحلي، بعض الحوادث ذات المغزى قبل التفتيش الرسمي لمسرح الجريمة، وأشار إلى ردود فعل المتهمة اللامبالية.

قالت السيدة دروما أن الفتاة كانت كتومة، وذكرت – بشكل عابر – موضوع مقص الأظافر المفقود. كما أعلت من شأن آل فيزي، وخاصة الزوج.

ظهرت السيدة موفيسزتر مرتدية تنورة مفتوحة ووضعت أحدث مكياج لها لأول مرة، والذي كان يمكن أن يكون مناسبا لعرض مسرحي صباحي. تحدثت بطريقة مسترخية وتدللت مع ممثل النيابة. وفقا لها فالفتاة غير كتومة، ولكنها بالأحرى صريحة وممتعة، ولقد ذهلت من قدرتها على فعل ذلك الشيء حيث أن سيدتها كانت ملاكا حقيقيا، وما هو أكثر من ذلك أنها كانت مولعة بها. كانت ستثرثر بسعادة ولكن، للأسف، سرعان ما انتهت شهادتها.

نصح الرئيس فيكسور قائلا حيث أنه من أقارب المتهمة فيمكنه، إذا أراد أن يرفض الإدلاء بشهادته، ولكن فيكسور أراد ذلك.

قال الرئيس "يجب أن أحذّرك أنك ملزم بقول الحقيقة، لأنني قد أطلب منك أن تؤدي اليمين، والقانون يتعامل بشدة مع الحانثين بقسمهم، بالسجن لمدة تصل إلى خمس سنوات."

ازداد شعور الناظر، والذي كان يترنّح بالفعل من خطاب دروما السابق، بالخوف من جراء ذكر عقوبة السجن لمدة خمس سنوات وأصبح أكثر حرصا من أي وقت مضى على إنقاذ حياته. فكرر كل شيء قاله لقاضي التحقيق في ذلك الصيف، وعندما حاول المحامي ضئيل الجسد إثارة غضبه عن طريق التشكيك في شرعية شهادته افتقدت جميع كلماته المنطقية.

"لو أذنت لي، ليس هذا هو الشيء الوحيد الذي قاله، فهناك العديد من الوقائع الأخرى. فذات مرة، حينما قامت السيدة الجليلة بطردها من المنزل بسبب المرآة التي كسرتها، جاءت إلينا بالأسفل وقالت أنها ستترك المنزل، ولكن قبل أن تفعل ذلك كانت ستقوم بعمل شيء ستأسف بنفسها عليه، فكانت ستحرق المنزل."

"متى قالت ذلك؟"

"بعد فترة قصيرة من من استلامها للعمل."

"هل أنت واثق من تذكرك لهذا؟"

"تمام الثقة."

"فكّر في الأمر. هل ستعيد ذكر ذلك بعد تأدية اليمين؟"

"أجاب فيكسور بتصميم حقيقي "سأعيده."

"وأدى اليمين وانحنى باتجاه هيئة المحكمة، انحناءة كبيرة لدرجة أنه كان من المستحيل بشريا الآنحناء إلى مستوى أسفل من ذلك.

ثم وقفت السيدة فيكسور للإدلاء بشهادتها. كانت السيدة البدينة ترتجف كالحلوى الهلامية. كانت تشعر بالأسف بالفعل نحو آنا وكانت تود أن تذكر شيئا لصالحها، ولكنها كانت خائفة من أن يناقض ذلك ما قالته سابقا.

سألها الرئيس "ماذا عنك الآن، سيدة فيكسور؟ ما هي ماهية الفتاة من وجهة نظرك؟"

"لو أذنت لي، كانت دائما من النوع المريب."

"ماذا تقصدين بالنوع المريب؟"

"كانت من النوع واسع الحيلة."

"تقصدين معك."

"ومع أي شخص آخر أيضا."

"ما الذي جعلك تعتقدين ذلك؟"

"كانت تفكر دائما في شيء ما."

"هل تعنين أنها كانت تفكر في أفكار شريرة؟"

"كلا."

"إذا ماذا؟"

"أعني أنها كانت دائما حزينة."

"ولكن في أقوالك أمام قاضي التحقيق قلت شيئا مختلفا. انظري. اقرئيه. ذكرت أنها ذات مرة كانت تريد بالفعل أن تقتل شخصا ما."

"نعم، عندما أصابت والدتها بالمنجل."

"هل رأيت هذا بنفسك؟"

"كلا لم أره بنفسي. سمعت فقط عن ذلك."

"ممن؟"

"من والدتها."

قال الرئيس بلمحة من الملل "تعنين زوجة أبيها. أعتقد أننا سمعنا ما يكفي عن هذا. دعونا نترك هذه النقطة."

"ليس لدي ما أقوله ضدها. لقد اعتادت أن تكون فتاة جيدة، ولكن ..."

"نعم؟"

"ولكن بعد ذلك كانت فتاة سيئة."

علّق الرئيس عندما انفجر الجمهور ضاحكا "إن المحكمة على علم بهذا بالفعل."

اعترضت السيدة فيكسور بعناد ذو مغذى "معاليك، سعادتك"، وكان من الواضح أنها تشعر بجرح في المشاعر، "يمكنني فقط أن أخبرك بما أعرف"، وعندما انفجر الجمهور

ضاحكا مرة أخرى، واصلت حديثها وهي تستشيط غضبا "يمكنني، من فضلك، أن أخبرك فقط بما أعرفه."

"شكرا لك، هذا يكفي. برجاء العودة إلى مكانك." وأشار الرئيس لها كي تذهب.

كانت الاعترافات تملؤها تفاصيل عديمة الجدوى من هذا القبيل، وتحولت بسرعة إلى مجرد نميمة، استدعى الرئيس الشاهد التالي. "ميكلوس موفيسزتر، الطبيب. أين هو؟ هل تلقّى استدعاء المحكمة ؟ إنه لم يطعن فيه. أين هو؟"

أين أنت بالفعل أيها الطبيب العجوز، يا من المفترض أنك على وشك الموت، مرضك غير القابل للشفاء، مع نسبة السكر لديك والبالغة ثمانية في المائة؟ هل توفيت بالفعل، أم أنك ترقد بلا حول ولا قوة، مستسلما للنشوة التي تسبق الموت والتي توجد في الحالات كحالتك؟ هل فقدت أنت أيضا؟ ألم يعد هناك من يعيش على هذه الأرض؟ إذا كنت لا تزال على قيد الحياة، إذا كنت لا تملك إلا شرارة الحياة، إذا فهذا هو المكان الذي يجب أن تكون فيه، إذا فمن واجبك الحضور.

لقد حضر. كان يجلس مباشرة في الخلف، تائها وسط الشهود الآخرين، تائها في معطفه المصنوع من الفرو في ذلك اليوم من شهر نوفمبر والذي تزداد فيه برودة الطقس كما لو كان الموت يقترب. استغرق الأمر منه بعض الوقت كي يتقدم إلى الأمام منحني الظهر ومتكأ على عصاه. كان جسده متقلصا إلى الحد الذي دفع بعض أفراد الحضور إلى الوقوف لرؤيته.

قال "حاضر،" وانحنى أمام هيئة المحكمة.

وعندما رأى حالته، قال الرئيس أنه يمكنه الجلوس للإدلاء بشهادته. فأمر أحد الحراس بإحضار مقعد له. إنه لن يقبل ذلك،

فعلى العكس بدا وكأنه سيقف بطريقة أكثر استقامة إلى حد ما، أو على الأقل بقدر ما يستطيع من الاستقامة.

سأله الرئيس "و الآن أيها الطبيب، هل أنت مستعد أيضا للالتزام بما قلته سابقا؟"

"نعم"، قالها موفيسزتر بشكل يكاد يكون غير مسموع، فقوّس القاضي أذنه كي يستمع إليه.

"يرجى توضيح وجهات النظر التي ذكرتها هناك للمحكمة."

بدا موفيسزتر كما لو كان يعد خطابا. وكان يحث نفسه على الاستمرار. ماذا تنتظر؟ قم بواجبك. أنت رجل واحد فقط. ولكن ما الشيء الذي يعد أكبر من الرجل الواحد؟ ليس رجلين، وليس ألف وليس أية إضافة أكثر من ذلك. تقدّم إلى الأمام الآن، مجرد خطوة واحدة - ثم - خطوة واحدة أخرى. لقد حان دورك. ارفع رأسك، موفيسزتر، كن قويا، فقط كن قويا.

قال القاضي "لم أسمعك، من فضلك ارفع صوتك قليلا."

لماذا أعلى قليلا؟ ليس أعلى قليلا، ولكن أعلى كثيرا. اصرخ بها - كان قلبه يخفق بسرعة - اصرخ بها كما صرخ بها الكهنة المسيحيون والشهداء القدامى، عندما تحدثوا ضد الوثنيين، في ساحات المقابر، في قبورهم، وهم يتضرعون إلى السماء، يتناقشون مع الرب نفسه بالأعلى، ذلك الرب العادل والصارم بشدة، طالبين الرحمة للبشرية المخطئة. ألم تكررها على مسامعك بهدوء، كل يوم، الصلاة قبل الوفاة. هل تذكر ما تقول؟ لا تلقي بمن يثقون فيك إلى الوحوش الطامعة. ولا تتخلى عن أرواح فقراءك. حاول الآن بنفسك أن تصرخ في

الساحة، أن يعلو صوتك فوق زئير الأسود، أيها المنتصر الشجاع.

أصبح صوته أكثر حزما. "إنني ألتزم تماما بأقوالي السابقة. لا يوجد لدي ما أقوله سوى ما قلته هناك."

قال الرئيس "نعم،" وهو يتصفح مجموعة من الملاحظات. "لدينا هنا ما قلته. لكننا نريد بعض الحقائق. ألم يعتدوا عليها بالضرب؟ ألم يمنعوا عنها الطعام؟ ألم يرهقوها بالعمل؟ ألم يدفعوا لها أجرا؟ أرى من هذه،" قال بسرعة، "أنهم حتى في عيد الميلاد قدموا لها هدية، على الرغم من أنها لم تكن ذات أهمية كبيرة. صدرية. ماذا لديك لتقوله؟"

ذكر موفيسزتر "كانوا يتصرفون ببرود تجاهها"، وأصبح صوته أكثر حزما مرة أخرى. "كنت أشعر دائما بهذا. لم يمنحوها أية عاطفة. كانوا بلا قلب."

"وكيف أظهرت تلك القسوة نفسها؟"

"من الصعب ذكر ذلك على وجه الدقة. ولكنه كان انطباعي بلا شك."

"إذا تلك هي مشاعر فقط أيها الطبيب، مجرد شكوك، ظلال ضعيفة من السلوك والتي يصبح من الصعب على هيئة المحكمة، حين تواجهها تلك الجريمة الوحشية المريعة، أن تأخذها في الاعتبار. فمن ناحية لدينا حقائق: حقائق دامية. كما أننا بحاجة أيضا إلى حقائق. إلى جانب ذلك، فالشهود الآخرين كلهم يختلفون معك. إنهم يتناقضون مباشرة معك. فوفقا لهم لقد

أحبها الزوجين واحترماها. ولم تشك المتهمة بنفسها، لا للشرطة ولا لقاضي التحقيق." قال لآنا "قفي يا فتاة، هل آذوك؟"
"كلا."

"يمكنك الجلوس. على أي حال كان ذلك مستبعدا إلى حد كبير."

انظر إلى الفتاة، موفيسزتر، كم تغرق مرة أخرى فاقدة للحس بين الحراس. ليس مشهدا جميلا، ولكن انظر إليها، وانظر إلى القاضي أيضا، وهو يضبط منظاره الكبير الرخيص على عينيه الزرقاوين المتجعدتين ويبدأ في حك أذنه حتى لا تخمّن أفكاره أو مشاعره. فهو مجرد ممثل للعدالة الدنيوية. لكنه يحاول بالفعل أن يرى الحقيقة بشكل موضوعي، يحاول أن يلقي نظرة واسعة بقدر ما هو ممكن بشريا. ألا تشعر – لقد شجّع نفسه – أنه في طريقه إلى إقامة عدل السماء أيضا وأنه بالفعل في صفك؟ دعه يتفاعل مع حججه لفترة من الوقت، فهو في النهاية واجبه، ثم تحدّث بنفسك مرة أخرى، لا تخف منه أو من أي شخص،لأن الله معك.

أعمل الرئيس عقله قائلا "حتى ولو انها كانت تتعرض لسوء المعاملة، إذا فهو حقها بموجب القانون أن تسجّل شكوى ضد أرباب عملها في أي وقت، كان يمكن أن تدوّن ملاحظتها وتغادر خلال خمسة عشر يوما."

"لقد أجبروها على البقاء."

"كيف أجبروها؟ لا يمكنك ربط شخص ما بواسطة الحبال."

"لقد كانت مخلوقة ساذجة لاحول لها ولا قوة."

فكّر الرئيس مليّا "هذا ليس سببا كي ترتكب هذه الجريمة المروعة،" ثم أضاف بصرامة أكثر "ليس عذرا."

سأله موفيسزتر، ناسيا نفسه "إذا لماذا فعلت ذلك؟" كرر بعناد "إن انطباعي، إن انطباعي هو أنهم لم يتعاملوا معها كإنسانة. فبالنسبة لهم فهي لم تكن إنسانة ولكن آلة. لقد حوّلوها إلى آلة،" ورفع صوته تقريبا إلى حد الصراخ "لم يعاملوها بشكل إنساني. كانوا بهيميين معها."

"يجب أن أوبخك على هذه الثورة."

تحرك الحضور بقلق وغمغموا بموافقة غاضبة على فعل الرئيس.

قال الرئيس "الهدوء من فضلكم،" وقرع جرسه بلا مبالاة. لمن يا ترى قرع ذلك الجرس القصير؟

تسائل المقرر "أليس لديك شيئا آخر لتضيفه؟"

"ليس لدي شيء آخر."

شعر الحضور بأن الطبيب كان على وشك الموت، على مشارف الشيخوخة، أو أنه على أي حال يعاني من إعاقة شديدة. في الواقع كان موفيسزتر معوّقا. كانت لديه إعاقة واحدة كبيرة، والتي بدونها لكانت مكانته قد تقلصت إلى لا شيء أو كانت قد ضلت طريقها في مساحات الروح الواسعة الخالية.

قفز المحامي الزئبقي ضئيل الجسد من مقعده وطلب من المحكمة السماح بتسجيل شهادة الشاهد بأداء اليمين، ولكن النيابة اعترضت على ذلك حيث أن شهادة موفيسزتر تتألف من عموميات عديمة الأهمية.

قام الرئيس باتخاذ قرار سريع.

"المحكمة ترفض الاعتراض. فليقسم الشاهد."

وقف الحضور في القاعة على الفور بصخب وحماس، كما لو كانوا في مسرح. حتى الرئيس وقف وهو يخاطب الشاهد، الذي كان ينتظر ويده اليمنى على قلبه ورافعا ثلاثة أصابع من يده

اليسرى.

"كرر ورائي." وأملى اليمين الرسمي.

"أنا ... أقسم رسميا ... أمام الله الحي الذي يرى ويعرف كل شيء ... أن ما قلته هو الحقيقة ... ولا شيء غير الحقيقة ... لم أهمل ... ولم أغيّر أي جزء منها ... لذا ساعدني يا إلهي."

كرر موفيسزتر ذلك بصوت عال وواضح. وسار متثاقلا عائدا إلى مقعده وسط غيره من الشهود، الذين تحرّكوا بعيدا عنه وهو يجلس. لم يلق موفيسزتر بالا إلى ذلك. فهو لم يكن واحدا منهم على أي حال. فليس منهم ولا أي شخص آخر من كان شيوعيا ولا برجوازيا، ولا عضوا في أي حزب، ولكن من الجنس البشري بصفة عامة، أولئك الذين عاشوا أو يعيشون، المتسرعين والموتى.

وسرعان ما غادر على أي حال، وتوجّه إلى عمله، ولم يكلف نفسه عناء الاستماع إلى بقية الشهود.

كان هناك القليل من الشهود المفيدين في الطريق. ايتيل، والتي كانت ترتدي ملابسها الخاصة بالطهي وستيفي التي كانت ترتدي قبعة تليق بخادمة عملت ذات مرة لدى أسرة أرستقراطية. وعندما قاما بقراءة بياناتهما الشخصية أضافت ستيفانيا كولهانك إشارة إلى نفسها على أنها "الطاقم المنزلي" واحمرت خجلاً. أقسما بقول الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة، كما فعل الآخرون، الذين كانوا دائما يقولون الحقيقة بصدق، من وجهة نظرهم. أشادا بآنا، لكنهما أشادا بالسيدة المسكينة الشريفة ومعالي زوجها على قدم المساواة.